

صور
عبر التاريخ



حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في صور

الفترة من: ١ ـ ٢ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ ـ الموافق: ٢٥ ـ ٢٦ أكتوبر ١٩٩٥م

الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م



صور عبر التاريخ

حصاد الندوة التي أقامها
المنتدى الأدبي في صور

الفترة من: ١ إلى ٢ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ
الموافق: ٢٥ إلى ٢٦ أكتوبر ١٩٩٥م

أعده للطبع: محمد علي الصليبي

الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م



هذا الاصدار:

نحمدك اللهم حمدا كثيرا طيبا مباركا، ونصلي ونسلم على أفضل الخلق سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبع هديه بإحسان الى يوم الدين وبعد..

فقد كان من البديهي بمكان ان تحتل المدن الإسلامية عبر التاريخ مكان الصدارة في دراسات الدارسين وبحوث الباحثين، الا انه من المؤسف اننا لم نجد من بينهم من أولى عناية خاصة بحواضر عمان ومدنها بل ان تاريخ عمان وبشكل عام قوبل بشيء من عدم الاهتمام والانصاف من قبل العديد من المؤرخين والجغرافيين لظروف لا داعي لذكرها، مما يلقي على كافة المؤسسات العلمية والثقافية بالسلطنة مهمة انسانية وذلك باعادة النظر في صياغة تاريخنا الناصع بشكل عام وتاريخ مدن عمان وحواضرها ذات الثوابت الحضارية والفكرية والإنسانية والتي كان لألقها الثقافي وتأثيرها الاجتماعي والاقتصادي حضوره الفاعل والمتميز والمؤثر بالحوافز على الساحتين المحلية والعالمية منذ عصور ما قبل التاريخ.

واعتزازا بهذا الدور الرائد الذي اضطلعت به حواضرنا وتقديرا للمهمة الوطنية والعلمية الملقاة على عاتق الاجيال الحاضرة والمستقبلة، فقد حرصت وزارة التراث القومي والثقافة ممثلة في المنتدى الأدبي على منح تلك المدن العناية والرعاية والاهتمام. وذلك عبر الندوات العلمية والثقافية التي يشارك فيها نخبة من المؤرخين والباحثين المتخصصين للعمل على ابراز اهميتها ومكانتها التاريخية والجغرافية وبما تستحقه من دراسات جادة عميقة وموضوعية تثري المكتبة العمانية والعربية وتنقل بأمانة البصمات المتميزة والاشعاعات المضيئة لهذه المدن عبر التاريخ.

والله والي التوفيق،،،

صور... سفنها وفولكلورها

الشيخ عبدالله بن صخر العامري

يسرني أن أقدم اليكم هذه المحاولة التي شرفني المنتدى الأدبي بالقائها أمامكم ضمن فعاليات ندوته عن مدينة صور العريقة ولقد جاءني خطاب المنتدى مشيرا الى التراث الشعبي بمدينة صور.. الا أن برنامج الندوة حمّلني التحدث عن صناعة السفن.. والفولكلور الشعبي.. وهما موضوعان يحتاجان إلى وقت طويل في الإعداد.. وبالتالي في طرحهما على اسماعكم.

ان أحواض بناء السفن في صور تتمتع بشهرة كبيرة.. ولقد كانت في القرن التاسع عشر الميلادي.. وبداية القرن العشرين من انشط مراكز بناء السفن في جزيرة العرب.

الا انه من العسير على أي مؤرخ أن يقدم سجلاً تاريخياً مسلسلا عن تطور صناعة المراكب في عمان قبل وصول البرتغاليين.. ولكن يمكن الاعتماد على بعض أنواع المراكب الموجودة في عمان.. والتي تخلفت عن العهود السابقة لوصول البرتغاليين.. اضافة الى بعض الاشارات التاريخية والأدبية المتفرقة.. للعهود الاسلامية.. والتي تصور بشكل أو بآخر انواع السفن التي كانت تمخر المحيط الهندي.

هادفين من وراء ذلك كله إلى التعرف على ملامح صناعة المراكب قبل الاسلام وبعده حيث تشير تلك المعلومات الى الخصائص المميزة للمراكب العربية في المحيط الهندي والتي يمكن ايجازها فيما يلي:

أولا: استخدام الألياف بدلاً من المسامير في ربط اجزاء المركب بعضها الى بعض.

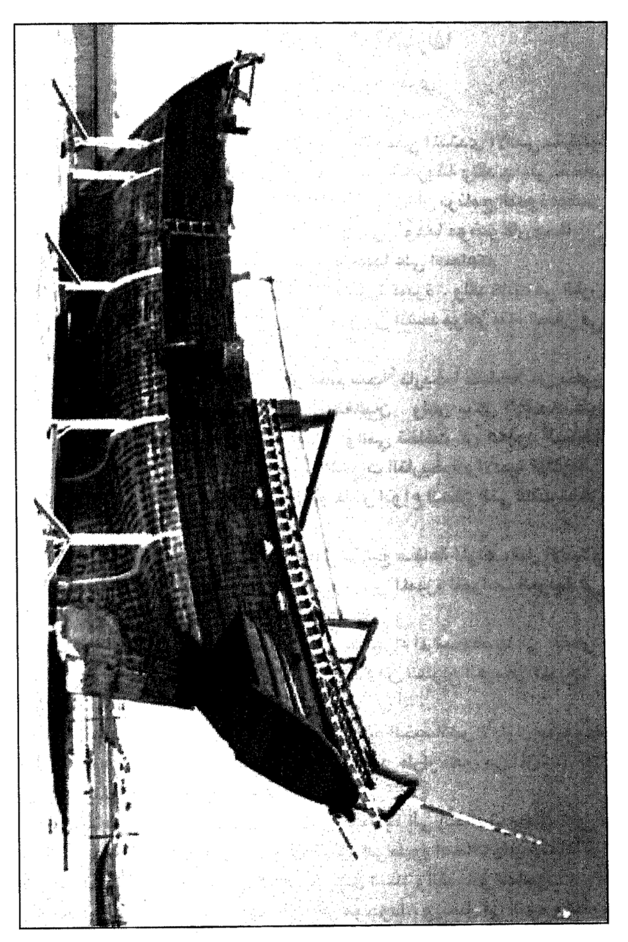
ثانيا: الشراع الممتد من المقدمة الى المؤخرة بدلا من الشراع العريض المربع.

ثالثا: تشابه شكل طرفي جسم المركب.

وكما يقول المختصون بهذا الموضوع فإن هذه الخصائص لا تزال موجودة حتى اليوم في عمان.. وان كانت لا تجتمع كلها في طراز معين من المراكب.. الا في النوع المسمى «السنبوق».

وقد دفع مجيء البرتغاليين بناةَ المراكب العمانية إلى إدخال تجديدات كثيرة عليها.. وادى التأثير الأوروبي على مدى القرون الى ظهور أصناف جديدة تماماً من المراكب ذات المؤخرات المربعة أو العريضة.. مثل البغلة والغنجة والجالبوت.

أما النوع ذو الطرفين المتشابهين فلا يزال موجوداً.. ويتمثل في البوم والبدن



وبالرغم أن الشراع المثلث بقي دون تعديل الا أن طريقة تثبيت الألواح إلى بعضها البعض بالمسامير بدأت تحل محل طريقة الصناعة القديمة وكانت أجسام المراكب العمانية تصنع من خشب الساج أو من جذوع شجر جوز الهند وهذا الخشب كان يستورد من الهند ومن جزر المالديف.

ويروى عن أحد المؤرخين الذين عاشوا في القرن العاشر الميلادي: أن جماعات من عمان كانوا يفدون الى جزر المالديف التي تزرع شجر جوز الهند ومعهم ادواتهم ومعداتهم، ويقومون بقطع ما يشاؤون من تلك الأشجار.. ثم يتركونه ليجف.. ثم ينزعون عنه الاوراق.. ويفتلون من لحاء تلك الاشجار حبالاً يصنعون منها المراكب، كما كان شجر جوز الهند متعدد الفوائد فمنه ايضا يصنعون اشرعة السفن وصواريها.

ولم تكن هناك اسطح للمراكب في أكثر الاحيان وان وجدت فانها تكون محدودة المساحة في المقدمة وفي المؤخرة.

وكان النوع الوحيد المعروف من الدفة هو الدفة الجانبية، او مجداف التوجيه. ولم تكن المراكب من عابرات المحيطات تحتاج لأكثر من مجداف واحد حتى في الأحوال الجوية السيئة وذلك لأن المراكب كانت ذات طرفين متشابهين.. وكان مجداف التوجيه مثبتا في قطعة المؤخرة المدببة. فلم يكن يُخشى ان تسحبه المياه إذا مال المركب.

وفي القرن الثالث عشر الميلادي ظهرت غرفة المؤخرة التي تُحرك بجهاز التوجيه.. الحبال، أما عصا الدفة فقد أخذها العمانيون من البرتغاليين.

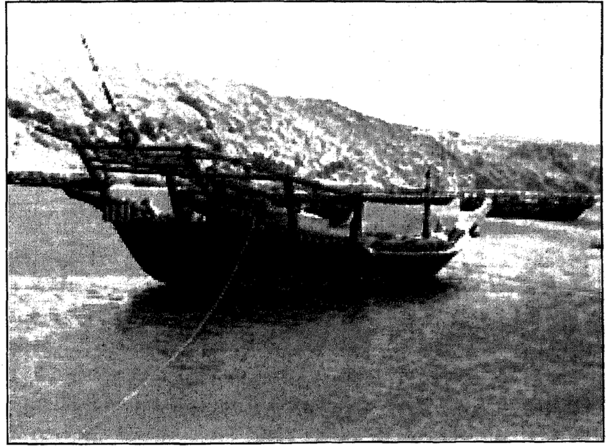
وكانت المرساة عبارة عن حجر مثقوب يكثر عدده في المراكب الكبيرة العابرة للمحيطات.

وكانت الصواري تصنع من خشب شجر جوز الهند او الساج، وربما يزود المركب بأكثر من واحد منها كما كانت الأشرعة تنسج إما من سعف النارجيل أو سعف النخيل.. أو من القطن وقد كان في صحار صناعة نسج القماش الذي تصنع منه الاشرعة. وربما كانت الأقمشة تستورد من الهند.

وكان المركب يحمل شراعين.. شراع لليل والأحوال الجوية السيئة.. والثاني للنهار والأحوال الجوية الملائمة.

ولم يكن بالامكان ثني الأشرعة أو تقليل مساحتها؛ وكانت المراكب العمانية في أوائل القرن العشرين تتكون اساسا من الأنواع التالية:

البغلة والبوم والسنبوق وأبو بوت والبدن والجالبوت.. وكانت البغلة أكثر أنواع مراكب النقل العمانية استعمالاً.. وحمولتها تتراوح ما بين ١٥٠ و٤٠٠



طن وربما تزيد إلى ٥٠٠ طن.. وقد يبلغ طولها ١٣٥ قدما.

وكانت الكبيرة منها ذات قاعدة نحاسية ولها ثلاثة صوار. كما كانت المؤخرة عريضة تتميز بالسطح العالي والممرات العالية وبالفتحات الخمس الموجودة فيها.. وهي في الغالب مزخرفة بحفريات ونقوش دقيقة.

وبهذا الطابع المميز كانت البغلة نوعا من المراكب يرتبط بعمان ارتباطاً خاصاً. أما مقدمة البغلة فهي منحنية تعلوها كرة خشبية تميزها عن غيرها.

وتدل المؤخرة العريضة العالية للبغلة على مدى تأثر صناعة السفن العمانية بالأسلوب الأوروبي بوجه عام. وربما كان هذا هو السبب في تفوق المراكب العمانية على المراكب العربية الأخرى.

وكان العمانيون يستخدمون نوعاً آخر من المراكب يشبه البغلة اسمه الغنجة وهذا النوع يتأثر في تصميمه بالأسلوب الهندي.. وتشترك الغنجة مع البغلة في أن لها مؤخرة مربعة. وفيها فتحات خلفية وممرات.. وان كانت اقل زخرفة ونقشا. وتزود بثلاث صوار.

وقد اشتهرت مدينة صور بصناعة مركب الغنجة.. وحمولتها تتراوح بين ١٣٠ و٣٠٠ طن وكان يستخدم في التجارة عبر المحيطات كالبغلة وطولها يتراوح بين ٧٥ و١٢٠ قدما.

وفي القرن العشرين حل مركب «البوم» تدريجيا محل مركب البغلة لنقل البضائع والركاب في المحيط عند العمانيين.

وهو متشابه الطرفين.. وتكاليف صنعه أقل من كل من البغلة والغنجة. ويعتبر من أكبر المراكب وتتراوح حمولته بين ٧٤ الى ٤٠٠ طن وطوله بين ٥٠ الى ١٢٠ قدما أما عرضه فيتراوح بين ١٥ و٣٠ قدما.

وكان السنبوق من المراكب المشهورة في صور ويستخدم في الرحلات التجارية البعيدة المدى.

وكان من الشائع استعماله كمركب لصيد اللؤلؤ وله صاريتان.

أما «الجالبوت» فهو ايضا من المراكب العمانية الصنع يتميز بمقدمة عمودية ومؤخرة عريضة ويقال ان اسمه مشتق من اسم المركب البرتغالي «جاليوتا». وقد استخدم كمركب لصيد اللؤلؤ وايضا في التجارة البحرية.. وربما في صيد الاسماك.

ومن اشهر المراكب ايضا «البدن» ويستخدم للصيد والنقل الساحلي.

أما أشهر المراكب الصغيرة قارب صغير اسمه «الهوري» ويتراوح طوله بين ١٠- ٢٠ قدما.



واستخدم في صيد الأسماك ونقل السلع الى مسافات قصيرة ويقال ان لفظة «هوري» في الأصل هندية.

وجدير بالذكر بأن فنون الملاحة وبناءَ السفن في عمان لها تاريخ وتراث عريقان يعودان إلى اكثر من اربعة آلاف سنة.. ولقد أنجبت هذه البلاد العريقة ملاحين وتجارا كانوا أول من سلك الطرق البحرية إذ ابتدعوا أساليب فريدة في الملاحة وأنواعاً كثيرة من المراكب. وكان العمانيون يمخرون عباب المحيطات في القرن الأول الهجري (الثامن الميلادي).

ولا تزال المراكب العمانية تشق البحر في عباب الخليج والسواحل العمانية.. تذكر الناس بذلك التاريخ الذي صنعه العمانيون وابدعوا فيه ايما ابداع.

وتعتبر الفترة الواقعة بين عامي ١٨٣٨ - ١٨٤٢م فترة هامة في تاريخ البحرية العمانية. فقد أظهر العمانيون براعة فائقة في الاضطلاع بمعطيات مصالحهم التجارية والدبلوماسية الدولية.

فخلال هذه الفترة استطاع السيد سعيد بن سلطان ان يقيم علاقات دبلوماسية مع كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية كما بعث بسفرائه الى لندن ونيويورك.

وكان لا بد ان تؤتي هذه المهارات الملاحية ثمارها الطيبة فتقوم السفينة سلطانة احدى قطع الأسطول العماني برحلتها الشهيرة الى نيويورك عام ١٨٤٠م.

بقي ان نقول إن أحواض بناء المراكب في صور تتمتع بشهرة كبيرة في المحيط الهندي. بل انها كانت في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين معروفة بأنها انشط مراكز بناء السفن في جزيرة العرب كلها وحينما نذكر تاريخ عمان البحري لا بد من ذكر صور.. كونها احد أهم الأماكن لصناعة السفن العمانية عبر العصور ان لم تكن اهمها على الاطلاق.. فتحية لصور البحر وتحية لعطائها قديما وحاضرا ومستقبلا.

الفلكلور مفهومه وإسهامه في دراسة تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية

ويعد علم الفلكلور نجما متألقا على مسرح الحركة العلمية المعاصرة في كافة بلاد العالم على اختلاف مستويات تقدمها.

ولقد برز هذا النجم وتألق في سماء الضرورات المعاصرة استجابة لحاجة علمية لها وجودها الملموس على مسار التقدم الاجتماعي والاقتصادي.

وعلم الفلكلور.. وهو علم الموروثات الشعبية يختص بعلوم الثقافة المرتبطة بالزوايا التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية. حيث يعتبر حجر

الزاوية في قطاع الثقافة التقليدية أو الشعبية.

وعلم الموروثات الشعبية والخوض في أعماق مناجمه التراثية يؤدي الى ثمرات علمية تفيد المشتغلين برسم السياسة الاجتماعية والثقافية، ثم انه أيضا يقدم خدمة تطبيقية عملية.

ومنذ قرن ونصف أصبح الفلكلور علما قائما بذاته ذا أهمية نظرية تتمثل في الآتي:

* ان هذا العلم يسهم في دراسة تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية حيث يؤدي الى إلقاء الضوء على المراحل التاريخية السابقة من حياة المجتمع الثقافية.. تلك المراحل التي لا غنى عنها لفهم الثقافة الحالية والبناء الاجتماعي القائم تراثاً وحضارة.

* وعلم الفلكلور يقدم خدمة مباشرة في مجال التغيير الثقافي والتخطيط له. وذلك بتحليل عوامل التغيير وسرعتها واتجاهاتها ونتائجها بما يساهم في رسم السياسات والمخططات الثقافية بمستوياتها الشعبية المختلفة.

* وعلم الفلكلور ودراساته تحلل علاقات التفاعل والتأثير المتبادل بين الثقافات المختلفة.. سواء كانت ثقافات متقدمة أو متخلفة.. وبما يحقق نوعاً ما من التثقيف نتيجة التقاء ثقافتين.. وهي العملية المعروفة في «الانتروبولوجيا الثقافية» باسم «التثقيف» وقد يؤدي التثقيف الى تأثير متبادل بين الثقافتين على الأخرى.. ومن هنا فان تحليل ودراسة الفلكلور يستهدف اكتشاف ديناميكيات تنير الثقافة في مواضع اتصال الثقافات وهي مهمة خطيرة الشأن عميقة الدلالة بالنسبة لأي مجتمع.

* نضيف إلى ما تقدم ان علم الفلكلور يحدد محتوى أي شخصية وملاحظة مدلول التنظيم السطحي للشخصية.. ويحدد أيضا مدى التأثيرات الثقافية على الانماط السيكولوجية او مدى قدرة التأثيرات الثقافية على النفاذ إلى الالباب الشخصية وتعديلها.

* ويتفق العلماء في تعريف الفلكلور على أنه التراث الروحي للشعب إلا أن مفهومنا هنا عن الفلكلور أو المواريث الشعبية يعني كل ما يتعلق بالمواريث التي تشكل معتقداتنا الشعبية، وعاداتنا وتقاليدنا واعرافنا الراسخة.

ثم قيمنا الأصيلة واخلاقنا المتوارثة جيلا بعد جيل.. وسلوكياتنا ومواريثنا من المهن والحرف المتميزة والمميزة.. وثقافتنا الاجتماعية.. وسماتنا الاصيلة والعميقة.. في رموز الفنون والآداب الشعبية.. ومظلتنا الآمنة في علاقات اجتماعية عادلة ومتكافئة في اطار من التراحم والتآخي والتكامل.

هذا هو مفهومي الوطني عن الفلكلور في سلطنة عمان بصفة عامة. لأنه هو بذاته الميراث المتميز الذي يشكل معزوفة البناء الاجتماعي الذي قلَّ ان نجد له مثيلا في عالمنا المعاصر. وهذه هي نظرتي وأنا أتناول في حديثي عن مفردات الفلكلور التي تعنى بها مدينة صور العريقة.. كونها تمثل جزءا هاماً من التراث الشعبي العماني وتمتاز فيه بخصوصيات ملحوظة.

أركان الفلكلور:

ان دراسة الموروثات الشعبية تتضمن طبقا لرأي المتخصصين في هذا العلم الأقسام أو الأركان التالية: المعتقدات والمعارف الشعبية، العادات والتقاليد الثقافية، الأدب الشعبي وفنون المحاكاة، الفنون الشعبية والثقافة المادية.

ولمزيد من الشرح نورد هذه العناوين: المعتقدات الشعبية، العادات والتقاليد، التراث القصصي الشعبي، الحكاية الخرافية، الحكايات الفكاهية القصيرة، الأغنية الشعبية، اللغز، المثل.





فنون التشكيل الشعبي: اشغال يدوية على الخامات، اشغال الحلي، ادوات الزينة، التعاويذ، الدمى، الوشم

أما الثقافة المادية فهي تضم البيت: واجزاءه وزينته، الأثاث والأدوات المنزلية، الأواني، الأدوات الموسيقية، أدوات العمل الزراعي وتربية الماشية، الأشغال اليدوية النسائية، الأزياء، ادوات الاحتفال بالاعياد، الفنون الشعبية.

ولقد اطلعت في أحد المؤلفات على سبيل المثال عن فنون عمان الشعبية فوجدت حصرا لعددها بلغ حوالي ١٣٠ نوعا.

ويأتي دور صور فيها القاسم المشترك الأعظم.

ولعل معظم الحضور قد سمعوا عن مسميات بعضها إن لم يكونوا ملمين بها كلها.

وفي هذا السياق قد يأخذنا التفصيل الى دراسات طويلة لا يتسع لها وقتكم الثمين.. حيث لا بد من الدخول في الحديث عن الموسيقى وآلاتها وايقاعاتها والرقصات والالعاب الشعبية وغيرها. الى جانب ما أشرت اليه آنفا من مفردات.

واننا لنعلم ان بلادنا من اعرق البلاد في فنونها الشعبية امتدادا من عصر سهيل بن سام بن نوح حتى يومنا هذا وان صلات عمان بالعالم الخارجي قد كانت سببا في تصدير بعض من فنوننا واستقطاب أخرى خلقت حالة من نسيج في الثقافات.

ان المحافظة على هذا التراث لهو أمر يحتاج الى تكاتف الجهود لأنه حفاظ على الروح الثقافية والابداعية للمجتمع.

ويجب ان لا يحول المد الحضاري وانتشار التعليم دون الحفاظ على هذه

المواريث الشعبية، كما لا يجب ان يكون النداء بالتطوير مؤديا الى تذويب الأصالة في بوتقة المعاصرة.

مؤكد في كل حال على ثقة الناس في هذه الفنون وأهميتها وكيفية الحفاظ على القيم الجمالية الموجودة فيها.

وبعد؛ فإن الفلكلور ارث إنساني حافل فاضت به قريحة الانسان المبدعة منذ الأزل. وقد ترقرق هذا الارث الشعبي الجميل منذ الأزل نهراً دفّاقاً عذب المذاق بهي الرونق فاكتسب عبر العصور قوةً ومضاء وازداد غنى وتألقا.

وفي غمار هذا التراث الشعبي تتبدى أصالة الأمة وتنعكس ملامح شخصيتها.. فاذا هو يكتسي مع مرور الحقب ألوانا زاهية شتى. ويتسم بخصائص ذاتية طريفة حتى يستوي آخر الأمر بين ايدينا كنزاً باهراً.. يتضوع في ثناياه عطر القدم ويتجلى في حناياه ألق الإبداع.

وتتنوع الفنون الشعبية في بلادنا بتنوع الطبيعة.. وتختلف باختلاف المناطق تؤثر على مضمونها فشكلها عادات وتقاليد الناس في كل جزء من اجزاء عمان الخير وفي كل بقعة من ترابها الطاهر.

وفي خصوصية صور نتحدث وبها نعتز كونها حافظت على أسمى المعاني.. وكانت عنوانا لشعب عظيم كابر الزمن وتخطى الصعاب ووصل الى ما هو فيه من مكانة من العزة والسمو.

ختاما لك ياصور محبتي.. ومزيدا من العطاء في ظل النهضة المجيدة لقابوس المفدى رمز الفخر والأصالة والحضارة.



المداخلة

تمحورت المداخلة حول
تصاميم صناعة السفن الصورية
ومسميات ما اشتهر منها كالغنجة والبدن
والسنبوق، والتساؤل الذي يطرح نفسه في
المداخلة كان حول البوم والجالبوت لأن في اعتقاد
المداخل ليست صورية وإنما هي وافدة من شمال
الخليج الى صور من وجهة نظره طالبا مزيدا من
الايضاح حول المصادر التي لجأ واستعان بها سعادته
في بحثه.

الجواب: إن مسميات السفن التي أوردتها في كلمتي
اطلعت عليها في اكثر من مصدر مطبوع من بينها
اصدارات وزارة التراث القومي والثقافة، ومن
واقع استعراضي للعديد من المراجع التي
تحدثت عن صناعة السفن العمانية
بشكل عام والصورية بشكل
خاص.

إطلالة على
الملاحة البحرية عبر ميناء صور

إعداد: مسلم بن جمعة بن علي العريمي

تقديم:

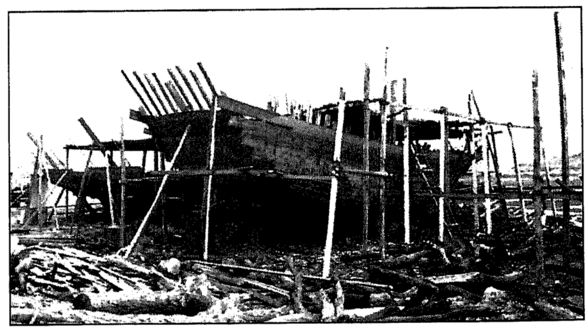
ان التاريخ البحري لمدينة صور تاريخ واسع وعريق، وقد ساعدت الطبيعة الجغرافية للمدينة على تحديد وابراز اتجاهها البحري، حيث تعتبر صور ميناءً طبيعياً تشكل بفعل الطبيعة مما حدا بالسفن الى ارتياد هذا الميناء إما للتبادل التجاري او لاستخدامه نقطة وصل مع الموانئ والمراكز الحضارية الاخرى.

وقد شجعت الطبيعة الجغرافية للمدينة الفينيقيين على استيطانها وجعلها مركزاً مهماً على الخليج وبحر العرب.

وقد ساعد ازدهار صناعة السفن في صور على تعاظم مكانتها التجارية والحضارية وسوف نتكلم بشيء من التفصيل عن صناعة السفن والملاحة البحرية والتجارة بصور سابقاً.

صناعة السفن:

تعتبر صناعة السفن في صور صناعة قديمة وموروثة، وقد اجاد صانعو السفن الصوريون وابدعوا لدرجة تثير دهشة المتأمل عند المقارنة بين نوع وحجم السفن التي كانت تصنع في ذلك الوقت من جهة وبدائية ادوات وأساليب الصناعة، وقد تأثرت صناعة السفن



احد المواقع لصناعة السفن في ولاية صور

في صور نتيجة الاتصال بالاساطيل الأوروبية الضاربة كالبرتغاليين وغيرهم حيث دخلت الى صناعة السفن في عمان بشكل عام وصور بشكل خاص تغيرات جذرية تتجلى في استخدام المسامير الحديدية وفي تغيير تصميم مؤخرة السفينة بحيث اصبحت مؤخرة بعض السفن مربعة وعريضة كما في حالة البغلة والغنجة.

وصناعة السفن في صور حرفة ذات طابع عائلي موروث يكون صانع السفن (الاستاذ) قد تعلمها من أحد اقاربه الذي يكون هو كذلك قد ورثها عن اجداده.

ويكتفي صانع السفن الصوري بالخبرة لانجاز عمله، حيث انه لا يستخدم تصاميم ورسومات هندسية وكما أنه باستطاعته «الوستاد» أحياناً أن يصنع سفينتين في آن واحد، ويختلف عدد العاملين في صناعة السفينة (الوساتدة) حسب حجم ونوع السفينة.

وتتم عملية صناعة السفينة بوضع القاعدة (الهيراب او البيص) تثبت عليها مجموعة من الالواح تسمى شراير، ثم يتم تركيب مجموعة من الألواح الأولية والتي تسمى (الحلقام)، بعد ذلك يتم استكمال تركيب الاضلاع وبقية الألواح ويدخل خشب الساج بشكل رئيسي في صناعة السفينة وخصوصاً الأجزاء الرئيسية منها كالهيراب والدقل، ويأتي نوع آخر من الاخشاب يسمى بنطيج في الدرجة الثانية في صناعة السفينة بعد الساج، كذلك يستخدم خشب الميط المستورد من الصومال في صناعة أجزاء السفينة وبالاضافة الى الساج والبنطيج تدخل اخشاب الفيني والفنص في صناعة السفينة وهي كلها أخشاب تستورد من الهند كما تدخل أخشاب السدر والقرط التي تنمو في عمان في صناعة بعض أجزاء السفينة.

أما الأدوات المستخدمة في صناعة السفينة فكانت كلها أدوات بدائية بسيطة، حيث تستخدم المطرقة والمنشار والقدوم ومثقاب الخيط (المقدح) والقوس والازميل والمسحج وحديدة القلفطة وغيرها.

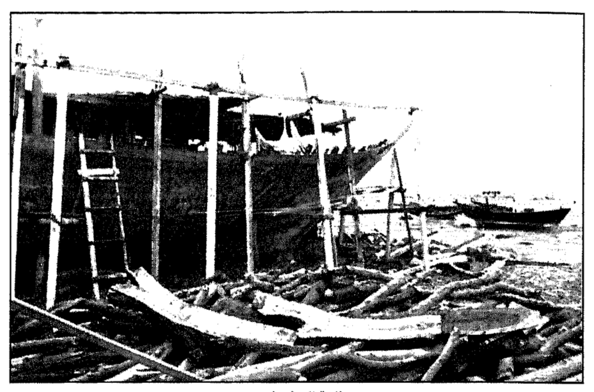
أما طريقة تزويد السفينة بالحبال متشابهة في مضمونها، وتختلف كمية ونوع الحبال المستخدمة حسب حجم السفينة.

ويطلق مصطلح (وشار) على السفينة الجديدة ويستمر معها هذا الاسم لفترة من الزمن قد تصل احياناً الى ١٥ سنة.

والسفن التي تصنع في صور كثيرة ومتنوعة وهي حسب تسلسل دخول صناعتها الى صور كالآتي: البغلة ثم البدن فالغنجة فالسنبوق فالجالبوت فالبوم وفي كل سفينة غالباً ما تكون اربعة اشرعة:

الشراع الكبير والشراع الوسطي والشراع الفتيني والشراع القلمي.

ويتم تثبيت الشراع بواسطة الفرمال الذي يكون ملاصقاً للصاري (الدقل)، ويكون قابلاً للحركة التي يتم التحكم فيها.



صناعة السفن في صور

وفي حالة الرياح الشديدة تستخدم انواع خاصة من الاشرعة مثلثة الشكل، توضع عادة في صدر السفينة كنوع يسمى «بيب م؟؟» يرميه احياناً أخرى.

الملاحة البحرية:

أعتمد القباطنة (النواخذة) الصوريون في تسيير سفنهم على مجموعات من الاشارات الملاحية (المجاري) والتي تشتمل على معلومات عن النجوم وعلى جداول فلكية وخطوط العرض الخاصة بالموانئ التي تقف فيها السفن وهي مبنية على استخدام الاصطرلاب (الكمال) بالاضافة الى معلومات عن الرياح واتجاهاتها ومواسمها وعن طبيعة السواحل وتعرجاتها وكذلك معلومات عن المعالم المرئية بالعين.

كما استعمل الصوريون الابرة المغناطيسية (الديرة) التي اصبح بواسطتها متاحاً بسهولة تحديد خط العرض وتمكن البحارة من قطع مسافات شاسعة دون الاعتماد على المعالم المرئية وكما استخدموا العمليات الحسابية كالجمع والضرب كما عرفوا استخدام الزوايا واستخراج الجيب والظل والميل والانحراف لها.

كما أنهم استخدموا طريقة بدائية ذكية لمعرفة اتجاه الريح عن سكونها وذلك باستخدام طريقة بسيطة تسمى بطريقة الغمازي وهي عبارة عن قطعة من القطن أو غيرها تعلق بطرف خيط رفيع يتحرك مشيرا الى حركة الرياح الهادئة وتكون معلقة في الطرف الأعلى من مؤخرة السفينة (القفلة).

أعتمد الصوريون على كتاب إبن قطافي اعتماداً خاصاً.

وتعليم علوم البحر عند الصوريين يعتمد اعتماداً كلياً على نباهة وحفظ التعلم حيث يتم تلقين المتعلمين دروساً عملية على ظهر السفينة واثناء الرحلات حيث يتسنى للمتعلم التعلم والتطبيق في آن واحد، وقد يعطى وسام قيادة السفينة لتسييرها تحت المراقبة الدائمة من استاذه (النوخذا) ويستمر المتعلم على هذا الحال الى أن يتسنى له تسيير السفينة بمفرده عندها يطلق عليه لقب (نوخذا) وتختلف مدة التعلم من فرد لآخر، كذلك يختلف عدد المتعلمين في كل سفينة فقد يصل احياناً الى (٦) أشخاص واحياناً يكون المتعلم شخصاً واحداً.

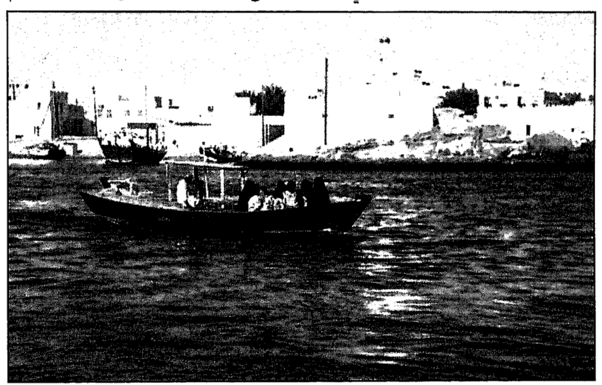
السفرات والتبادل التجاري:

تخصص الصوريون بالسفر الى العراق والساحل الايراني والهند واليمن والسواحل الشرقية لافريقيا وسوف نستعرض هذه المحطات بشيء من التفصيل.

«الرحلة الى العراق والساحل الإيراني»:

غالباً ما يستهل الصوريون موسمهم التجاري بالسفر الى العراق، وتبدأ السفن السفر إلى العراق أو ما يسمى محلياً بموسم البصرة مع أواخر شهر يونيو وبداية شهر أغسطس حيث تدفعهم في مسارهم الرياح الجنوبية الغربية (الكوس) وتسلك السفن خط سير مباشر باتجاه مضيق هرمز وتنحرف أحيانا الى ساحل الباطنة للتزود بالماء والحطب للطبخ من مناطق معروفة كبدي جيتن وغرفة الشريق.

عند الخروج من مضيق هرمز تتبع السفن الصورية خط سير محاذيا للساحل الإيراني مارة بجزيرة كفرود وقيس وهندرابي وجزيرة الشيخ وتنحرف احياناً الى البر حيث، اقليم



احدى العبارات في منطقة العيجة

لنجه الذي يباع.فيه أحياناً جزء من حمولة السفينة من خشب الكنلة وغيرها وتواصل السفن سيرها الى أن تصل إلى «جزيرة خرج» حيث يتفرع منها مساران احدهما (للكويت) والآخر (للبصرة) المرسى الرئيسي للسفن.

وتكون (الفاو) أول نقطة في البصرة والميناء الذي تنزل فيه السفن حمولتها وقد تواصل مسيرها داخل شط العرب مارة بالبنادر الداخلية كالعيشار وغيرها حيث تباع أخشاب الكنلة ويعتبر التمر العراقي بانواعه الزاهدي والسمران والخضراوي واللذاد وغيرها، شحنة السفينة الأساسية وعند العودة تشحن السفن بالتمور في قوالب مكعبة الشكل يطلق عليها لقب (الجوصرة).

تعود السفن محملة بالتمور بعد أن تكون قضت فترة من الزمن تتراوح ما بين ٥ إلى ١٠ أيام في بيع حمولتها من أخشاب الكنلة والليمون المجفف كما ان البحارة يبيعون نوعاً من الطينة تسمى محلياً (طينة العيجة) تستعمل في غسل الرأس.

وتعود السفينة مع الرياح الشمالية (الازيب) مع منتصف شهر سبتمبر وتأخذ رحلة العودة فترة من الزمن تتراوح بين الشهر والشهرين.

«الرحلة إلى الهند»:

يبدأ موسم السفر إلى الهند مع بداية شهر سبتمبر، وتسلك السفن في سفرها خط سير مباشراً من صور فرأس الحد ومنه إلى الهند اذا كانت مكتملة الشحن.

وقد تسافر السفن الى منطقة الجازر أولاً للتزود بالأسماك ومنها إلى الهند، وتستفيد السفن في رحلتها بارياح الأزيب او أنعشى.

غالباً ما تشحن السفن الصورية حمولتها من أسماك الكنعد واللخم والكرنباخ وزعانف القرش، بالاضافة الى (القاشع) كما تشحن البسور بالاضافة الى نوع من الحصى اللماع يجمع من منطقة الجازر يسمى (جراج).

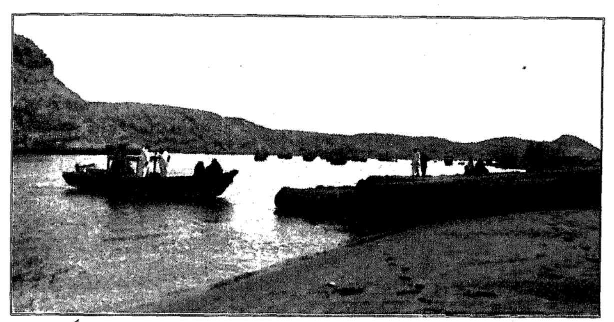
هذا وتبيع السفن حمولتها في أقاليم الهند الساحلية خاصة بومباي والمليبار.

وفي المقابل تشحن السفينة بالمواد الغذائية الأساسية (كالأرز والقمح)، بالإضافة الى الملابس والعطور والاحتياجات المنزلية كأواني الطبخ المنزلية وغيرها.

هذا وتعود السفن الى صور مع منتصف ونهاية شهر نوفمبر تدفعها رياح أنعشى أو المطلعي. وقد تسافر السفن الصورية من الهند الى زنجبار مباشرة حاملة نوعاً من الطابوق الأحمر (يستخدم في بناء الأسقف المثلثة الشكل) يسمى كبريل يعود لأحد التجار الهنود.

«السفر الى اليمن»:

تسلك السفن الصورية المسافرة إلى اليمن خط سير محاذياً للساحل العماني، مارة بسواحل جعلان فالجازر حيث تتوقف لشحن أسماك اللخم بالاضافة الى الأسماك المملحة والمجففة.



تواصل السفينة سيرها الى أن تصل مرباط عندها تسلك خط سير محاذياً لسواحل جنوب الجزيرة العربية مارة ببنادره الهامة. حيث تبيع السفن احياناً جزءاً من حمولتها.

والأقاليم التي تمر بها السفن الصورية في الجنوب اليمني كثيرة فمن مرباط تمر السفن بمناطق دراس فرتك فسيحوت فالحرايق فقصيحر فالشحر عندها تكون قد وصلت الى المكلا أحد المرافئ الهامة في طريق الرحلة؛ من المكلا؛ تواصل سيرها مارة بمناطق قيدوم فرأس الكلب فجزر القبوس والرطل والعصيدة فرأس بلحاف فحرجة فشجرة فشمسان عندها تكون قد وصلت الى مرساها الأصلي عدن؛ وقد تواصل السفن سفرها باتجاه البحر الأحمر الى اقصى نقطة عند جيزان مارة بمناطق العارة ثم تعبر مضيق باب المندب فجزيرة ميون فالمخا، أحد المرافئ الهامة كذلك ومنها إلى الحديدة فجيزان حيث تمكث السفن مدة من الزمن قد تصل الى شهرين في انتظار الرياح الجنوبية الغربية، علما بأن السفن تستفيد من الرياح الشمالية (الأزيب) في رحلة الذهاب وتعود مع الرياح الجنوبية الغربية (الكوس) مع مراعاة تغيير اتجاه الشراع عند الخروج من عدن ليتناسب مع اتجاه الرياح بالاضافة الى الاسماك، تشحن السفن الصورية التمور بنوعيها العراقي والعماني الى اليمن وتعود محملة في المقابل بالبن والسمن والورس وبعض الاسلحة.

الرحلة الى شرقي افريقيا:

تسلك السفن الصورية نفس الطريق الذي تسلكه الى اليمن إلى أن تصل الى مرباط ومع مراعاة توقفها كما هي العادة في منطقة الجازر للتزود بالاسماك بأنواعها المختلفة المملحة والمجففة.

ومن مرباط تسلك السفن خط سير مباشراً باتجاه جزيرة سقطرى وعبدالكومف في بحر العرب ومنها تسلك السفن خط سير محاذياً للبر الصومالي مع القيام بعملية التبادل التجاري مع موانئه ومراكزه المهمة كحافون ومقديشو (اسكتشوه) وكشمايو، تواصل

السفن ابحارها مارة بموانئ ماليندي وممباسة حيث تنزل السفن حمولتها من تمر الفرض في ممباسة.

ومن ممباسة تبحر السفن باتجاه زنجبار المركز الرئيسي لتجارة أفريقيا الشرقية. ومن زنجبار تبحر السفن الى سواحل البحر الافريقي الأخرى لشحن خشب الكنلة من (سيمبورانجه).

علماً بأن السفن تسافر مع الرياح الشمالية (الأزيب) وتعود مع الرياح الجنوبية الغربية (الكوس).

وتبدأ رحلة الذهاب مع بداية شهر فبراير وتعود مع نهاية شهر ابريل. وتشحن السفن الى شرقي افريقيا الأسماك بشكل رئيسي بالاضافة الى التمور والملح، وتعود السفن محملة بأخشاب الكنلة والسمن والبن والقرنفل.

قد يكون النواخذا هو صاحب السفينة والحلال الذي بها وقد يكون للنوخذا صاحب السفينة نصف الشحنة أو أحياناً لا يمتلك شيئا من الشحنة التي تخص شخصاً آخر عندها يقال ان السفينة منولة لفلان.

ويصطحب النوخذا في سفينته عدداً من التجار «العبرية» بمعية كل واحد منهم جزء بسيط من البضاعة وقد يصل عددهم الى ١٥ فرداً في السفينة الواحدة ولا يأخذ النوخذا على هؤلاء أجراً ولا يتحملون شيئا في السفينة يأكلون ويشربون دون مقابل.

حمام الروق نوع من الطيور يستبشر بوصوله الصوريون حيث إنه يظهر قبل وصول السفن من افريقيا الشرقية (السواحل) بعدة أيام. تجلب للأطفال عند قدوم السفن من البصرة هدايا كالديري (تمر يابس) وطمايع وسعان تمر.

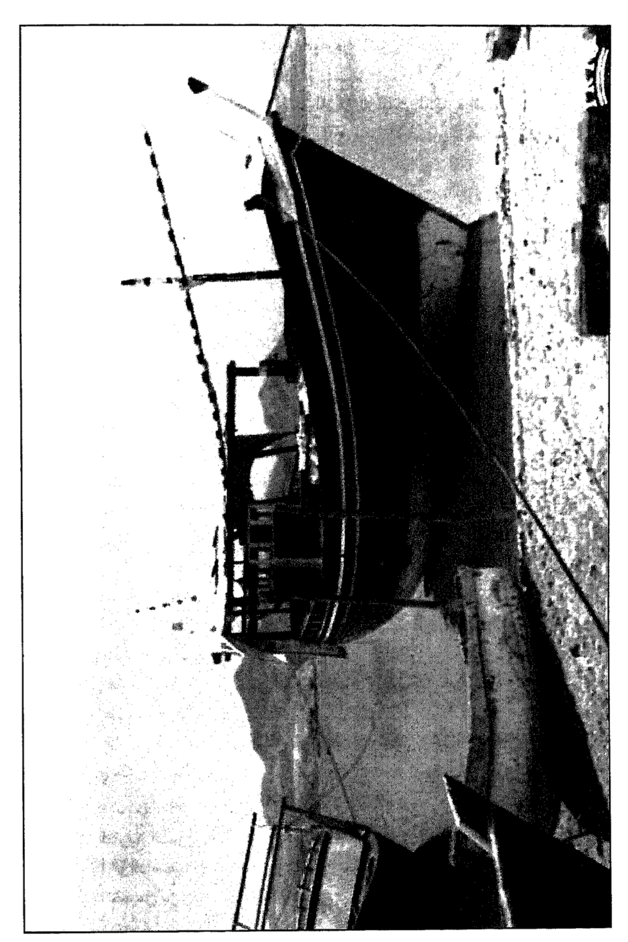
تقام مظاهر احتفال لاستقبال السفن القادمة من البصرة حيث انها اول موسم لسفر الصوريين حيث يصعد الأطفال والنساء الى الجبال والأماكن المرتفعة يترقبون وصول السفن وعند رؤية احداها يصيح الموجودون بأعلى صوتهم مرددين كلمة (هريبي هريبي) عندها تطلق المدافع استبشاراً بهذا الوصول.

الشوباني هو نوع من الغناء يتم بمرافقة الإيقاعات والتصفيق بين الفينة والأخرى ويقام في أي وقت على سطح السفينة.

تفرغ السفن حمولتها في خور البطح ويتم نقل البضائع بواسطة الجمال والحمير الى السوق أو أي مكان آخر.

المراجـع:

* كتاب التاريخ البحري لعمان.
* النوخذا الوالد سعيد بن حميد بن راشد آل فنة العريمي.
* النوخذا خميس بن راشد ود ناجم المخيني.
* الاستاذ ربيع بن عنبر العريمي.



آثار منطقة صور القديمة

أ.د. معاوية إبراهيم
رئيس قسم الآثار
جامعة السلطان قابوس

يبدو أن لمدينة صور تاريخا طويلا يبدأ في عصور ما قبل الإسلام، إلا أن الوثائق التاريخية ومعلوماتنا الأثرية حول الفترات القديمة شبه معدومة، إذ لم يقم داخل المدينة أية تنقيبات حتى الآن تساعدنا على معرفة الفترات الزمنية التي مرت عليها. غير أن موقع المدينة المثالي بما فيها من مصادر مياه وروايات الرحالين والمؤرخين (Ward 1987/138 - 179) حولها توحي بأنها أدت دورا مهما عبر عدة مراحل زمنية مختلفة.

(ويستنتج البعض من خلال امتداد المدينة ومخططها بأنها شبيهة بالمدن أو الموانئ البحرية الإسلامية التي عرفها الساحل الجنوبي والجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية كموقع البليد في صلالة وجلفار بالقرب من رأس الخيمة. ويبدو أن هذا الدور احتلته صور قبل أن يبرز دور ميناء قلهات على المرتفعات الجبلية على بعد حوالي ٢٥ كم نحو الشمال الشرقي. كما تشير الدلائل إلى ظهور دور صور بعد تدمير قلهات في القرن السادس عشر الميلادي. إلا أنه يتوجب القول بان أجراء حفريات عاجلة في صور أمر ضروري في بعض الأماكن والأحياء الخالية من المباني خاصة وأن المدينة تشهد تطورا عمرانيا يحول دون إجراء تنقيبات على المدى البعيد.

ومن المحتمل أن تكون مدينة صور فوق عدد من المواقع السكنية أو التراكمات الصدفية التي تعود إلى الألفيات السادسة وحتى الثالثة ق.م، وذلك على غرار مجموعات التراكمات الصدفية التي تم التعرف عليها على الشواطئ المحاذية للمدينة، وخاصة في السهل الساحلي الممتد نحو الشمال الشرقي باتجاه قلهات وكذلك المواقع التي كشفت عنها البعثة الإيطالية الفرنسية حول موقعي رأس الحد/ رأس الجنز (Cleuziou x Tosi 1997 Biagi & 19881994)

تمتد المواقع الصدفية بكثافة على فوهات الأودية التي تصب في البحر، وقد زودتنا هذه المواقع إضافة إلى فضلات الغذاء البحرية بأدوات متنوعة من الصدف والصوان والحجارة الأخرى، ومن بينها ثقالات شباك الصيد والمدقات والأجران، وتضم الأدوات الصوانية رؤوس سهام حادة وشفرات مسننة ومكاشط ومثاقب وغيرها من الأدوات الصغيرة، كما توجد بعض الأدوات الصوانية الكبيرة في المواقع القريبة من رأس الحد/ رأس الجنز.

ومن مواقع ما قبل التاريخ الهامة وادي شاب إلى الشمال الشرقي من مدينة صور حيث



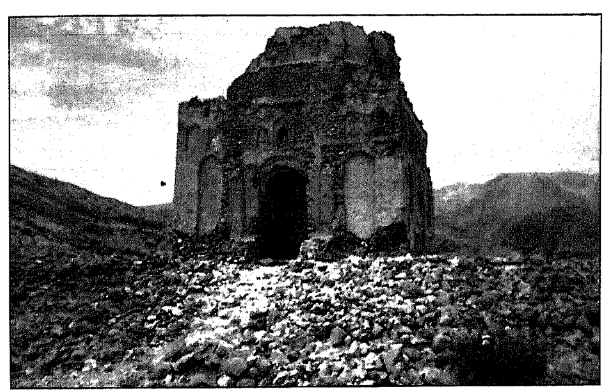
احد الموافقع الاثرية برأس جنيز

يوجد مقطع على الحافة الشمالية للوادي يبلغ ارتفاعه حوالي المتر ويضم الموقع بقايا صدفية وعظام اسماك ومجموعة كبيرة من الأدوات الصوانية التي يمكن تأريخها إلى الألف الخامسة/ الرابعة علما بأننا بحاجة إلى فحص بعض العينات البيولوجية من خلال اختبار كربون ١٤. والجدير بالذكر أن بقايا هذا الموقع القديم مهددة بالزوال من جراء أعمال الجرف والإنشاءات المجاورة (إبراهيم والماحي ١٩٩٧).

جرت خلال السنوات الأخيرة حفريات منهجية في موقع السويح (Suwayh 2) بين الأصيلة وراس الحد والى الشمال قليلا من بلدة سويح الساحلية. وقد أجريت هذه التنقيبات في إطار البعثة الفرنسية الإيطالية وأشرف عليها فنسنت شاربنتير واوليفربلين اللذان أعادا تاريخ الموقع إلى الألفيتين السادسة والخامسة ق.م أو ما يعرف بالعصر الحجري الحديث وآخر طبقة كشف عنها تحت السطح مباشرة أعيدت إلى الألفية الرابعة ق.م. وقد ضمت مخلفات الموقع أرضيات يتخللها حفر وثقوب لأوتاد، ووجد معها تنوع كبير من الأصداف وعظام الأسماك التي تعكس استهلاكا كبيرا للموارد البحرية. وعثر المنقبون أيضا على بعض عظام الثدييات. أما اللقى الأثرية فكثيرة ومتنوعة وتضم أدوات صوانية وثقالات الشباك وسنارات الصيد وبعض الحلي من الصدف والحجر الصابوني. بما في ذلك أقراط وأساور وخواتم وعقود من الخرز. هذا الموقع وغيره من المواقع الساحلية في هذه المنطقة مهددة بالخطر أو الزوال من جراء الأعمال الإنشائية المتزايدة حيث تنتشر مثل هذه التراكمات الصوانية أو الصدفية في مواقع ساحلية متعددة بين قريات وصور (إبراهيم والماحي ١٩٩٧) تدلل على كثافة سكانية معينة وضعت أساسا لاستقرار دائم مع أواخر الألف الرابعة ق.م في المنطقة الشرقية من سلطنة عمان.

لقد أعلمني المشرفون على التنقيب في المشروع الفرنسي - الإيطالي بمنطقة جعلان أن كسرة فخارية من عصر العبيد (الألف الخامسة ق.م) قد تم اكتشافها في الآونة الأخيرة أي خلال موسم عام ٢٠٠٠ في موقع رأس الحد ليشكل هذا الاكتشاف بعدا جديدا للحدود الجنوبية لفخار مرحلة العبيد الذي أعيدت أصوله إلى جنوبي بلاد ما بين النهرين. هذا مع العلم بأنه سبق للأثريين المختصين أن تعرفوا على أكثر من خمسين موقعا من هذه المرحلة في شمالي الخليج العربي وشبه الجزيرة العمانية وينتظر المختصون بشغف المزيد من الإيضاح حول هذا الاكتشاف.

كشفت الحفريات في موقع رأس الحد (HD-6) عن موقع سكني هام أعيد تاريخه إلى نهاية الألف الرابعة وبداية الألف الثالثة ق.م ممثلة في طبقة بلغ ارتفاعها مترا ونصف المتر. وقد تضمنت هذه الطبقة بيوتا دائرية أو بيضوية الشكل تبعتها مجموعة من المنازل المبنية بالطوب ويحيط بها سياج بيضوي قطره حوالي ٥٠ م. لم يعثر على فخار داخل المبنى إلا أنه عثر على مجموعة كبيرة من الخرز لم ينته تصنيعها وهي من النوع المعروف في النصف



قلعة قلهات الأثرية

الأول من الألف الثالثة ق.م. وقد وجد مع هذا الموقع السكني عدد من المدافن الركامية توحي جميعها بكثافة سكانية ملحوظة (Cleuziou & Tosi 2000).

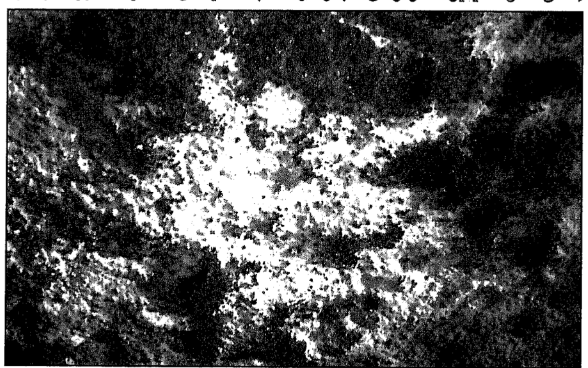
أكثر المراحل أهمية وثراء هو ما يتصل بالعصر البرونزي القديم أو ما يعرف بثقافة أم النار في الألف الثالثة ق.م. وتمثل مكتشفات هذا العصر مرحلة اتصال وعلاقات قوية بين عمان وحضارتي بلاد ما بين النهرين ووادي الهندوس. الموقع الذي أجريت فيه أعمال ميدانية واسعة النطاق يعرف برأس الجنز ٢ (RJ-2) حيث استطاعت البعثة الفرنسية الإيطالية التعرف على أربع فترات سكنية متعاقبة تقع الأولى منها في الألف الرابعة ق.م. بينما أعيدت المراحل الثلاث التالية إلى النصف الثاني من الألف الثالثة ق.م. ورغم أهمية المكتشفات التي أظهرتها الحفريات خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة يعتقد المنقبون بأن هذا الموقع استعمل لأغراض السكن الموسمي، خاصة في فصل الشتاء بين أشهر تشرين الأول و آذار من كل عام وأن السكان كانوا يتنقلون نحو عمان الداخل في الأشهر المتبقية من السنة. هذا مع العلم بأن المباني والمعثورات الأخرى تعبر عن نشاط مستمر أو طويل المدى في المجالات الزراعية والتجارية والصناعية.

يعتمد المنقبون في تأريخ الموقع على المكتشفات التي أخرجت منه وعلى الدراسة المقارنة مع اللقى الأخرى التي ظهرت في مواقع عمانية أخرى وغيرها من المواقع الخليجية الأخرى إضافة إلى عدد آخر من المواقع في بلاد ما بين النهرين وشبه الجزيرة الهندية. كما يطرح المشرفون على البعثة تواريخ نجمت عن فحوصات مخبرية لعدد من العينات البيولوجية

المتفحمة والتي تقع معظمها في الثلث الأخير من الألف الثالثة ق.م (Cleuziou & Tosi 2000).

كشفت الحفريات النقاب عن أحياء سكنية تضم منازل مستطيلة الشكل مبنية من الطوب على أساسات فخارية تتخللها باحات مفتوحة ومرافق للخزين والصناعة . وضمت غرف الخزين قطعا من القار وأصدافا غير مصنعة وأدوات للصيد، ووجد في غرف التصنيع أدوات حجرية ومعدنية وأدوات للزينة وأخرى للطحن والجرش، ومن ابرز مرافق التصنيع بناء مستطيل الشكل تبلغ مساحته حوالي ٥٠م٢ موزعة على ثلاث غرف. وقد وجد هذا المرفق معزولا عن المباني السكنية ٢و٣ (Buildings II & III) وعلى بعد حوالي ١٠م إلى الجنوب الغربي منها. كما وجد تحت مصاطب البيوت خمسة هياكل عظمية لأطفال حديثي الولادة داخل جرار فخارية أو حفر غائرة قليلا في الأرض. ووجد مع بعضها مرفقات جنائزية عبارة عن عقد من الخرز الصغير والمصنع من الحجر الجيري أو الحجر الصابوني وتذكر عادات الدفن هذه بما كان سائدا في العصر الحجري الحديث والعصر الحجري النحاسي في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام.

المعثورات التي تم الكشف عنها في رأس الجنز- ٢ (R J- 2) متنوعة من حيث النوع والكم. يؤكد المنقبون وباحثون آخرون بأن جميع أنواع الفخار المتعارف عليه في شبه الجزيرة العمانية في النصف الثاني من الألف الثالثة ق.م ممثل في رأس الجنز بما في ذلك الفخار ذو اللون الأصفر البرتقالي بزخارفه الهندسية البسيطة والفخار الأحمر والرمادي. إلا أن أكثر ما يميز فخار رأس الجنز هو النسبة العالية من الفخار المستورد من شبه



آثار رأس الجنيز

الجزيرة الهندية وذلك في المرحلة السكنية الثانية بخلاف المرحلتين الثالثة والرابعة اللتين يغلب عليهما الفخار المصنع محليا. ومن بين الجرار الفخارية الهندية قوارير مميزة لها قواعد ممتدة طوليا ومغطاة بقشرة سوداء. تحمل خمس جرار على الأقل إشارات كتابية هندية ويوصف هذا النوع من الجرار بأنه استعمل لأغراض التجارة بما في ذلك بعيدة المدى لتناسب مواصفاتها لهذه الغاية من حيث التقنية والحجم والشكل. كما وجدت أنواع أخرى هندية الأصل كالنوع المطلي بالأسود ويحمل زخارف حمراء اللون تمثل أشكالا هندسية وأخرى تمثل طير الطاووس. مثل هذه الأنواع الفخارية المستوردة وجدت بنسب عالية في موقع رأس الحد (HD - 1) وكان المتحف البريطاني قد أشرف على التنقيبات فيه بين أعوام ١٩٨٨ – ١٩٩٢. كما توجد أنواع متفرقة من الفخار أصولها من مواقع بلاد ما بين النهرين (Mery and Schneider 1996). أما الفخار المحلي فهو مصنوع بواسطة العجلة ومخلوط بالرمل وله لون برتقالي فاتح، وقد تمكن المختصون من التعرف على مادته الصلصالية المحلية وكذلك على مواصفاته الفنية المميزة.

ومن المكتشفات الشائعة في رأس الجنز أواني الحجر الصابوني إذ تم العثور على أكثر من ٤٠ قطعة في أماكن مختلفة من الموقع. أكثر الأنواع انتشارا عبارة عن زبدية نصف كروية تحمل تحت حافتها زخارف لدوائر منطقة على شكل صفوف تحت الحافة، ويوجد على بعضها حزوز متوازية. كما وجدت صناديق صغيرة يفصلها حاجز في الوسط، وعثر على أغطية مناسبة لها. وهذه الأنواع من أواني الحجر الصابوني شائعة الانتشار في جميع مناطق الخليج العربي بما في ذلك جنوب العراق وجزيرة فيلكا والبحرين والساحل الشرقي للجزيرة العربية وسائر مواقع شبه الجزيرة العمانية التي تعود لأواخر الألف الثالثة وبدايات الألف الثانية ق.م (Cleuziou & Tosi 2000 , David 1996).

تضم الاكتشافات المثيرة في رأس الجنز مبخرة من الحجر اعتبرها المنقبون أقدم مبخرة يعثر عليها في شبه الجزيرة العمانية. والمبخرة مستطيلة الشكل مصنوعة من حجر رملي ابيض ولها تجويف منتظم وأربع أرجل ويظهر بداخلها آثار خزين ويبدو أن تنوع الحجر شائع الانتشار لصناعة أدوات وأوان أخرى (Cleuziou & Tosi 2000) . يدلل هذا الاكتشاف وغيره على العلاقات بين شمال عمان وجنوبه – أي ظفار أرض اللبان – في الألف الثالثة ق.م أو قبل ذلك.

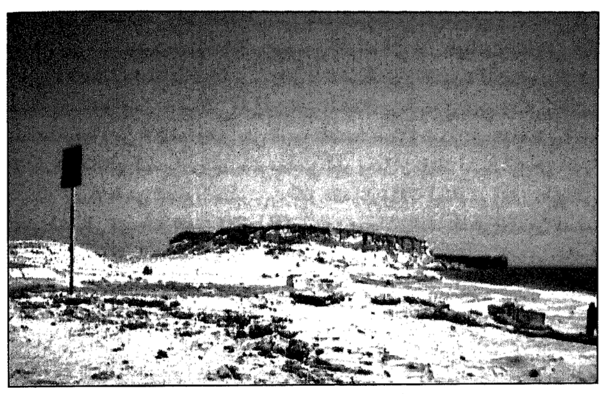
عثرت البعثة الأثرية العاملة في رأس الحد/ رأس الجنز على أكثر من ١٥٠٠ قطعة معدنية نحاسية من بينها قضبان قصيرة مدببة ومخارز وسنارات صيد وخواتم. وهناك أدوات لها نصلات عريضة لعلها استعملت للحلاقة أو كمكشط و أخرى شفرات كبيرة على شكل الحذوة. من الواضح أن استعمال المعادن كان واسع الانتشار في المنطقة بدليل كثرة المكتشفات وشواهد أخرى. بما في ذلك وجود غرفة خاصة لصهر النحاس وبداخلها فضلات معدنية.

ومن ابرز اكتشافات راس الجنز/ رأس الحد مجموعة من الأختام وصل عددها لأكثر من عشرين ختما لتشكل نسبة عالية من مجموع الأختام التي عثر عليها حتى الآن في شبه الجزيرة العمانية من الألف الثالثة ق.م. ولعل لذلك صلة بحركة التجارة النشطة مع المواقع الساحلية بمنطقة صور – جعلان. ومن بين الأختام تمثال من النحاس مربع الشكل وله وجه منبسط وعروة من الخلف. يظهر على الوجه المنبسط صورة حيوان وعلامات قريبة من الإشارات الكتابية الهندية. ووجد ختم نحاسي آخر يحمل زخارف هندسية. تبقى غالبية الأختام مصنوعة من الحجر الصابوني، وأكثر هذه إثارة ثلاثة أختام تم العثور عليها في المبنى الشمالي في رأس الجنز ٢ (RJ -2). صنعت هذه الأختام من أغطية أوان من الحجر الصابوني عليها دوائر منقطة وهي واسعة الانتشار في الألف الثالثة ق.م.

يصور أحد هذه الأختام غصنا غائرا وشخصين واقفين بشكل بارز. أما الختمان الآخران فقد وجدا في طبقة تدمير الموقع وقد أعيد تصنيعها أيضا من بقايا أواني الحجر الصابوني واهم ما في ذلك هو أن الختمين يحملان إشارات أو حروفا لكتابة محلية شبيهة بالحروف السامية الهجائية اقدم بعدة قرون من أية هجائية عرفناها في الشرق القديم (Cleuziou et al. 1994) ومع أن الباحثين لم يتمكنوا من حل رموز هذه الكتابة حتى الآن، إلا أنه من الواضح أن العمانيين في تلك المرحلة كانوا على دراية بالكتابة والقراءة في هذه المرحلة المبكرة.

تضم معثورات رأس الجنز عددا كبيرا من بقايا قارب قديم. وتشمل هذه البقايا كتلا من القار يتخللها بقايا جصية وسعف مجدول وآثار حبال، وقد أمكن إعادة بناء نموذج لهذا القارب اعتمادا على البقايا في الموقع وبمساعدة الحاسب الآلي واعتمادا على مقارنات من أختام دلمونية أو خليجية. وهذا النموذج محفوظ الآن في وزارة التراث القومي والثقافة. يبدو أن هذه القوارب كانت تستعمل للشحن أو النقل وخاصة بين الجزيرة العربية وموانئ في شبه الجزيرة الهندية، وغالبا ما كانت تحمل جرارا فخارية من النوع المعروف بالامفورة الهندية (Indian amphora) وان حمولتها كانت تصل إلى خمسة أو ستة أطنان من البضائع، وقد أورد الأستاذان سيرج كلوزيو وماوريتسيو توزي هذه المعلومات في محاضرة عامة بمدينة مسقط عند انتهائهما من موسم حفريات عام ٢٠٠٠.

لمواقع العصر البرونزي القديم امتداد نحو الجنوب، وقد كشفت البعثة الفرنسية الإيطالية النقاب عن موقع خور بني بوعلي (SWY -3) بالقرب من بلدة السويح وتشير المكتشفات في هذا الموقع إلى مقر سكني يعاصر في بدايته موقع رأس الحد – أي بداية الألف الثالثة ق.م إلا أن غالبية المعثورات معاصرة لموقع رأس الجنز – ٢ (RJ -2) أي من النصف الثاني للألفية الثالثة ق.م، وقد بدا للمنقبين بأن هذا الموقع أكثر ملاءمة للملاحة من رأس الجنز بسبب ارتفاع منسوب المياه في ذلك الوقت (Mery and Marquis 1998).



منطقة راس الجنيز منطقة محمية السلاحف

أسلوب ومواد البناء المتبعة في هذا الموقع تشبه إلى حد كبير ما كان متبعا في المرحلة الرابعة من رأس الجنز -٢ (RJ -2) ومواقع ساحلية أخرى. كما تتشابه المكتشفات الأخرى كالأدوات النحاسية وأواني الحجر الصابوني، أما الفخار ذو اللون البرتقالي الفاتح فيبدو أنه صناعة محلية تتميز بها منطقة جعلان في الألف الثالثة ق.م، وجد في الموقع رأس رمح برونزي أصوله هندية بينما يفتقد المنقبون الفخار الهندي بالقشرة السوداء (Mery and Marquis 1998).

أثناء المسح الأثري الذي اجري في منطقة صور - جعلان تمكنت البعثة الفرنسية الإيطالية من الكشف عن أكثر من ٢٥٠٠ قبر يعود عدد منها إلى نهاية الألف الرابعة وبداية الألف الثالثة ق.م، إلا أن غالبيتها أرخت إلى عصر أم النار. ضمت المقابر الأقدم مدافن جماعية وصل عددها إلى ٢٩ هيكلا عظميا، وقد بنيت على شكل ركامي من صف اوصفين من الحجارة الهشة ولها مدخل واحد (Santini 1986)، وضمت المرفقات الجنائزية خزفا ومواد تجميلية مستوردة وبعض الأدوات والأسلحة النحاسية المصنعة محليا والخرز من الحجر الصابوني. ومن بين الفخار المستورد جرة فخارية من النوع المعروف في عصر جمدة نصر أي أن أصولها من جنوبي بلاد ما بين النهرين.

وجدت مقابر رأس الجنز -٦ (RJ-6) الركامية في أماكن مخفية وعلى ارتفاع منخفض خلاف آلاف المقابر الركامية أو البرجية فوق الهضاب وعلى أطراف المصاطب في جعلان وسائر المناطق العمانية. ويبدو أن هذه المقابر الركامية كانت تشكل علامات حدود لأراضٍ

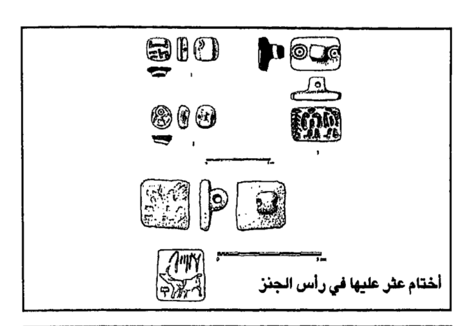
أو مناطق، إذ وجد فقط في حدود منطقة رأس الجنز أكثر من ثلاثمائة وخمسين قبرا يسهل رؤيتها من البحر، وهي تعلو المرتفعات والأطراف المطلة على خور (جرامة) والشاطئ الممتد من صور وحتى السويح.

هناك مجموعة من المقابر تم الكشف عنها مؤخرا في منطقة شير فوق جبل بني جابر على امتداد سلسلة الحجر الشرقي على ارتفاع حوالي ١٦٠٠ – ١٧٠٠م عن سطح البحر لتكون لها إطلالة على منطقة صور ووادي شاب – طيوي. وتعتبر هذه المقابر الشبيهة بالأبراج من اضخم المقابر التي عرفتها شبه الجزيرة العمانية ومن أفضلها تقنية في البناء خلال الألف الثالثة ق.م. وبالرغم بما أصاب هذه المقابر من دمار منذ إنشائها فان عددا منها ما زال سليما لترتفع أحيانا لأكثر من خمسة أمتار في هيئتها الأصلية تقريبا (الشنفري ١٩٩٣). وقد تمكنت وزارة التراث القومي والثقافة وفيما بعد البعثة الألمانية من إحصاء حوالي ٩٠ قبرا موزعة على شكل صفوف أو مجموعات مبعثرة على حواف جبلية لتغطي منطقة واسعة على امتداد حوالي ٧ كم. وقد بنيت هذه المقابر بشكل أسطواني محكم يتسع عند القاعدة ويضيق نحو الأعلى من حجارة مهندمة شبيهة بالطابوق، وينم إنشاؤها عن تقنية عالية وخبرة طويلة في عملية البناء. ولم يتمكن الباحثون حتى الآن من التعرف على التاريخ الدقيق لمقابر بني جابر أو المواقع السكنية التابعة لها.

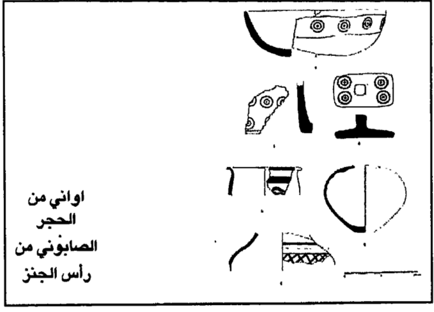
مرحلة وادي السوق

شهدت عمان مع نهاية الألف الثالثة ق.م مرحلة انتقالية كسائر مناطق الشرق القديم. وتميزت هذه المرحلة بتحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية، ويمكن تتبع هذه التحولات في المادة الثقافية التي يكشف عنها المنقبون في المواقع الأثرية المختلفة . وبينما يعتقد البعض أن هذه التحولات كانت مفاجئة يميل البعض إلى أنها حدثت بالتدريج. على كل حال؛ فانه يمكن تتبع تراجع في إنتاج النحاس وتصديره في النصف الأول من الألف الثانية ق.م، وتشهد أيضا تراجعا في حركة التجارة الدولية بين عمان وشبه الجزيرة الهندية وبلاد ما بين النهرين، يظهر أيضا في هذه المرحلة انتقال من المدن التي كانت عامرة في الألف الثالثة ق.م إلى مواقع أخرى اصغر حجما واقل تنظيما وثراء في مادتها الثقافية بما في ذلك الفخار والأدوات المعدنية وأدوات الزينة ... الخ .

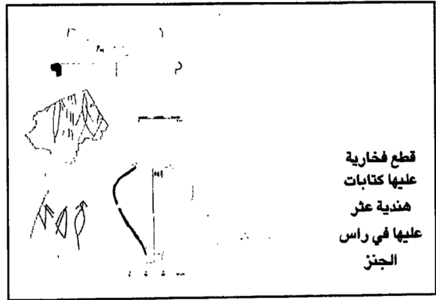
تأثرت منطقة صور – جعلان بهذا التحول ولم تعثر البعثة الفرنسية الإيطالية إلا على موقعين من هذه المرحلة وهما في منطقة رأس الجنز (RJ - 1,RJ 21) حيث يظهر فيهما أنواع جديدة من المساكن مع استمرار لبعض النشاطات والحرف التي كانت سائدة قبل ذلك مثل صناعة الخواتم الصدفية وبعض أدوات الحجر الصابوني. أما الموقع الرئيسي (RJ -2) الذي عرفناه في النصف الثاني من الألف الثالثة ق.م فقد هجر تماما في مرحلة وادي



أختام عثر عليها في رأس الجنز



اواني من الحجر الصابوني من رأس الجنز



قطع فخارية عليها كتابات هندية عثر عليها في راس الجنز

السوق ليصبح المكان السكني الذي تم التعرف على بعض معالمه في مكان مرتفع المنازل الدائرية البسيطة مدعومة بجدار استنادي على حافة مصطبة مرتفعة. وتشير منازل أخرى فوق السطح المستوي للهضبة تشكل بمجموعها قرية مؤلفة من وحدات سكنية غير مترابطة.

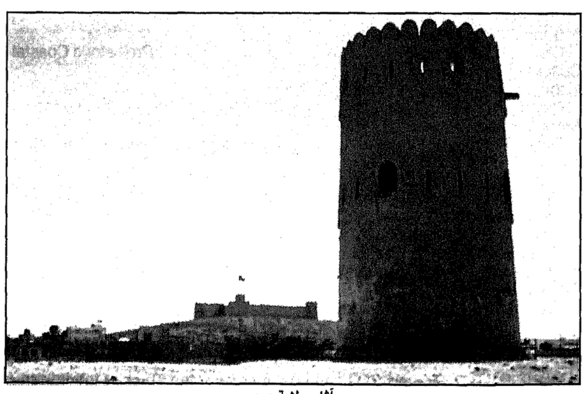
لم يتمكن أعضاء البعثة الفرنسية الإيطالية التعرف على مقابر بمنطقة صور تعود لفترة وادي السوق، إلا أنه كشف عن مثل هذه المدافن في مناطق أخرى من شبه الجزيرة العمانية.

العصر الحديدي

(١٣٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م)

لقد مرت عمان بصعوبات اقتصادية واجتماعية في النصف الثاني من الألف الثانية ق.م، كما عانى السكان من ظروف الجفاف والقحط وتدهور الإنتاج الزراعي من جراء ذلك. كما نشاهد انحسارا للعلاقات التجارية مع الجيران من مناطق الخليج والمناطق البعيدة التي أقامت معها تجارة رائجة لاكثر من ألف سنة ألا وهي بلاد ما بين النهرين وشبه الجزيرة الهندية، خاصة بعد توقف عدد كبير من مناجم النحاس وتصنيع هذه المادة الحيوية.

تقع منشآت ومباني العصر البرونزي القديم في الجانب الشمالي الشرقي من الموقع بين الشاطئ ومباني العصر البرونزي القديم. استعمل في بناء هذه المنشآت لوحات حجرية وضعت بشكل طولي، ووجدت أرضياتها فوق طبقة من الأصداف مما يوحي بأن الشاطئ كان ممتدا نحو الداخل. ووجد بداخل المباني بعض الكسر الفخارية من العصر الحديدي وبعض عظام الأسماك وفك حمار. وغالبا ما استعملت هذه المنشآت لحفظ الأسماك/



آثار ولاية صور

وتجفيفها ومن ثم تصديرها إلى المناطق الداخلية في عمان.

لم تكشف لنا أعمال البعثة الفرنسية - الإيطالية معلومات واضحة عن المخلفات الحضارية في منطقة صور - جعلان حول المراحل التي جاءت بعد ذلك. هذا مع العلم بأن حفريات المتحف البريطاني في منطقة رأس الحد أظهرت موقعا إسلاميا هاما يسبق احتلال البرتغاليين للمنطقة. ومن المعلومات أيضا أن هذا الموقع أقيم فوق طبقات من الألف الثالثة ق.م. ولعل مواصلة العمل الذي بدأه الباحثون من المتحف البريطاني يكشف المزيد من المعلوم عن هذه المنطقة الهامة.

المراجـع:

* د. معاوية إبراهيم د. علي الماحي: مسح آثري على طريق قريات - صور - ١٩٩٧ (تقرير قسم الآثار - جامعة السلطان قابوس).
* علي الشنفري: اكتشاف أبراج قبور في الحجر الشرقي عمرها ٤٥٠٠ سنة، أخبار شركتنا - تصدر عن شركة نفط عمان (العدد الأول -١٩٩٣، ص١٢-١٦).

BIAGI, P.1998: Surveys along the Oman Coast, Preliminary Report on the 1985-1988 Campaigns, East and West 38,271-292.

Biagi, P. 1994: A radiocarbon chronology, the aceramic shell-middens of coastal Oman, Arabian Archaeology and Epigraphy vol. 1,1731.

Charpentier, V., Blin. O. and Tosi,M. 1998, Excavations at Suwayh SWY-2 and Beginning of Ocean Exploitation in the Ja' lan, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 28.

Cleuziou , S. & Tosi, M. 2000 , Ra's Al - Jinz and the Prehistoric Coastal Cultures of the Ja'lan , Journal of Oman Studies 11.

David , H. 1996: Styles and Evolution : Soft Stone Vessels during the Bronze in the Oman Peninsula, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies vol. 26.

Mery, S. & Marquis, P 1998 : First Campaign of Excavations at Khor Bani Bu Ali SWY - 3, Sultanate of Oman , Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 28.

Mery, S. & Schneider, G 1998 : Mesopotamian pottery Wares in Eastern Arabia form the 5th to the 2 nd Millennium B.C : A Contribution of Archaeology to the Economic History Proceedings of the Seminar for Arabian studies vol . 26, 79 - 96.

Santini, G. 1986 : Trial Excavation on a Graveyard at RJ-6, in : S. Cleuzion & M. Tosi (eds), the Joint Hadd project, Summary Report on the First Season, Mimeo., ERA 30 of CNRS & IUON, Paris and Naples, 27 - 35.

Ward, P. 1987, Travels in Oman on the Light of the Track of the Early Explorers, Cambridge.

جولة في
رحاب صور القديمة

تحية من صور.. وفي اطلالتها التاريخية على العالم.. في نظرة تستحق الاشادة والتقدير.. وتمتد يد الاهتمام إليها لتمسح عن خدها الأصيل دموع الأسى والحسرة للنسيان والتجاهل فكان لزاماً أن يعرف اسم صور بأسمى الأمجاد والمفاخر.. فحين تذكر قلهات التاريخية لماذا لا تذكر بأنها في صور؟ وعندما تذكر آثار رأس الجنز فلماذا لا تذكر بأنها من صور؟ فهل هذا جهل أم تجاهل؟.

موسوعة السلطان قابوس للأسماء العربية سجل أسماء العرب/ المجلد الثالث صفحة ١٨٩٣ العمود الأول ذكرت كلمة صوري: نسبة إلى مدينة بلبنان.

وفي نفس الموسوعة/ معجم الأسماء العربية/ المجلد الثاني صفحة ١٠٢٦ العمود الأول، ذكر: صور مدينة ساحلية مشهورة في لبنان ومدينة ساحلية في المنطقة الشرقية من عُمان، اشتهرت بصناعة السفن بالرغم من أن الفينيقيين خرجوا من الجزيرة العربية الى الشام وحيا الله شاعرنا فضيلة الشيخ حميد بن عبدالله (أبو سرور) حين قال في أحدى قصائده:

ولست أنسى لصورٍ ما بنته لنا ... على ضفاف لبنان صور علا
مع العصور تمجيداً وتمكينا ... يا صور لبنان بالعلياء حيينا

فعندما تذكر صور نتذكر معنى الأصالة والخلود.. ففيها قلهات أول عاصمة لعمان اتخذها مالك بن فهم الأزدي وبها آثار قديمة وبصور رأس الجنز الذي اكتشفت به آثار قديمة منذ العصور الأولى للإسلام وانجبت لعمان ربابنة افذاذاً وملاحين مهرة.

ولعل من المؤسف حقاً أنه عندما يذكر تاريخ صور البحري فكثيراً ما يرى المشاهد أو يسمع المستمع وكأن غالبية أهل صور يعملون بصيد السمك والحق أن أبناء صور جابوا المحيطات شرقاً وغرباً تجاراً وربابنة وملاحين.. وكانت لهم رحلات موسمية إلى كل من البصرة والهند وشرق أفريقيا إضافة الى رحلات إلى ايران والكويت وغيرها وبروحهم الطيبة السمحة وحسن تعاملهم مع الشعوب ساهموا في نشر الدين الإسلامي الحنيف في تلك المناطق التي أبحروا إليها والتي بعدت عن الجزيرة العربية.

فمن بعد سفينة نوح لم تبن أية سفينة إلا في صور فكان عدد السفن الكبيرة في صور ٣٠٠ سفينة حمولة كل منها ٤٠٠ طن/ ٤٠٠٠ جونية (كيس) والسفن حمولة من ٢٠٠ – ٢٥٠ طناً عددها ٢٠٠ سفينة خلاف السفن الصغيرة الأخرى.

ولقد كان أبناء صور سفراء خير لعمان في الخارج وتبقى صور لحناً خالداً يتردد في الوجدان ونغمة يتردد صداها في الحارات وبين أرجاء مناطقها.

فأهلاً بكم الآن حيث اصطحبكم في جولة سريعة لتطوفوا حارات مدينة صور ومناطقها.

فعظيم أن نعتز بصور فكراً وقولاً وعملاً.. وأعظم أن نحافظ على أصالتها وتراثها مع التفاعل مع التطور والتقدم الحديث.

فحيا الله صور – درة المنطقة الشرقية – وحيا الله أبناء الشرقية جميعاً وهم يتوافدون على صور يحيونها في موكبها الخالد.. وحيا الله صور عروس البحار.. وفخر عمان.. وحيا الله أبناء عمان وهم يكبرون دورها الطلائعي ويقدرون تاريخها الحافل بالعمل الجاد..

ومرحباً بالأشقاءِ فهم يلقون التحية على صور فترد صور التحية بأحسن منها وحيا الله أبناء صور وهم يشمرون عن سواعدهم مقتفين الأثر الصالح للآباء.

ولنهتف جميعاً من الأعماق.. وفي صدق الضمائر عاشت عمان عقداً ثميناً بحباته المتلألئة.. وعاش جلالة السلطان قابوس بن سعيد المفدى قائداً مخلصاً وربّاناً مرشداً وابناً باراً وأباً عطوفاً لعمان الخير والعزة والازدهار.

أما رأس الجينز: كلمة رأس؛ فسر معناها والجنز تعني الستر فرأس الجنز قد ستر المنطقة المحيطة به وحجبها.

وادي منقال: من كلمة ينقل وتعني الطريق بين الجبال.

وادي الشاب: حيث انه في خضرة دائمة فهو في شباب دائم.

وتعانق البحر مع الوقافي والكاسر والرحماني بألحان الشوباني البحرية.. ويلتقي الجميع مع أنغام العود ودقة الرواس.. حقاً للفن الصوري نكهته ومذاقه الخاص. ولونه المميز.

هذه هي صور تحييكم تحية من الأعماق.. مع عبق الماضي التليد وشذا الحاضر السعيد ونفحات التطلع لمستقبل مجيد.. قلعة شامخة صامدة على شاطئ بحر الخلود وتقف مع الزمن تمد ذراعيها لتحتضن الخليج وبحر العرب ومن اطلالة أول خيوط للشمس على الوطن العربي تنسج نسيج العزة والخلود وتغني مع الطيور المغردة في السهول الغناء أجمل الأغاني الشعبية وتردد مع لمعان السيوف أقوى شلات الرزحة الصورية مع الزفين والايقاع المعروف.

الشرية: وتعني الماء المندفع نتيجة الأمطار وأصلها الشرجة وقلبت الجيم ياء حسب اللهجة الصورية.

سليسلة: تصغير سلسلة وشكلها في تكوينها القديم يشبه لحد كبير السنسلة.

غريفا: وأصلها غريفة بتصغير غرفة وذلك لكونها تقع على مكان مرتفع قليلاً والغرفة في صور تطلق على الحجرة في الطابق العلوي. ولصغر حجم الحارة سميت غريفة (غريفا).

رصاغ: مكان ربط الخيل أو رصفه.

بربويرة: بر تعني الأرض اليابسة وبويرة تصغير بائرة وهي الأرض البور غير الصالحة للزراعة.

نسمة: من نسمات الهواء العليل.

سكيكرة: تصغير سكرة مثل حليوه تصغير حلوه حيث إن ماءها ليس عذباً.

أبو قلع: والقلع يطلق على نوع من الحصا ولوجود القلع بكثرة فيها سميت بهذا الاسم.

الجناه: العود المائل مع الهواء وذلك لكثرة وجود الأشجار المتباعدة وقد تغنى الشعراء بعود الجناه.

أما رأس الحد: الحد يعني الفاصل كما هو معروف فالرأس هو الجزء البارز من اليابسة في البحر فرأس الحد هو الفاصل بين خليج عمان والبحر العربي.

الصط: تعني الرجل طويل الرجلين وهذا كناية عن القوة وفي المحلية تعني الأرض الصلبة القوية المستوية المسطحة.

الصبخة: الأرض اليابسة وبها تأثير الملوحة الظاهرة على سطح الأرض.

الرشة: الرش هو نف السائل والرشة مأخوذ اسمها لكونها قرب البحر تماماً ومعرضة لرش البحر.

مخا: المخيني يعني الرجل القوي.. ومخا تعني القوة وهناك منطقة في اليمن بنفس الاسم.

الجصة: وتعني مرسى الهواري والسفن الصغيرة.

نعمة: الخير والرزق من المولى تعالى.

حارة الغار: لوجود غار كانت به بعض المساكن.

والحارات المرتبطة بالقبائل أو العائلات ولا تحتاج الى تفسير هي: حارة الطيالين وحارة الضواري وحارة المرازيح وحارة أولاد سداح وحارة البلوش وهذه حوائر أو حارات الساحل، أما المناطق الأخرى للمدينة فهي كما يلي:

بلاد صور: بلاد تعني نخيل وبلاد صور هي سهل صور وبه المزارع والنخيل.

العيجة: في اللغة تعني الساحل وأصلها العيقة ولعل الاسم جاء لكون البحر في السابق حال دون الوصول إليها أو أعاق الوصول اليها إلا بوسيلة أو بصعوبة وقلبت القاف جيماً حسب اللهجة الصورية حيث تنطق في بعض الأحيان بهذه الطريقة.

واليكم التفسير الميسر لمغزى مسميات مدينة صور وحاراتها وبعض المناطق.

صور: تعني البوق ولعل التسمية جاءت لشدة الهواء وصوته القوي وهو الهواء المعروف باسم الصوري.. هذا من الناحية اللغوية.

قال تعالى: **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض﴾** صدق الله العظيم.

أما المدلول الصحيح فهو الصخرة كما سماها الفينيقيون.

فبالإضافة الى صور مركز الولاية هناك نيابتان هما:

نيابة صيوي ونيابة رأس الحد.

ومدينة صور تشمل الساحل/ بلاد صور/ العيجة والشرية/ سنيسلة/ غريفا/ بر صاغ/ بر بويرة/ أبو قلع/ سكيكرة/ نسمة/ الجناه.

فالساحل: هو المنطقة القديمة الرئيسية في صور وتشمل عدة حارات، ذكرت في القصيدة و أفسر الأسماء التي لا علاقة لها بأسماء القبائل.

جبل العيد: وسمي بهذا الاسم حيث كانت تؤدى هناك صلاة العيد.

الرعينية: من رعن وهو رأس الجبل حيث رأس الجبل الذي عرف في تلك المنطقة.

السدة: والسد هو منع دخول البحر أو المياه إليها.

مصفية: وتعني مختارة ومصفاة ومصف تعني الصف المرتب.

الجزيْرة: تصغير لاسم الجزيرة وهي بالفعل ينطبق عليها.



صور ودورها الحضاري في عالم المحيط الهندي في فترة صدر الإسلام

إعداد: دكتور. محمد قرقش

تعد عمان من الدول الهامة في مجال الملاحة والنشاط البحري، منذ القدم وقامت موانئها بدور هام في هذا المجال. ذلك أن عمان تمتلك سواحل طويلة على المحيط الهندي باعتباره المحيط الوحيد الذي عرفه الإنسان حتى بداية الكشوف الجغرافية في العصور الحديثة، وأصبح هذا المحيط بسواحله الآسيوية والإفريقية مخزنا للسلع التجارية وميدانا للنشاطات الحضارية.

ويمثل ميناء صور العماني قلبا لهذا المحيط، ذلك لأنه يحتل الزاوية الشمالية من مثلث سواحل المحيط الهندي، وكان أي تبادل أو اتصال بين أجزاء المحيط وأقاليمه لابد أن يمر بالتالي عبر السواحل العمانية، بشكل عام وصور بصورة خاصة لأنها مع منطقة رأس الحد تمثل أقصى امتداد من اليابس العربي داخل مياه المحيط الهندي ولذلك استغلت الجماعات التي سكنت صور من ا لعرب ومن قدم قبلهم الميزات الطبيعية والاستراتيجية التي وهبتها العناية الإلهية للمنطقة، وبرعوا في مجال الملاحة والتجارة وأدوا دورهم ببراعة على صفحة مياه المحيط الهندي.

لقد تميز الأداء العماني بالعمق في العصر الإسلامي منذ بداية الدعوة الإسلامية. ذلك أن أهل صور وتجارها حملوا معهم نعمة الإسلام إلى الشعوب والأمم التي يرتبطون بها ويحملون سلعها وتجارتها، فتحولت تلك الأمم والشعوب إلى الإسلام ودخلت عالمه طواعية، بعد أن استغل أهل عمان منهم الصوريون علاقاتهم وخبراتهم السابقة مع تلك الأمم. ويكفي أن نلاحظ حاليا من خلال الاحصائيات الأخيرة للعالم الإسلامي أن حوالي ٥٨٪ من مجموع المسلمين يعيشون على سواحل المحيط الهندي والدول المطلة عليه، ويرجع هذا في المقام الأول إلى جهود التجار العرب وعلى رأسهم التجار والبحارة العمانيون.

ظل لأهل صورٌ دورهم طيلة العصر الإسلامي في حمل المؤثرات الحضارية بين أقاليم المحيط الهندي والعالم الإسلامي، وإن كان دورها ظل مجهولا مستترا، الأمر الذي جعلنا نختار هذا الأمر عنوانا لبحثنا وهو (صور ودورها الحضاري في عالم المحيط الهندي) وخاصة في فترة صدر الإسلام، مما دفعنا إلى تتبع هذا الدور منذ عصور قبيل الإسلام لترسيخ هذا الدور، وتحديد مجالات الإنجازات في كافة المجالات.

---

* إطلاق الحديث على سبيل التخصيص عن (صور) لا ينبغي بأي حال المقصود العام وهو الحديث عن عمان ودورها الحضاري في عالم المحيط الهندي إذ أن (صور) إحدى حواضر عمان النشطة في تجارتها البحرية مع المحيط الهندي.

أهمية منطقة
صور قبيل العصر الإسلامي

مثلت منطقة صور نقطة هامة على سواحل شبه الجزيرة العربية، المطلة على المحيط الهندي، وكذلك على طول سواحل المحيط الهندي، الآسيوي والإفريقية حتى أصبحت همزة وصل بين منطقة الشرق الأدنى القديم والخليج العربي من جهة، وبين عالم المحيط الهندي من جهة ثانية، كما أصبحت نقطة اتصال بين السواحل الآسيوية والسواحل الإفريقية المطلة على المحيط الهندي.

ذلك أن صور بما فيها رأس الحد وبحكم الموقع، أصبحت أقصى امتداد جغرافي من اليابس العربي داخل مياه المحيط الهندي، وقد شهدت منطقة شبه الجزيرة العربية التي تقع إلى الخلف منها أنشطة حضارية مبكرة وحضارات متطورة وهجرات مستمرة. وشهدت منطقة الخليج العربي هي الأخرى حضارات ومدنيات بلغت أوجها في منطقة الرأس حيث حضارات بلاد الرافدين العريقة، وعلى السواحل الخليجية الأخرى قامت حضارات إيران ودولها المتعاقبة. كما شهدت اليمن، وهي تقع إلى الغرب من صور حضارات أخرى مزدهرة.

وأصبح أي اتصال بين تلك الحضارات وبين شعوبها يتم عبر سواحل عمان الجنوبية، حيث صور ورأس الحد. ويذكر البعض أن سواحل جنوب الجزيرة العربية شهدت أول لقاء بين الحضارات الفرعونية في مصر، وبين حضارة السومريين في جنوب بلاد الرافدين، حيث كانت منطقة جنوب الجزيرة العربية تشهد ازدهارا تجاريا منذ نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد حول تجارة اللبان والبخور وهي السلع الهامة في المعابد والطقوس الدينية لسكان حضارات تلك الفترة، كما كانت تلك المنطقة أيضا ملتقى ومعبر حضارات وادي السند والهند وحضارات منطقة شبه الجزيرة العربية.

ومهما يكن من أمر فإن هناك عوامل أدت آلي أهمية دور ميناء صور العماني ومنطقة رأس الحد منذ العصور القديمة، ومن هذه العوامل ما يلي:

١- شكلت منطقة صور بما فيها رأس الحد حلقة الاتصال الحضارية بين مناطق العالم القديم والوسيط، حيث تكالبت قوى العالم القديم على سلع ومنتجات المحيط الهندي، كما تنوعت حضارات ومدنيات المنطقة في مستوياتها الحضارية. الأمر الذي أدى إلى ضرورة التبادل بينها بصورة مستمرة، عبر سواحل صور.

---

(١) فخري، أحمد، دكتور، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص ١٣٩ وما بعدها، القاهرة، الأنجلو المصرية.

(٢) الصليبي، كمال، خفايا التوارة ص ١٦٨، لندن ١٩٨٨م. حيث ربط الصليبي بين منطقة صور العمانية وبين أحداث قصة سيدنا يونس ويذكر أنه على ساحل صور العماني وأن السفينة التي كان على متنها كانت مقلعة من ميناء صور.

٢- شكلت سلع المحيط الهندي أهمية قصوى بين سكان العالم القديم، وفي العصور الإسلامية أيضا. نظرا لأهميتها في المجالات الحياتية، وفي الجوانب العقائدية، في العصر القديم، خاصة سلع البخور واللبان والتوابل[١]، التي لعبت دورا هاما في حياة سكان عالم العصور القديمة والوسطى، وكانت تلك السلع الاستراتيجية تتركز على جانبي ميناءين: صور على سواحل الهند أو سواحل شرقي أفريقية. ولذلك فقد برع سكان صور في دورهم كوسيط بين مناطق الإنتاج على سواحل المحيط الهندي، وبين مناطق الاستهلاك والطلب في بلدان الشرق الأدنى القديم والبحر المتوسط[٢].

٣- شجع موقع صور الجغرافي على زيادة أهميتها التجارية والحضارية ذلك أن سواحل عمان تقع بين مناطق مناخية وجغرافية متباينة. ففي الشمال منها تمتد الأقاليم المعتدلة والدافئة، وإلى الجنوب تقع الأقاليم المدارية والاستوائية، ومع اختلاط طبيعة وظروف كلا الطرفين وسلع إنتاجه واحتياجاته، أصبحت هناك ضرورة لقيام تبادل مستمر بينهما[٣]، وكانت سواحل عمان، وخاصة صور من أهم المناطق التي قامت بهذا الدور فقد قام أهلها بتوفير الأحجار والمعادن والأخشاب، اللازمة من مناطق المحيط الهندي إلى مدنيات، ومناطق بلاد الرافدين وفارس والشام، بل وصلت تلك السلع إلى حوض البحر المتوسط وأوروبا عبر شبكة خطوط التجارة في العالم القديم. خاصة وأن تلك المناطق كانت في حاجة ماسة إلى منتجات الأقاليم المدارية والاستوائية.

(٤) اختلفت مستويات المدنيات والحضارات التي تحيط بعمان، وصور خاصة، وقد وصلت مدنيات السومريين والبابليين والأشوريين، إلى مراحل حضارية متقدمة منذ الألف الرابعة قبل الميلاد[٤]، وكذلك أقاليم إيران، شهدت هي الأخرى حضارات هامة أخذت مكانتها منذ الألف الثانية ق.م كما قامت على أرض الهند والسند حضارات مثل حضارات: سوتكا جن دور (Sutlaagen- Dor) في منطقة جوجيرات في غرب الهند، وماها نجو دارو (M.Daro) في وادي السند[٥]. وهي حضارات اعتمدت على مقوماتها المحلية بالدرجة الأولى، لكنها احتاجت للعديد من المواد الخام اللازمة لصناعتها المتطورة، وإلى بعض الكماليات لسكانها الذين عاشوا في مستويات حياتية راقية[٦]. فارتبط السومريون باستيراد المعادن خاصة النحاس والأحجار، وكان أهل بابل مغرمين باستيراد مواد متنوعة من كماليات العالم القديم. وتدل قوانين حمورابي، التي عثر عليها مدونة على إحدى الأحجار، بوجود فقرات عديدة بينها تنص على حماية التجار ورعايتهم وتأمين سلعهم

---

(١) البدر، سليمان سعدون، دكتور، منطقة الخليج العربي خلال الألف الثانية والأولى قبل الميلاد، ص ٢٧ الكويت، ١٩٨٧م.

(٢) (Childe ,V.G, New Light on the Most Ancint East, P. 126, London, 1964)

(٣) البدر، المرجع السابق، ص٢٩.

(٤) (Hawbes.J, the Jist Great Civilization. P.15, London, 1973)

(٥) (Thaper: Aliotoy of India. P.P.23. 25)

وتحركاتهم في البلاد[1]. مما يدل على تعاظم دور التجارة في هذا العصر. كما شهد العصر البابلي الثاني (٦٢٥-٥٣٨ ق.م) ازديادا في نشاط تجار الخليج العربي وصور، خاصة في ظل توسع نبوخذ نصر، وبلوغ حدود دولته إلى سواحل البحر المتوسط بعد قضائه على مملكة يهوذا[2].

وإذا كانت حضارات بلاد الرافدين وحوض السند والهند قد بلغت مستويات حضارية راقية[3] ووصلت الى تقنيات صناعية متقدمة، إلا أنها دخلت في علاقات تجارية وتبادلية فيما بينها، بدليل وجود العديد من الآثار المتشابهة بين الهند وبين العراق حاليا[4]، كما اعتمدت تلك الحضارات على خامات وسلع هامة من مناطق شرق إفريقية، التي ظلت تعيش في مستويات حضارية متدنية بالنسبة للجانب الآخر من المحيط الهندي فاعتمدت الصناعات الحديدية في الهند والعراق على خامات الحديد الإفريقية، وكذلك على خامات إفريقية أخرى[5].

وكانت سفن أهل عمان وصور تقوم بدورها الهام في عمليات التبادل التجاري والحضاري بين مختلف تلك المناطق، كما قامت تلك السفن بدورها الكبير في حمل سلع إفريقية الخام إلى الهند والعراق وفارس[6]، وهو أمر ساعد على ازدهار تلك الحضارات القديمة، وأعطى لها حيويتها واستمراريتها.

وعلى المستوى المحلي والإقليمي اتضح دور ميناء صور بالنسبة لعمان خاصة والى منطقة الخليج العربي عامة منذ البداية، ذلك أن ميناء صور أصبح يمثل النافذة الأساسية لداخلية عمان وشرقها على العالم الخارجي، خاصة وأن الصحراء الشاسعة والمثلة في منطقة الربع الخالي تمثل حاجزا بين اتصال داخلية عمان بالجهة الغربية[7]، واعتبرت منطقة صور ورأس الحد المنفذ الأساسي للخروج من الظروف الطبيعية الصعبة في المناطق التي تقع خلفها، خاصة وأن تلك المناطق قد شهدت نشاطات حضارية مزدهرة منذ نهاية العصور الحجرية الحديثة وحلول الجفاف في شبه الجزيرة العربية وتحرك نطاقه صوب الشمال والجنوب.

كما استمرت عمليات التدفق البشري إلى داخل عمان وشرقها بصورة كبيرة في منتصف الألف الأولى قبل الميلاد، في أعقاب سلسلة الإنهيارات التي تعرض لها سد مأرب وتغير الظروف البيئية في اليمن، وما تبع ذلك من هجرات عربية إلى عمان أخذت طريقها عبر الجنوب إلى داخل عمان وشرقها في الموجتين الأولى والثانية، وتمكنت موجة الأزد من فرض سيطرتها على عمان وصبغها بالصبغة العربية.

---

(١) كلينكل، هورست، حمورابي، وعصره، ص٧٥، تعريب محمد وحيد خياطة، دار المنارة، سوريا، ١٩٩٠م.

(٢) (Battero, J, the new East, the Eanly civilization , P.108)

(٣) لومبارد، الجغرافيا التاريخية، ص٢٣٥، ترجمة د. عبدالرحمن حميدة، دمشق.

(٤) الندوي، محمد، الهند القديمة، ص٢٩ طبعة دار الشعب المصرية.

(٥) لومبارد، المرجع السابق، ص٢٤٢.

(٦) البدر، منطقة الخليج العربي ص٥٩.

(٧) يقول شاعر خليجي يتململ من قسوة الصحراء، ويشدو بحنان البحر:

- أواه يا أرض الحرائق والسموم..

- البحر أحنى من ضفافك والشراع..

- انظر: متولي ، محمد، دكتور، وأبو العلا، محمود، دكتور، جغرافية الخليج العربي، ص٢٢، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٢م.

وقد استمر اعتماد سكان داخلية عمان وشرقيها على ميناء صور كمنفذ لهم على عالم المحيط الهندي والعالم القديم، وأصبحت هناك خطوط ملاحية مباشرة ترتبط بها صور مع موانئ اليمن وساحل شرقي افريقية وموانئ إيران الجنوبية والسند والهند وشهدت صور حركة مزدهرة لسفن الشحن التجارية منذ العصور القديمة. كما وصلت سفن أهل صور إلى مسافات بعيدة على سواحل المحيط الهندي، وإلى جزره من خلال هذا الدور، خاصة وأن المنطقة الداخلية في عمان أصبحت تمثل الثقل السكاني للركن الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية. حيث شكلت نزوى منذ الألف الأولى قبل الميلاد مدينة ذات ثقل حضاري وبشري في المنطقة[1]، وكان اعتمادها للاتصال بالعالم الخارجي يعتمد على صور بالدرجة الأولى رغم وجود طريق بري يمر عبرها[2].

ونظرا لذلك فقد أصبحت صور ورأس الحد هي واجهة بلاد العرب على المحيط الهندي، نظرا لتلك الاعتبارات الجغرافية والتاريخية[3] وتوطدت علاقات تجار صور بميناء التيز على ساحل مكران، وموانئ غرب الهند على ساحل جوجيرات ومليبار، وموانئ السند، وكذلك موانئ شرق القارة الأفريقية.

وأصبحت أشبه بمستودع كبير لتجارة المحيط الهندي، واستفادت من هذا الدور المناطق الأخرى داخل عمان وكذلك سواحل وموانئ الخليج العربي حيث كانت السفن تقصد صور لحمل تجارة الهند وافريقية، دون تحمل المشاق والجهد للوصول إلى منبع تلك السلع في ظل ظروف صعبة، ورغم صمت المصادر عن ذكر التفاصيل لدور ميناء صور منذ البداية، إلا أننا نلاحظ أن تلك المصادر قد أسهبت في ذكر أنواع سلع وتجارات المحيط الهندي دون أن تبذل جهدا في تتبع عمليات نقلها من منابعها الأصلية، بل أن أهل صور أنفسهم حافظوا من جهة أخرى على سرية تجارتهم واتضح دورهم أخيرا من خلال المصادر المحلية لبعض منابع السلع، حينما تمكن المغيري في جهينة الأخبار من تتبع جهود أهل عمان، فأفرد صفحات عديدة لأهل صور. حينما تتبع نشاطهم داخل القارة.

وبذلك أصبحت صور هي المنفذ الأساسي لتجارة أهل عمان عبر المناطق الشرقية، والداخلية، كما أنها أصبحت بمثابة مخزن لسلع المحيط الهندي للنفاذ إلى موانئ الخليج العربي، وقد تضمن هذا الدور التجاري جوانب حضارية أيضا.

---

(١) الصليبي، كمال، دكتور، خفايا التوارة، ص ١٧٥ وما بعدها. حيث ذكر أن سكان نزوى كان في القرن السابع يزيد عن مائة ألف نسمة وأن حركة البضائع كانت نشطة عبر صور.

(٢) نورة عبدالله، الحياة الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية، ص ٢٦٣.

(٣) النويري (ت ٧٣٢هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، ط،ص٢٧.

(٤) المغيري، جهينة الأخبار، ص ٢١٧ وما بعدها، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة، تحقيق محمد علي الصليبي.

عوامل أهمية ميناء صور

أولا: العوامل الجغرافية:

١- جغرافية عمان:

ساعدت أشكال الأرض وأنواع التضاريس العمانية على أهمية ساحل صور ومنطقتها منذ البداية، فمن المعروف أن التكوين الجغرافي لعمان يتكون من ١٥٪ من الجبال من مساحة البلاد، التي تبلغ حوالي ثلث مليون كم مربع، بينما تصل نسبة الوديان، والسهول إلى حوالي ٦٥٪ من تلك المساحة، في حين تغطي الرمال حوالي ٢٠٪ من البلاد، وبالنسبة للجبال، فان عمان تضم نمطين مختلفين منها هما: سلسلة جبال حجر عمان في الشمال وحتى الشرق، بينما تمتمد سلسلة جبال القرا في الجنوب وكان لهما دور كبير في تشكيل شكل الساحل العماني وظروف اتصاله ببقية أجزاء عمان الداخلية.

وكان لجبال حجر عمان الدور الهام في تشكيل سواحل عمان الشرقية والشمالية وقد أدى شكل امتداد سلاسل تلك الجبال من الشمال إلى الجنوب، بحكم اعتبارها جزءا من سلاسل جبال زاجروس الإيرانية(١)، إلى ظهور سهل الباطنة في الشمال، وهو السهل الذي قام بدور هام في تاريخ عمان، كما كان لتلك السلاسل دورها أيضا في تشكيل وظهور واحات منطقة الظاهرة بحكم جريان الأودية منها في هذا الاتجاه(٢).

وشهدت سواحل عمان المنحصرة بين سلاسل جبال الحجر وبين البحر قيام أهم موانئ عمان ومنافذها البحرية، بل وأهم محطات التجارة البحرية في العالم القديم والعصور الإسلامية. ويقسم هذا الساحل الطويل إلى قسمين هما:

الأول: من منطقة مسندم وحتى رأس الحمراء بالقرم وقد تكون هذا الساحل بفعل حركة الأمواج والرمال التي تحملها الأودية من جبال الحجر صوب البحر، وتقوم عليه موانئ هامة مثل ميناء صحار، الذي احتل مكانة هامة منذ العصر الساساني وحتى العصر العباسي الثاني، وأصبح أهم محطة تجارية في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي.

* الثاني: ويمتد من رأس الحمراء في الشمال وحتى منطقة رأس الحد في الجنوب، حيث تقترب سلاسل الجبال من البحر، مكونة ساحلا شديد الانحدار غنيا بالخلجان كما تظهر الجروف الصخرية ومنصات الارتطام متراكبة على بعضها البعض ومتجهة صوب اليابس، وتظهر تلك الظاهرة بوضوح فيما بين قريات وحتى صور. وقد ظهرت على هذا الساحل العديد من الموانئ مثل: مطرح ومسقط وسداب وحرامل وقريات وقلهات وطيوي وصور. ويعد الأخير أهمها على الإطلاق.

---

(١) انفصلت سلسلة جبال عنها بعد هبوط منطقة هرمز في البليوسين، حيث اتصلت مياه الخليج العربي بمياه المحيط الهندي.

(٢) شولتز، فريد، سلطنة عُمان مقدمة جغرافية، الجزء الأول، ص٣٠ وما بعدها، ألمانيا، ١٩٨٠م.

وساعد ظهور الخلجان الصخرية العديد من تلك الموانئ خاصة على وجود مناطق لحماية السفن من حركة الأمواج والظواهر البحرية العنيفة، وتعد صور أهم نموذج على ذلك[1].

من جهة ثانية أدى التنوع المناخي بين أقاليم عمان فيما بين الأقاليم الصحراوية والمتوسطية والمدارية، والموسمية، إلى ظهور حركة تبادل داخلية بين أقاليم عمان، فقد ظهرت حركة تبادل بين المناطق الداخلية ومناطق جعلان من جهة وبين ساحل صور من جهة ثانية. حيث قام أهل صور بتصدير سلعهم التجارية إلى أقاليم عمان الداخلية، كما تتجه العديد من القبائل إلى ساحل صور لمارسة حرفة صيد الأسماك أثناء موسم الصيد الرئيسي فيما بين شهري فبراير ومارس من كل عام، وتتم عملية التجفيف والتمليح ثم تحمل كميات كبيرة منه إلى الواحات الخلفية لمنطقة صور. خاصة بلاد بني بوعلي، وبلاد بني بوحسن، والوافي والكامل وأدم وسناو وغيرها من الواحات، كما حملت كميات كبيرة من الملح إلى قبائل البدو في المناطق الصحراوية[2].

وبسبب هذا الأمر أصبحت صور أهم المراكز الحضارية على سواحل عمان الشرقية حيث أصبحت جزءا من منظومة الاتصال العمانية عبر التاريخ وقامت بدورها الإقليمي بحكم ظروف عمان الطبيعية، وساهمت بدور واضح في الحياة الاقتصادية والحضارية.

وبسبب شكل امتداد سلاسل جبال حجر عمان، وأشكال السواحل في منطقة صور ورأس الحد، حيث تصل الجبال إلى الساحل أحيانا، وكذلك بسبب امتداد نطاق السبخات في مناطق الجنوب من صور، فإن صور أصبحت بحق هي منفذ المنطقة الشرقية من عمان حيث ساعدت التشكيلات الأرضية على ظهور خور العيجة، الذي مثل الميناء الهام لصور، حيث تنتشر القبائل الأخرى على اللسان البري القريب منه، وشكل خور العيجة مع صور أهم منافذ الجزيرة العربية وعمان على المحيط الهندي، بل وأهم محطة للسفن الشراعية العاملة في المحيط الهندي[3].

وتمكن هذا الميناء من خلال تجاره من ربط سواحل الخليج العربي بسواحل المحيط الهندي الإفريقية والآسيوية، وأصبحت قبيلة الجنبة العربية بأفخاذها[4]، من أهم القبائل العربية في مجال التجارة البحرية البعيدة عبر مياه المحيط الهندي. كما تمكنت تلك القبيلة من إنشاء شبكة دروب عبر الجبال والأودية إلى داخلية عمان.

٢- جغرافية المحيط الهندي وسواحله:

إذا نظرنا إلى جغرافية سواحل المحيط الهندي، باعتبارها عاملا هاما في إرساء أهمية ميناء صور منذ البداية. فتمتد تلك السواحل من الجنوب إلى الشمال ثم إلى الشرق، وتمثل منطقة

---

(١) شولتز، المرجع السابق، ص٩٦.

(٢) شولتز، المرجع نفسه، ص٩٧.

(٣) شولتز، المرجع السابق، ص١٢٢.

(٤) أفخاذ جنبة: العراما، الفوارس، المخانة، الغياليون.

رأس الحد وصور رأسا لها، حيث تأخذ سواحل المحيط الهندي شكل مثلث، قاعدته مثبتة على مياه المحيط المتجمد الشمالي، بينما تمثل السواحل الإفريقية ضلعه الأيسر، وسواحل الهند ضلعه الأيمن، في حين تستقر سواحل رأس الحد وصور على قمته في الوسط.

وبحكم هذا الموقع أصبحت سواحل صور تمثل القلب في عمليات التبادل والملاحة بعد سواحل المحيط الهندي، بل أن ميناء صور بما يرتبط به من مناطق خلفية هو آخر موانئ اليابس العربي داخل مياه المحيط الهندي، وصوب اليابس الهندي خاصة. كما أصبحوا أنشط الجماعات منذ البداية على السواحل الإفريقية من المحيط الهندي[1]، وبذلك أصبح أهل صور وتجارها بمثابة الوسيط التجاري والحضاري بين مناطق المحيط الهندي المتنوعة جغرافيا والمتباينة حضاريا.

ومن جهة ثانية أدت الظروف الطبيعية إلى عزلة ساحل الهند الغربي عن بقية أجزاء الركن بسبب امتداد سلاسل جبال الغات الغربية (أومر تفعات سايدري (Salyedri) ولا يتم الاتصال بين الشريط الساحلي لساحل المليبار وهو جيوجيرات إلا عبر ممرات ضيقة. وتنفصل هضبة الركن هي الأخرى عن بقية سهول الهند الشمالية لسلاسل جبال فندهيا (Vindhya) ومرتفعات آرافاني (Aravalli) لكن عملت المجاري النهرية التي تنبع من مرتفعات الدكن وجبال الغات وتصب في بحر البحر على تكوين خلجان هامة على سواحل المليبار وجوجيرات.

ورغم الظروف الطبيعية الصعبة التي تسود سواحل الهند الغربية، فإن تلك السواحل أصبحت هي النافذة الأساسية لتصدير منتجات الهند بصورة عامة وذلك لعدة أسباب هي:

١- انفصال الهند عن القلب الآسيوي بسبب امتداد سلاسل جبال الهملايا من الشرق إلى الغرب، بحيث كانت عمليات الاتصال البري عملية شاقة عبر ممرات جبلية وعرة

٢- موقع سواحل الهند الغربية على بحر العرب، وهو الجزء النشط من المحيط الهندي منذ القدم، وأثبتت الدراسات الحديثة ارتباط سواحل الهند الغربية بسواحل شبه الجزيرة العربية وشرق إفريقية منذ الألف الرابعة قبل الميلاد عبر مياه بحر العرب[2]. حتى ان الاسكندر الأكبر أدرك أن الوصول إلى ثراء الهند وإمكانياتها لا يتأتى إلا عبر سواحلها الغربية، وليس عبر ممرات هندكوش الوعرة المهلكة، من هنا فقد بدأ يفكر في إرسال حملات بحرية عبر نهر السند ومياه بحر العرب والخليج العربي[3].

٣- وبذلك أصبحت سواحل الهند الغربية تمثل مستودعا للسلع والمنتجات الهندية وشكلت رصيفا طويلا وهاما لصادرات الهنود، وبدأت جاليات عربية وغيرها في استقرار

---

(١) (Townsend, J, Oman the Making of Modernn state, P.15,16, London,1977)

(٢) أبو العينين، حسن سيد أحمد، دكتور، آسيا الموسمية، ص٢٣٧، ٢٣٨، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٤م.

(٣) (Wheeln. M, Eanly Lnolia and Paiban, P110, London, 1986) - حداد، جورج، تاريخ الحضارة، ص٨٩.

(٣) موراني، جورج فاضلو، العرب، الملاحة في المحيط الهندي، ص٤٣، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر، ومراجعة الدكتور يحيى الخشاب، الانجلو المصرية.

على طول تلك السواحل والعمل في حمل البضائع والمنتجات الهندية[1] وبدأت عمليات الارتباط الحضاري بين سواحل غرب الهند وسواحل الجزيرة العربية خاصة سواحل عمان، وكانت منطقة صور ورأس الحد تمثل أقرب نقطة من اليابس العربي في هذا الاتجاه.

وبالنسبة للساحل الافريقي، أو الضلع الآخر من المثلث، فانه هو الآخر قد انعزل عن داخل القارة الافريقية بسلاسل جبال تمتد من الجنوب حتى البحر الأحمر في الشمال، وتمثل تلك الجبال حافات للاخدود الافريقي العظيم[2] الذي يمتد من جنوب بحيرة ملادي إلى الشمال. ليشمل البحر الأحمر وينتهي في جنوب سوريا وأصبحت بحيرات، تنجاينقا وكينو وادوارد وموبوتو (ألبرت سابقا) وتوركانا بمثابة حواجز طبيعية صعبة للاتصال بين الساحل وداخل القارة الافريقية، حيث يتراوح عرض الأودية الأخدودية المكونة لهذا الاخدود داخل افريقية، ما بين ٤٠–٥٠ كم كما ترتفع حواف هذا الاخدود نحو الساحل الى ما يزيد عن ٢٠٠٠متر، بينما ينخفض قاع بحيرة تنجانيقا الى ٧٠٠ متر تحت سطح البحر.

وأصبحت ثروات القارة الافريقية من جهة الشرق والوسط تصل إلى سواحل افريقية الشرقية من خلال الجماعات العربية التي استقرت على طول تلك السواحل في مستوطنات تجارية كان لها الدور الكبير في وصل افريقية بالعالم الخارجي.

من جهة ثانية ساعد موقع صور على الاستفادة من ظاهرة طبيعية أخرى في المحيط الهندي وهي ظاهرة التيارات البحرية العظمى التي تتحرك في المحيط الهندي وهي التيارات التي تدور في شمال المحيط الهندي وتتأثر تلك التيارات بعوامل كثيرة منها تضاريس قاع المحيط الهندي وشكل سواحله، وكذلك بالرياح الموسمية التي تغير اتجاهها من موسم لأخر في منطقة المحيط الهندي حسب توزيع مناطق الضغط الجوي.

فبالنسبة لتضاريس قاع المحيط الهندي وتأثيرها على حركة التيارات البحرية، حيث اتضح أخيرا للعلماء المشاركين من البعثة الدولية للمحيط الهندي التابعة لليونسكو[4]، أن

---

(١) المليباري: زين العابدين، تحفة المجاهدين، ص٤٨، طبعة بيروت، تقديم محمد سعيد الطريحي.
(٢) النووي، محمد ، الهند القديمة، ص٢٠٨، ٢٠٩.
(٣) نشأ في العصر الكرتياسي بسبب الضغط الجانبي للقشرة الأرضية.
انظر أبو عيانة، فتحي، دكتور، الجغرافيا الإقليمية، ص ٣٨٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.
(٤) كان الدافع الأساسي لإرسال البعثة الدولية إلى المحيط الهندي فيما بين ١٩٥٩ – ١٩٦٥م هو الشعور العام بين علماء البحار بمدى ضآلة معرفتهم بهذا المحيط الضخم الذى كان له الدور الأساسي في الملاحة في تاريخ البشرية حتى العصور الحديثة. ومن الأمور التى تثير الدهشة أن علماء البحار كانوا يعتبرون، حتى وقت قريب أعماق المحيط الهندي وقاعة أرضا مجهولة، في الوقت التى كانت فيه سفن الفضاء تقتحم فيه الآفاق البعيدة للمجموعة الشمسية، مع أن المحيط الهندي يحتل مساحة كبيرة من كوكب الأرض تقترب من سبع مساحة الكرة الأرضية وما زالت علوم البحار والمحيطات تركز اهتماماتها الحديثة على دراسة الظواهر الطبيعية في المحيط الهندي، وبعد أن أنشئت مراكز للعلوم البحرية في معظم الدول المطلة عليه حديثا وتمكنت دول مثل الهند وأندونسيا، على سبيل المثال أن تنهض بإمكانياتها وتستغل جزءا كبيرا من مياهها الدولية وقد ضاعف ذلك دخلهما القومي.
انظر: بيرمان، دانييل، اقتحام المجهول الأعظم، البعثة الدولية للمحيط الهندي، ١٩٥٩–١٩٦٥م، ترجمة شعبة الترجمة العربية باليونسكو والدكتور أنور عبدالعليم، مراجعة شعبة الترجمة العربية باليونسكو والدكتور مكرم أمين جرجس، اليونسكو، ١٩٨٦م، ص٥.

تضاريس قاع المحيط الهندي يختلف عن تضاريس قيعان المحيطات الأخرى، حيث يوجد به عدد كبير من الهضات تحت البحر تعلوها أحيانا بعض الجزر، وتكون ذات أبعاد شاسعة في كثير من الأحيان ومن أشهرها هضبة سيشل وقد اتضح للبعثة الدولية انسجام تضاريس قاع المحيط الهندي مع حركة التيارات البحرية العميقة أو التيارات السطحية. حيث تم العثور على تيار كامل يتجه من موريشيوس في الجنوب وبمحاذاة مدغشقر، مع سواحل شرق افريقية حتى ساحل الصومال شمالا، وهو تيار عميق يتراوح عمقه ما بين ٦٠٠ –١٠٠٠ متر ويتمكن هذا التيار من عبور خط الاستواء إلى بحر العرب، وتبلغ سرعته من ٢ إلى ٤ ميل في الساعة، ويتجه إلى جنوب جزيرة سوقطرى.

٣- الرياح الموسمية:

أما الرياح الموسمية فلها تأثيرها الهام والمؤثر في حركة التيارات البحرية والملاحة في المحيط الهندي. حيث يترتب عليها تغيرات في حركة التيارات البحرية في شمال المحيط الهندي وتعتبر تلك الرياح مظهرا من مظاهر الإختلاف الحراري الفصلي بين كل من اليابس والمسطحات المائية المجاورة له، وما يترتب على ذلك من حدوث نظام هائل من التيارات الصاعدة. بحوالي خمسين فرسخاً.

ولم يظهر مصطلح رأس الحد في أدلة البحارة وكتب الجغرافيين المسلمين، بل كانت تلك المنطقة تعرف باسم (رأس الجمجمة) او (رأس الجمحة) فيقول المسعودي في مروجه في تحديده للخليج العربي (فأول هذا البحر مما يلي البصرة والأبله والبحرين من خشبات البصرة[1] والموضع المعروف بالكفلاء، وهي علامات منصوبة من خشب في البحر مغروسة علامات للمراكب إلى عمان .. ومن عمان وقصبتها صحار ومن المسقط إلى رأس الجمجمة خمسون فرسخاً[2].

وبذلك تعتبر منطقة رأس الجمجمة او رأس الجمحة او رأس الحد هي نهاية حدود الخليج العربي الجنوبية مع المحيط الهندي أما السواحل التي تبدأ من غرب رأس الجمجمة او رأس الحد، فتسمى المياه التي تطل عليها باسم بحر العرب أو بحر اليمن وهي تشمل القسم الشمالي من المحيط الهندي الذي يطل عليه سواحل شمال شرق افريقية وسواحل جنوب الجزيرة العربية وسواحل إيران الجنوبية وسواحل الدكن الهندية من جهة الغرب. وقد ظل

---

(١) عبارة عن أربعة أعمدة كبيرة من خشب الساج، مثبتة على قاعدة مربعة الشكل متسعة وقمتها ضيقة، وترتفع تلك القاعدة عن سطح البحر أربعين ذراعا، وعليها الأعمدة الخشبية كأنها سقف، ومن فوقها يقف الحراس لكي يوقدوا النار. وكان الغرض من تلك الخشبات منع ارتطام السفن بقاع البحر في تلك المنطقة من المياه الضحلة عند مدخل ميناء البصرة، والحيطة من القراصنة الذين يتربصون بالتجار وسفنهم في شمال الخليج. والثالث تنبيه السفن لتجنب أخطار الدخول صوب مناطق تتركز بها الملوحة تسمى الجرارة التي تعطب السفن بسبب شدة ملوحتها.
انظر: خسرو، ناصر، سفر نامة، ص ١٠١، ١٥٢، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٤٥م.
– المري، حسين، العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق ومنطقة الخليج العربي، ص ٢١٦.

(٢) ط، ص ١٤٩.

هذا التحديد الجغرافي معتمدا في العصور القديمة وفي العصور الإسلامية، حيث اتفقت عليه المصادر الإسلامية عند ابن حوقل والمسعودي وغيرهما من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين حتى شبه البعض منهم الخليج العربي بأنه مثلث الشكل على هيئة القلع يرتكز على مياه المحيط الهندي في الجنوب، ورأسه عند البصرة وأحد أضلاعه من البصرة إلى رأس الجمحة (رأس الحد) والضلع الآخر من البصرة وحتى ميناء تير مكران على سواحل إيران الجنوبية، أما الضلع الثالث فيمثل ضلعا مائيا يمتد من منطقة

وتتغير الرياح الموسمية حسب فصول هبوبها، فتبعا لارتفاع درجة الحرارة على أواسط آسيا بسبب حركة الشمس، يتكون فوق منطقة آسيا منطقة ضغط منخفض عظمى، ومن ثم تتجه الرياح، من مراكز الضغط المرتفع فوق المحيط الهندي والعروض المدارية إلى مراكز الضغط المنخفض الآسيوية[١].

فتهب الرياح الموسمية الجنوبية الشرقية على ساحل شرق آسيا أما الرياح التجارية الجنوبية الشرقية التي تخرج من المحيط الهندي وتتجه صوب البحر العربي، فتصبح جنوبية غربية بعد عبورها الدائرة الاستوائية، وتنحرف صوب اليمين باتجاه ساحل الهند الغربي وتسقط امطار غزيرة على تلك الجهات، كما يكون لها الدور الكبير في حركة الملاحة في شمال المحيط الهندي، خاصة بين ساحل شرق افريقية وسواحل جنوب الجزيرة العربية، وساحل غرب الهند وتمثل صور قلبا في هذا الخط الملاحي ورأسا له[٢].

أما في فصل الشتاء الشمالي، عندما تنخفض درجة الحرارة على أواسط آسيا، تتكون في المنطقة منطقة ضغط مرتفع عظمى، وتندفع الرياح صوب المسطحات المائية، وتتميز تلك الرياح بجفافها وبرودتها وقلة نسبة الرطوبة بها، ولا تسقط أمطارا إلا بعد عبورها لمسطحات مائية، خاصة سواحل الغات الشرقية وجزر جنوب شرقي آسيا. وتخرج في تلك الأثناء الرياح التجارية الشمالية الشرقية من مناطق الضغط المرتفع الآسيوي، وتتقابل مع الرياح التجارية الجنوبية الغربية[٣].

وتتميز الرياح الموسمية الجنوبية الغربية الصيفية التي تهب على السواحل الجنوبية الغربية لآسيا ومنها منطقة بحر العرب بعظم قوتها وارتفاع درجة حرارة هوائها، بسبب مرورها فوق مسطحات مائية واسعة، فتسقط أمطارا غزيرة وتتغير حالة الطقس بصورة فجائية وتحدث عواصف الرعد والبرق المتلاحقة[٤]. وتحدث تلك الرياح فيضانات مدمرة تدمر المنازل والمنشآت خاصة في منطقة ساحل الهند الغربي، وتسبب أعاصير تغرق عشرات القرى وتخلف عشرات الآلاف من القتلى، وتتكرر تلك المأساة باستمرار في جنوب

(١) أبو العينين، آسيا الموسمية، ص ١٦٥ وما بعدها.
(٢) أبو العينين، المرجع نفسه، ص١٧٠.
(٣) حميدة، جغرافية آسيا، ص ٣٤.
(٤) الفندي، طبيعيات البحر وظواهره، ص١٧٤.

آسيا. وقد مثلت تلك الظواهر الموسمية خطرا حقيقيا أمام الملاحة العربية في بحر العرب والمحيط الهندي، ومنها منطقة صور.

وتعتمد حركة السفن التجارية من صور صوب سواحل الهند الغربية أو سواحل الديبل جهة الشرق، وكذلك صوب سواحل افريقية الشرقية جهة الجنوب الغربي على نظام الموسميات (the Monsoons) حيث تبدأ الرحلة التجارية من بداية شهر ديسمبر حيث موعد الرياح المناسبة في شمال المحيط الهندي، في الوقت الذي تكون سفن موانئ الخليج الأخرى مثل سفن أهل البصرة وسيراف والبحرين وصحار قد وصلت بعضها إلى ميناء صور معتمدة في رحلتها على ريح الصبا وريح الدبور[١].

وتبدأ مواعيد الابحار لسفن أهل صور مع دخول الشمس برج الحمل ويوافق ذلك ٢١ مارس من كل عام، حيث تكون الشمس قد وصلت إلى نقطة الاعتدال الربيعي[٢] وأكملت دورة كاملة فلك البروج وترتبط المرشدات الملاحية التي يستخدمها الملاحون من أهل صور وغيرهم على طرق حسابية لاستخراج التواريخ ابتداء من هذا اليوم فيقال مائة من النيروز، أو مائة يوم من الاعتدال الربيعي[٣].

ومازالت دراسة عملية الإبحار في بحر العرب تحتاج إلى دراسات ميدانية عديدة ومراجعات متخصصة لتعديل بعض الدراسات التي تعرضت لمسألة الملاحة في المحيط الهندي واعتقدت خطأ أن عملية الإبحار تتم بصورة مستمرة طوال العام، وأنها لا تخضع لمواسم ونظم معينة، وقد تجاهلت تلك الدراسات الخبرة العملية الطويلة التي أحرزها العرب وأهل عمان في هذا المجال ونقلوها إلى أحفادهم من بعدهم[٤].

ونظرا لأهمية موقع منطقة رأس الحد وصور على خطوط الملاحة والتجارة البحرية فقد اعتبرت منطقة رأس الحد هي نهاية حدود الخليج العربي نحو الجنوب، حيث تبدأ السواحل الخليجية من البصرة شمالا عبر البحرين وصحار ومسقط وحتى رأس الحد جنوبا، وقد حدد الجغرافيون المسافة بين ميناء مسقط ورأس الحد وصور وحتى ميناء التيز[٥] بمكران، وقد حدد طول الضلع العربي من هذا المثلث فيما بين البصرة ورأس الحد بحوالي تسعمائة

---

(١) رياح محلية بمنطقة الخليج العربي، حيث تأخذ ريح الصبا اتجاها شماليا شرقيا إلى جنوبي غربي بينما تأخذ ريح الدبور اتجاها جنوبيا غربيا إلى شمالي شرقي.

- انظر عبدالعليم، أنور، دكتور، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص ١٥٩، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٣.

(٢) طوبوسن، أمين، الجغرافيا الفلكية، ص١٨٦، دمشق، ١٩٨٦م.

(٣) راجع المرشدات الملاحية بالمديرية العامة للوثائق والمخطوطات، وزارة التراث القومي والثقافة.

(٤) عثمان، شوقي، تجارة المحيط الهندي، ص٨٨.

(٥) ميناء يقع على ساحل مكران المطل على ساحل بحر العرب، وترجع أهميته إلى أنه يقع على ساحل مكران ويخدم هذا الإقليم والمناطق التي تتبعها من مدن وقرى زراعية من هنا كان الميناء أهم موانئ ساحل مكران حيث أصبح المنفذ الأساسي لتجارة إقليم مكران مع العالم الخارجي.

انظر: - ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٧٦، ٢٧٧.

- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٣٦٠.

ميل[١] ، بينما المسافة بين منطقة رأس الحد وتيز مكران حوالي خسمائة ميل[٢].

واحتلت صور أهميتها في تجارة الخليج العربي والمحيط الهندي، حيث شكلت نقطة هامة في هذا المثلث البحري لتصبح الميناء الهام على الضلع العربي الغربي للمثلث وكذلك على طول قاعدته بين رأس الجمحة وبين تيز مكران، كما يذكر النويري بقوله: ان صور هي ساحل بلاد عمان مما يلي اليمن[٣] وأصبحت مركزا للسفن الخليجية الهابطة من الشمال صوب المحيط الهندي والمتجهة إلى الهند والصين من جهة أو إلى شرق افريقية من جهة ثانية، حيث كان النواخذة ورجال البحر يستدلون على منطقة رأس الجمحة في إبحارهم بالمحيط الهندي[٤]، وكانت صور هي المحطة الهامة القريبة من هذا الرأس وخاصة وأنه يمثل اقصى امتداد للجبال صوب بحر العرب[٥].

وهكذا ساعدت العوامل الجغرافية والطبيعية التي وهبتها الطبيعة لساحل صور على تفرد هذه المنطقة بمزايا جغرافية، واستراتيجية هامة، وقد تمكنت الجماعات البشرية من استغلال تلك المزايا وعملت منذ البداية على تطوير قدراتها للتعامل مع تلك الظروف الجغرافية، فبرعت في ذلك واكتسبت خبرات عالية في مجالات التجارة، والتبادل والملاحة البحرية، وعلى سواحل صور، كانت البدايات والمهد الأول الذي تربى في كنفه الفينيقيون ومن جاء بعدهم من الأمم وارتبطت بأرض صور ومياهها.

ثانيا: العوامل التاريخية:

وانطلاقا من تلك المعطيات الجغرافية، فإن منطقة شبه الجزيرة العربية قد شهدت تطورات تاريخية منذ نهاية العصر المطير وتحول الجماعات البشرية السامية إلى البحث عن مناطق جديدة للاستيطان[٦]، فإذا كانت اليمن قد أصبحت مركزا للجنس العربي منذ تلك الفترة، فإن منطقة صور، والمناطق التي تقع خلفها قد شهدت قدوم جماعات سامية، يبدو أنهم من الجنس الكنعاني.

وتؤكد الدراسات التاريخية والأثرية الحديثة أن منطقة صور ورأس الحد كانتا البيئة الأولى التي بدأ فيها ظهور ونمو مواهب وقدرات العنصر الفينيقي في مجالات الملاحة والتجارة، على أساس أن سواحل صور كانت الموطن الذي بدأت فيه عملية الإرتباط بين الفينيقيين وبين البحر، بحكم ظروفها الجغرافية، وذلك قبل التحركات الفينيقية التي ظهرت منذ الألف الثانية قبل الميلاد، وتوجههم صوب السواحل الشامية على البحر المتوسط، عبر

---

(١) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٢٨.

(٢) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ١، ص٢٢٧.

(٣) المصدر السابق، جـ١، ص٢٢٧.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص١٦١، طبعة دار صادر، بيروت.

(٥) المقريزي، تقي الدين، الخطط المقريزية، جـ١، ص٢٨.

(٦) موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، ص ٤٣؛ بيروت، ١٩٨٦م.

سواحل الخليج العربي[١].

فقد استغل الفينيقيون موقع سواحل عمان في منطقة رأس الحد وما حولها، بالنسبة للعالم القديم، وقاموا بدور كبير في مجال الوساطة التجارية، خاصة وأن منطقة الأنهار في العالم القديم قد ظهرت بها مدنيات راقية، كما في انهار السند وانهار بلاد الرافدين ونهر النيل، بعد توافد الجماعات البشرية إليها في أعقاب زحف الجفاف. واحتلت الموانئ الفينيقية، وأهمها صور، مكانة هامة بين تلك المدنيات والحضارات.

وقامت تلك الموانئ الفينيقية، بما فيها صور، بدور كبير في مجالات التبادل التجاري والتأثير الحضاري بين تلك المراكز، فحققت بذلك شهرتها وأهميتها في العالم القديم، وزادت خبرة ودراية الفينيقيين بسواحل المحيط الهندي الأسيوية والافريقية[٢]، وتطورت بالتالي قدراتهم الملاحية عبر مياه المحيط الهندي الواسعة وظواهره المتعددة وزادت درجة الاعتماد على وساطة الفينيقيين، من موقعهم على سواحل عمان، في نقل وحمل سلع المحيط الهندي إلى مدنيات العالم الأخرى.

فقد أصبحت منطقة بلاد الرافدين والهلال الخصيب في حاجة إلى مواد خام، خاصة من النحاس وأحجار الديوريت (Diorite) وأنواع من الأخشاب وبدأت عمليات الملاحة تزدهر في منطقة الخليج العربي منذ الألف الثالثة قبل الميلاد وشهدت عمليات التبادل التجاري تنظيما واسعا منذ تلك الفترة على طول السواحل العمانية والبحرينية من خلال المراكز التي قامت لخدمة عمليات التبادل التجاري بين الطرفين[٣].

فكانت السفن تبحر من المحيط الهندي إلى الخليج العربي محملة بالأحجار الكريمة والعاج والفضة والأخشاب النادرة بالإضافة إلى الأحجار والنحاس من مناطق الخليج العربي[٤]، وقد وردت نصوص ملكية منذ الألف الثالثة قبل الميلاد تصف عمليات التجارة وحركة السفن في موانئ بلاد الرافدين منذ عصر الملك سرجون الأكادي (٢٣٣٤-٢٢٧٩ق.م) وجوديا حاكم لجاسن[٥] كما عددت تلك النصوص أنواع السلع التي تصلها من مجان مثل الخشب والنحاس والفضة.

واحتلت السواحل العمانية أهمية خاصة في تلك المرحلة فقد عثر على نص من عهد الملك أبي سن (Abi- Sin) (٢٠٢٩-٢٠٠٦ ق.م) يشير إلى دور هام لسواحل مجان وأرضها في حياة أهل مدينة أور بجنوب العراق، وتتضمن النصوص إشارة إلى شراء النحاس من مجان ومرور السفن ببحر مجان وكذلك البوص والأخشاب من مجان بالإضافة إلى مواد

---

(١) لوفران، تاريخ التجارة، ص١٤، ص١٥.

(٢) اعتمدت عليهم المشاريع الفرعونية المصرية لاكتشاف سواحل افريقية، كما سنرى فيما بعد.

(٣) كاسون، المرجع السابق، ص٨.

(٤) (Barton, G.A, the Royal Lnocritpions of Summer and Akkad P. 101)

(٥) (Kramen, S.N, the Summerlans, P324, Lndon, 1970)

أخرى عبر سواحل مجان خاصة الطيور والعاج(١).

وتحتفظ المتاحف العالمية بالعديد من نصوص بلاد الرافدين، وتحاول أن تجعل من تلك النصوص العمود الفقري في الدراسات التاريخية للمناطق المجاورة لها أو التي دخلت في علاقات معها دون التأمل في ظروف وخصائص تلك المناطق، في ظل ندرة أعمال الحفر والتنقيب في تلك المناطق.

ومع أهمية سواحل عمان في نظر حكام الرافدين فقد أشارت وثائق أخرى لحكام العصر الأكادي بظهور صراع عسكري من قبل خلفاء سرجون لمحاولة فرض سيطرتهم على سواحل مجان وضمان مرور قوافل السفن التجارية إلى بلادهم وتأمين طلب المواد الخام من عمان. فقد ورد في نص الملك مانشتوسو (Maniohtusu)(٢٢٦٩-٢٢٥٥ ق.م)، حينا اتجه على رأس حملة بحرية وأخضع بعض مدن عمان وأحضر الأحجار والفضة(٢)، كما قام نارام سن (Naram- SIN) (٢٢٥٤-٢٢١٨ ق.م) بالتوجه على رأس حملة أخرى في الخليج(٣)، وقبض على ملك مجان مانودانو، وحصل على غنائم كثيرة من مجان.

وكانت العمليات العسكرية التي قام بها حكام الرافدين هدفها الأساسي تأمين طرق التجارة البحرية القادمة من المحيط الهندي إلى بلادهم، وقد حرصوا على توفير الأمن والاستقرار في ربوع بلادهم من أجل المحافظة على تدفق التجار وسلعهم إلى مدن العراق، حتى أن الملك أورنامو عين مسؤولا من أجل الحفاظ على أمن التجار وسلامتهم الشخصية وتتبع حركتهم داخل بلاده. وبالفعل أصبحت السلع الهندية والافريقية متوفرة في بلاد الرافدين، وقد وجد علماء الآثار في خرائب مدن العراق القديم والتي ترجع إلى الألف الثالثة ق.م أصدافا كبيرة ذات قشور ضاربة إلى البياض تشبه هذه الأصداف الشانك (chank) الهندي المقدس الذي لا يوجد إلا في مياه سواحل الهند وسيلان. كما عثروا على كثير من الأختام وعليها تأثيرات هندية واضحة. كما حملت السفن إلى بلاد الرافدين العاج والجلود من افريقية(٤).

من جهة ثانية أهتم الفراعنة منذ الألف الثالثة أيضا بتجارة المحيط الهندي وسلعه عبر البحر الأحمر، وانصبت الاهتمامات الملكية الفرعونية على تأمين الطرق الموصلة إلى البحر الأحمر، عبر الأودية القاحلة في صحراء مصر الشرقية، خاصة وادي الحمامات، حتى تمكن سنوسرة من حفر قناة تصل بين النيل والبحر الأحمر، وقد أغنتهم تلك القناة عن الجهد الشاق لحمل البضائع من سواحل البحر الأحمر إلى النيل(٥)، وأصبحت منطقة وادي النيل، أهم مناطق لاستهلاك كميات كبيرة ومتزايدة من سلع ومنتجات المحيط الهندي

---

(١) (Hawles, the Great civilazation, P. 72)

(٢) (Rouy, G. Anaent Laq. London, 1964, 144)

(٣) أطلق على الخليج العربي في النصوص القديمة لبلاد الرافدين أسماء منها: البحر السفلي، البحر المر.

(٤) كاسون ٢/١ رواد البحار ص ٩و١٠.

(٥) فخري، أحمد، دكتور، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص١٣٥ وما بعدها، الطبعة الثانية، الانجلو المصرية.

وبلدانه، خاصة من البخور والتوابل والجلود والعاج والصمغ والمر. وهي سلع ومواد لها أهميتها في الحياة اليومية والجوانب الدينية في العالم القديم الوثني.

ويؤكد الباحثون أن ثورة الاتصال الأولى في مسيرة البشرية قد وقعت منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، في ظل ظهور التجمعات البشرية الجديدة والتوجه صوب ظهور الدول، فظهرت أهمية الموانئ الفينيقية منذ تلك الفترة، في ظل تلك الثورة الحضارية وإقبال الشعوب على التبادل التجاري، كما أدى تطور نظم الملاحة، وتطور صناعة الفخار إلى تقدم عمليات النقل والتخزين والحفظ[1]. وأصبحت موانئ صور وغيرها من الموانئ الفينيقية العمانية تمثل همزة الوصل بين مناطق الإنتاج والاستهلاك. رغم عدم وجود نصوص تحدد اسمهم بالتحديد، وإن كانت تلك النصوص المبكرة قد اكتفت بذكر سواحل عمان فقط.

وإن كان ذلك يرجع في المقام الأول إلى أن أول تسمية لهم باسم الفينيقيين قد ظهرت فيما بعد على يد اليونان، بعد هجرة الفينيقيين من ساحل صور إلى ساحل الشام ومجاورتهم لليونان عبر مياه البحر المتوسط واحتكاكهم المستمر معهم، وقد أطلقت عدة تسميات على تلك الجماعات قبل استقرارهم النهائي على ساحل صور، ومن تلك الاسماء (الصيد ونيين) نسبة إلى صيدون، إحدى مراكزهم الجديدة على الساحل الشامي، حتى استقروا باسم الفينيقيين (Phoinikes) ويبدو أن هذا الاسم له دلالة على صلة بينهم وبين البحر، فمن الناحية اللغوية يشير إلى اللون الأحمر الداكن الذي اختص به الفينيقيون في صناعة المنسوجات[2]، ومازال يوجد حول صور اللبنانية عدد من مخلفات استخراج هذا اللون، كما أن اللون الأحمر يرتبط بشعارهم الذي حملوه معهم إلى الساحل السوري، وهو ثمرة النخيل، من سواحل عمان وسواحل البحرين[3].

كما ارتبط التجار الفينيقيون منذ البداية بالعمل دون الاهتمام بالدعاية والاعلان عن دورهم ومجالاتهم، وارتبطوا بالسرية والتكتم في عملياتهم التجارية، وهي عملية ضرورية لحماية مصالحهم من التعرض للأخطار وظهور قوى منافسة لهم. ويحكى أنه عندما تبع بحار غريب أحد التجار الفينيقيين ليعرف طريق تجارته، دفع الفينيقي سفينته وحطمها، ولقد اعتبرته حكومة مدينته بطلا قوميا وعوضته عن تلك الخطوة التي حفظ بها الأسرار القوية لبلاده.

وقد ارتبط هذا الشعب الذي اشتهرت مدنه في البحر المتوسط باسم الفينيقيين وبدأت الاشارات تؤكد على أصوله المرتبطة بمنطقة صور وسواحل عمان المطلة على المحيط الهندي، فيذكر السيابي في عمان عبر التاريخ أن الفينيقيين من سكان عمان قبل قدوم العرب إليها، وكانت صور بلادهم ثم ارتحلو عنها، واستدل على ذلك من تسمية صور التي

(١) فخري، المرجع السابق، ص٣٤.

(٢) كاسون، المرجع السابق، ص ٨٥.

(٣) وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، جـ٥، ص١١٣.

تقع على الساحل الشامي المطل على البحر المتوسط[1].

ونظرا لقدم أعمال التنقيب في منطقة البحرين واهتمام مؤرخيها بتاريخها القديم فقد أكدت دراسات مؤرخيها على أن الفينيقيين قد قدموا من سواحل صور العمانية واتجهوا إلى البحرين قبل ان يصل بهم المطاف إلى ساحل بلاد الشام. واستقروا فترة من الزمن على السواحل وفي جزر البحرين ويذكر النبهاني الطائي في تحفته أن هناك عشرات القبور في منطقة تسمى المراقيب، غرب الرفاع، ويعتقد أهل المنطقة وبعض المؤرخين أنها للفينيقيين الذين هاجروا من مواطنهم الأصلية، واستقروا قرب مدينة القطيف الحديثة في بلدة الخط، وهي المنطقة التي اشتهرت قديما باسم جرّها، أو الجرعاء[2] واستدل النبهاني الطائي على ذلك بأمور منها:

- **الأمر الأول:** التقرير الذي أعدته لجنة المتحف البريطاني بناءً على آثار بعض تلك القبور التي ارسلها المستر تيودور (بنت)، حيث أكدت على أنها من أصل فينيقي. وأنها ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد،

- **الأمر الثاني:** ما ذكره القائد اليوناني نيار خوس، حينما اتجه بحملته إلى الخليج ونزل مدن البحرين وهو أحد قواد الاسكندر المقدوني حينما ذكر أنه زار مدينة فينيقية على ساحل البحرين بالخليج وتدعى ترين، ويتضح من وصفها واسمها أنها دار خيرا عند العرب[3] وهذا يدل على أن اليونان وهم القوة الحضارية الهامة في البحر المتوسط، كانوا على علم ودراية بأصول الفينيقيين. كما استعان اليونان بالفينيقيين في بناء السفن في منطقة الخليج العربي في القرن الرابع قبل الميلاد.

ومهما يكن من أمر فان الفينيقيين هم جماعات سامية كان موطنها الأصلي على ساحل صور المطل على المحيط الهندي وأنهم أحدى الجماعات الكنعانية التي هاجرت من مواطنها الأصلية من شبه الجزيرة العربية، والدليل على ذلك ما يلي:

١- ما ذكره المؤرخ اليوناني هيروديت (Herodate) في تاريخه أن جماعات الفينيقيين كانت تسكن على ساحل البحر الأريتري، أي ساحل بحر العرب من المحيط الهندي، ويقول (كما يقولون هم أنفسهم) ثم انتقلوا إلى سواحل سوريا المطلة على البحر المتوسط. وقد ذكر هيروديت أن تلك الهجرة وقعت في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد[4].

---

(١) جـ١، ص٦٠، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٢) النبهاني الطائي، محمد بن خليفة بن حمد، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ص٣٤، المكتبة الوطنية، البحرين، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٣) المصدر السابق، ص٣٦.

(٤) مؤرخ يوناني ولد ٤٨٤ ق.م في أسيا الصغرى زار معظم أقطار الشرق الأدنى وحتى سواحل البحر الأسود وجنوب روسيا، واستقر أخيرا في مدينة توري في جنوب ايطاليا، وهي احدى المستوطنات التي أقامتها أثينا في ايطاليا، وظل بها حتى توفي ٤٢٥ ق.م تعد كتاباته عن منطقة الخليج هامة بسبب اهتمامه بالصراع بين الفرس واليونان ومحاولته كتابة تاريخ الحروب الفارسية اليونانية، وقد تمكن من الإلمام بالمصادر الأدبية بصورة عامة عند الحضارات القديمة في الشرق الأدنى القديم، وسمى هيرودوث كتابه (تمحيص التاريخ)

- أحمد بدوي، هيروديت يتحدث عن مصر، ص ١٢ وما بعدها، القاهرة، ١٩٦٦م.

وقد أيد هذا الرأي المؤرخ اليوناني استرابون (Strapon) الذي وجد تطابق اسماء مدن الفينيقيين على البحر المتوسط مع مدنهم السابقة في منطقة الخليج العربي وذلك أثناء زيارته إلى المنطقة رغم مرور ألفي سنة على الهجرة الفينيقية. وقد سجل اعترافات سكان المنطقة بأن سكان مدينة صور من مهاجريهم وبالفعل وجدت هناك اسماء متشابهة بين تلك المدن في الخليج العربي وعلى ساحل البحر المتوسط مثل صور العمانية، وجبيل وكذلك عراد بالبحرين التي خوّرت إلى أرواد إحدى جزر الفينيقيين على شاطئ طرطوس على البحر المتوسط.

٢- تشابه الآثار التي عثر عليها في البحرين حديثا، مع آثار الفينيقيين على ساحل البحر المتوسط خاصة في القبور التي عثر عليها في البحرين وتشابهها مع نواويس الفينيقيين على ساحل لبنان[١]، رغم تأثر الفينيقيين ببعض طقوس الدفن المصرية، من خلال علاقاتهم الوثيقة مع الفراعنة وخضوعهم لهم فترة من الزمن.

٣- تشابه نماذج السفن الفينيقية التي عثر عليها مرسومة على حوائط المقابر مع السفن العربية المستخدمة في منطقة صور العمانية والخليج العربي، من حيث وجود سفن شحن ذات قاع عميق ليس لها ظهور، تحاط بسياج مرتفع لكي تحمل ما تستطيع من البضائع حتى تبدو السفينة وكأنها طاسة مستطيلة[٢] وهذا النموذج من السفن مرتبط ببحر العرب والخليج العربي وظل حتى العصور الحديثة؛ اما شكل الشراع فقد ظل يتطور حتى وصل إلى شكله المثلث في مراحله الأخيرة[٣].

٤- يشير بعض المهتمين بالهجرات القديمة إلى أن هجرات الشعوب السامية من شبه الجزيرة العربية بدأت من منطقة غرب الخليج العربي في اتجاه الشمال أو الشمال الشرقي أي باتجاه بلاد الرافدين والهلال الخصيب وسواحل سوريا. وذلك بسبب زحف مناطق الجفاف شمالا، منذ نهاية العصر المطير[٤]. وهذا الأمر ينطبق على توجهات الهجرات الفينيقية بعد تحركها صوب منطقة البحرين.

٥- يجمع المؤرخون على أن الكنعانيين ومنهم الفينيقيون قد وفدوا إلى ساحل سوريا ولبنان المطل على البحر المتوسط في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، واستقر بهم المقام على هذا الساحل بعد هجرتهم من شبه الجزيرة العربية. ويحدد هؤلاء المؤرخون أنهم قدموا

---

(١) هيرودوت، تاريخ، جـ٢، ص٩٣، ترجمة حبيب بطرس.

(٢) كاسون، رواد البحار، ص٣٠،٣١.

(٣) كان الشراع المثلث من اختراع البحارة العرب في منطقة بحر العرب والخليج رغم أن اسمه الشراع اللاتيني (Latin) وذلك بسبب استعماله بكثرة من قبل السفن الأوروبية في العصور الحديثة، خاصة بعد بداية الكشوف الجغرافية ويتميز الشراع المثلث بقدرته الفائقة على دفع السفن واستثمار الرياح بصورة أفضل والابحار في المسارب المائية الضيقة.

- صوراني، العرب والملاحة، ص٢٧١.

(٤) الخازن، نسيب وهيبة، من الساميين إلى العرب، ص١٨، لبنان ١٩٦٢.

من منطقة تطل على البحر بدليل شهرتهم في الملاحة وركوب البحر[1].

وإذا نظرنا إلى سواحل شبه الجزيرة فإننا نجد أن هناك ذراعين يمتدان حولها وهما الخليج العربي من الشرق والبحر الأحمر من الغرب مع وجود قاعدة بحرية لها مطلة على بحر العرب وهو جزء من المحيط الهندي. ونظرا لضعف الدور الملاحي عبر العصور التاريخية للبحر الأحمر، فإنه من الأرجح أن تكون سواحل الجزيرة العربية المطلة على بحر العرب وسواحل الخليج العربي هي الموطن الأصلي للجماعات الكنعانية. ونظرا لأهمية سواحل صور بالنسبة للخليج والمحيط الهندي وتجارة العالم القديم فإنه من المرجح أن تكون صور وسواحل عمان المجاورة لها هي الموطن الأصلي للفينيقيين.

٦- تمكن الفينيقيون من صور العمانية من احتكار طرق التجارة البحرية عبر سواحل المحيط الهندي الآسيوية والافريقية، كما احتكروا تجارة البحر المتوسط وسواحله بعد ذلك، والدليل على اعتماد فراعنة مصر على الخبرات الفينيقية للقيام بنشاط بحري واسع على سواحل افريقيا الشرقية وشق قناة لوصل البحر الأحمر بنهر النيل، كما أن أحد الفراعنة قام بتجهيز حملة بحرية من بحارة فينيقيين للدوران حول افريقية من البحر الأحمر إلى سواحل أفريقيا الشرقية ثم الدوران حول أفريقية والوصول إلى الغرب ثم الالتفاف عبر طريق جبل طارق[2] وكان هؤلاء البحارة من الفينيقيين على علم بسواحل افريقية الشرقية. وقد استمرت تلك المحاولات للالتفاف حول افريقية حتى العصر الروماني.

ويبدو أن الجماعات الكنعانية ومنها الفينيقيون قد بدأت تهاجر من مواطنها الأصلية المطلة على المحيط الهندي إما بسبب تغير الظروف الطبيعية للمناطق التي يسكنون فيها وزحف الجفاف عليها وبالتالي أخذوا في الاتجاه صوب الشمال في البحرين ثم استقر بهم المقام على ساحل الشام المطل على البحر المتوسط، أو أن تلك الجماعات قد تعرضت لضغط جماعات أقوى[3].

وإن كنا نرى أن السبب الأساسي في ذلك هو ظهور مدنيات مزدهرة في منطقة العراق منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، مما أدى إلى تحرك الجماعات الكنعانية صوب الشمال الشرقي لتتخذ من الساحل السوري مقرا ومقاما خاصة وأن سوريا كانت في الألف الثالثة قبل الميلاد تفتقر إلى قوة مركزية واضحة[4]، وسط القطبين العراقي والمصري وحينما كان المصريون او العراقيون يرسلون حملات لمحاربة تلك المناطق لم يجدوا أمامهم دولة متحدة متماسكة وإنما قبائل أو مدن متفرقة، مما فتح المجال أمام الفينيقيين للتوجه إلى تلك النواحي، واحتفظوا بعلاقاتهم السابقة، مع مراكز الخليج العربي التجارية حيث تجارة

---

(١) عصفور، محمد أبو المحاسن، دكتور، المدن الفينيقية، ص١٤، بيروت ١٩٨١م.

(٢) كاسون، رواد البحار ص ١٧١ وما بعدها.

(٣) عصفور، المرجع السابق، ص ١٤.

(٤) فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص ٦٤.

المحيط الهندي وبذلك وضع الفينيقيون أيديهم على تجارة العالم القديم انطلاقا من موطنهم الأول على ساحل صور المطل على بحر العرب في عمان، واستمر هذا الدور واضحا حتى تمكن الاسكندر الأكبر من دخول مدنهم واحتلالها، وبدأت المدن الفينيقية تضعف حيث خضعت للسلوقيين ثم للرومان بعد ذلك.

ويتضح من حركة الهجرة الفينيقية مدى الارتباط التجاري الذي ظل قائما فيما بعد وحتى الوقت الحاضر، بين تجارة الخليج العربي وبحر العرب وبين سواحل بلاد الشام، وكان هذا الأمر واضحا قبل ظهور النفط في المنطقة، حيث كانت التجارة هي المصدر الهام للحياة لسكان المنطقة العربية.

أما مدينة صور العمانية، فيبدو أن الجماعات العربية التي استقرت بها بعد انهيار سد مأرب ظلت تمارس التجارة والملاحة بنشاط واضح انطلاقا من موقع صور وأهميتها على ساحل المحيط الهندي، كما كانت تمر بها السفن القادمة من البحر الأحمر واليمن وظفار والمتجهة إلى الهند، أو العائدة من الهند إلى تلك النواحي[1]. وإن كان هذا النشاط قد استمر في هدوء دون ضجة واعلان فلم نلاحظ تسجيلا لتلك العمليات البحرية والتجارية من قبل أهل صور في تلك المرحلة.

وهكذا ساهمت الجماعات التي سكنت منطقة صور، عبر عصور التاريخ بدور كبير في مجال التبادل التجاري والحضاري، وتكونت لديها خبرات هامة في هذا المجال وظلت تطور تلك القدرات والتجارب عبر عصور التاريخ.



(١) كمال الصليبي، خفايا التوارة ص١٥٢

صور ودورها في عصر
الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين

شهدت منطقة غرب آسيا ومنطقة شمال المحيط الهندي تغيرات جذرية هامة منذ القرن السابع الميلادي، حيث بدأت دعوة الإسلام في الظهور من منطقة الحجاز، حاملة للبشرية نظما سياسية واقتصادية، واجتماعية جديدة. وحملت تلك الدعوة أيضا جوانب هامة من النظم الاقتصادية والمعاملات التجارية، ووضعت لها أصولاً في البيع والشراء والقروض والعقود، فحرمت الربا وحددت سبل الكسب، وأوضحت خطورة الاستغلال والاحتكار والكسب غير المشروع على المجتمع. وبذلك أرست أساسا جديدا لنظام عالمي جديد[1].

ومن الملاحظ أن أهل عمان قد دخلوا الإسلام طواعية وقبلوا أوامره ونواهيه وعملوا على أساسها وأصبحت تجارة أهل عمان ومعاملاتهم تتم حسب هذه الأسس الإسلامية الجديدة. وحملوها إلى الموانئ والمناطق التي يتعاملون معها وكان هذا الأمر بادرة هامة لنشر الإسلام وانسيابه في تلك المناطق البعيدة من سواحل المحيط الهندي الآسيوية والافريقية، وأصبحت نطاقات التجارة العمانية البعيدة امتدادا للمد الإسلامي.

وقد ترتب على ظهور الإسلام وتحول أهل عمان إلى الإسلام نتائج هامة على التجارة العالمية وتجارة أهل عمان عامة وأهل صور خاصة تمثلت فيما يلي:

١- أدت بداية عمليات الفتوحات الإسلامية وشمولها لجبهات عديدة - صوب بلاد فارس وما رواء النهر جهة الشرق، وصوب مصر وشمال افريقية صوب الغرب، وكذلك صوب الدولة البيزنطية نحو الشمال - إلى ارتباك مؤقت في طرق التجارة البرية القادمة عبر أواسط آسيا صوب القسطنطينية والبحر المتوسط لاعتمادها على قوى بدأت تفقد هيمنتها أمام الانتصارات الإسلامية[2]. وبذلك أصبحت عملية توفير السلع التجارية من الصين وجنوب شرقي آسيا تعتمد على الطريق البحري عبر المحيط الهندي، وقد ساعد على الأداء الجيد للتجار العمانيين - وخاصة أهل صور على هذا الطريق البحري - خبرتهم السابقة وبدأت سفن أهل عمان - وخاصة أهل صور - تقوم بدورها الكبير في عمليات تنظيم قوافل السفن التجارية التي تنطلق منها إلى شرق افريقية أو إلى سواحل الهند الغربية، أو إلى الصين عبر جزر جنوبي شرقي آسيا وقد أشارت المصادر إلى ان التجار في تلك الفترة كانوا يتجهون إلى سواحل رأس الجمجمة ومنها يبدأ التوجه صوب موانئ المحيط الهندي[3]

---

(١) الشامي، أحمد، دكتور، سلسلة في تاريخ العرب والإسلام، حياة محمد وظهور الإسلام، ص٢٠٠، ص٢٠٢، النهضة العربية، القاهرة.

(٢) اشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي عن الشرق الأوسط في العصور الوسطى، ص١٩.

(٣) انظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٥. - المقريزي، الخطط المقريزية، جـ١، ص٢٨. - شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١١٥.

الأمر الذي يؤكد لنا أن رأس الجمجمة هي رأس الحد أو بالقرب منها على أساس أن منطقة الشحر التي ذكرها الباحثون مرتبطة برأس الجمجمة كانت تطلق على سواحل جنوب الجزيرة العربية بداية من رأس الحد. ثم انحصر اسمها فيما بعد في منطقة الشحر الحالية(١). وقد أكد هذا الأمر إشارة ابن خلدون إلى قلهات بأنها (فرضة عمان على بحر فارس من الإقليم الثاني، ومما يلي الشحر) أي أن قلهات تقع مباشرة بجوار الشحر(٢) كما أن ابن حوقل حدد المسافة بين مسقط ورأس الجمجمة بحوالي خمسين فرسخا صوب الغرب (٣).

أي أن منطقة صور ورأس الحد أصبحت تعج بالنشاط التجاري في فترة صدر الإسلام وأنها أصبحت بمثابة همزة الوصل بين مناطق البحر المتوسط والشرق الأدنى من جهة وبين عالم المحيط الهندي الأسيوي والافريقي. وقد تمكن أهل صور من القيام بهذا الدور الكبير، وتمكنت سفنهم وخبرة تجارها من سد الفراغ على تلك الطرق بحكم علاقاتها مع تلك النواحي منذ القدم، فزاد عدد الرحلات التجارية واتجه العديد من أهل عمان وصور نحو الاستقرار على العديد من المحطات التجارية على السواحل الافريقية والهندية لخدمة عمليات التجارة وتوفير السلع للسفن العربية(٤).

وزاد من أهمية سواحل عمان الجنوبية المطلة على المحيط الهندي أن نجاحات الفتوحات الإسلامية التي حققتها على جميع الجبهات، أدت إلى تكوين دولة عالمية فسيحة الأرجاء، وبدأت بوادر اندماج حضاري وثقافي في ظل الثقافة الإسلامية الجديدة(٥)، وأصبحت اللغة العربية لغة عالمية، خاصة في المجالات الثقافية والاقتصادية، وانعكس هذا الأمر على موانئ عمان وخاصة منطقة صور، فأصبح هناك عمق جغرافي هائل وظهير واسع لتجارة عمان ومنها صور، في الوصول إلى تجارة العراق والشام والبحر المتوسط، خاصة وأن عمليات الفتوح الإسلامية قد رافقتها عمليات تدفق واستقرار للقبائل العربية في المناطق الجديدة وأصبح من السهل التحرك داخل هذا النطاق الجغرافي الإسلامي الكبير بما يتوافر فيه من عامل التجانس الثقافي والعقائدي والسياسي. خاصة بعد الإصلاح النقدي الذي شهدته بلدان العالم الإسلامي في العصر الأموي(٦) وما ترتب على ذلك من ظهور وحدة نقدية إسلامية مستقلة ذات رصيد هائل من الذهب المتدفق على مراكز الدولة الإسلامية من آسيا وبلاد السودان.

---

(١) الحداد، علوي بن طاهر، المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، ص٤١، عالم المعرفة، جدة السعودية، ١٩٨٥م، وقد ذكر الحداد أن الشحر تكتب عند الأوروبيين بأساليب مختلفة منها (SHEHER SEER).

(٢) ابن خلدون، التاريخ، جـ٣، ص١٩٨.

(٣) ابن حوقل، المصدر السابق.

(٤) المليباري، تحفة المجاهدين،٢ ص١٣٦.

(٥) لومباد، الجغرافية التاريخية، ص٢٠.

(٦) الطبري، تاريخ، جـ٦، ص٢٥٦. - الشافعي، حسن، العملة وتاريخها، ص٨٣،٨٤، القاهرة، ١٩٨٠م.

وقد أدى ذلك إلى نمو كبير في العمليات التجارية وعمليات التمويل، حيث بدأت جماعات من الأثرياء في منطقة البصرة والكوفة ومناطق الخليج الأخرى في استثمار أموالهم في عمليات التجارة وتمويل قوافل التجارة البحرية المتجهة إلى سواحل المحيط الهندي وكانت البصرة أهم مراكز تمويل القوافل التجارية البحرية، وأصبحت أشبه ببورصة لرجال الأعمال، فصدرت السندات وصكوك للتجار وظهرت الأسواق المتخصصة فيها[١].

فانطلقت السفن العربية إلى موانئ شرق افريقية وجزرها وموانئ جنوب آسيا وجنوبي شرقيها، وكان لموانئ عمان وخاصة صور دورها الكبير في هذا النشاط حيث أصبحت مراكز لتجمع التجار وتجاراتهم وسفنهم قبل التوجه إلى سواحل المحيط الهندي أو العودة منها.. وتدفقت الأموال والأرباح على تجار عمان من وراء تلك الأهمية.

وشهدت الموانئ العمانية بما فيها صور تطورا كذلك في عمليات التجارة ونظمها، ويذكر أحد المؤرخين ان التجار العرب، وخاصة من أهل عمان، قد أسسوا نظما ومعاملات تجارية كثيرة على سواحل الهند الغربية في العصور الوسطى وأن الانجليز قد استفادوا من تلك النظم حينما أسسوا شركة الهند الشرقية البريطانية في الهند ١٦٠٠م وجعلوا مركزها في بومباي فاستعاروا نظام الصك المتبع في المنطقة منذ زمن بعيد، وأصبح يعرف في لغتهم باسم (شيك)[٢].

وبالفعل فقد كان العصر الإسلامي بداية لتطورات اقتصادية جديدة في المحيط الهندي والخليج العربي. حيث تطور نظام التعامل المعتمد على الدَّين والاقراض اجتناباً لتصدير وحمل النقود، وما يترتب على ذلك من أخطار، فظهرت نظم الحوالات والصكوك حيث يتم التعامل بين التاجر وأخيه التاجر أو بين التاجر والصراف. كما ظهرت أنماط من الشركات المتعددة، وأصبح من السهل على التاجر العماني الاتصال مباشرة بأي مركز من مراكز العالم الإسلامي من مشرقه وحتى مغربه بكل سهولة ويسر، وبذلك ارتبطت سواحل المحيط الهندي بسواحل البحر المتوسط مباشرة في ظل نظام إسلامي شامل وبفضل جهود تجار وبحارة سواحل عمان الجنوبية، وهو الأمر الذي فشلت في تحقيقه القوى الكبرى في العالم القديم مثل الفرس واليونان، وبدأ يظهر الخليج في الخارطة لأول مرة على أنه خليج عربي إسلامي[٣].

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٥،١٠٦. - العلي، صالح، دكتور، خطط البصرة، ص١٢٩.

(٢) بليسيف، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ص٢٨٥.

(٣) تعددت التسميات التي أطلقت على الخليج العربي منذ القدم وحتى الآن، وقد انحصرت فيما يلي:

- عند السومريين والبابليين والآشوريين، أطلق عليه: البحر الأدنى، البحر المر والبحر السفلي.
- عند اليونان: الخليج الفارسي، بسبب ارتباط حملات الاسكندر المقدوني بالسواحل الفارسية الشرقية من الخليج العربي.
- في العصور الإسلامية: خليج الخط، خليج البحرين، خليج هجر، خليج القطيف، الخليج العربي، وقد ساد الاسم الأخير في العصور الإسلامية في ظل السيادة العربية للساحلين.
- في ظل الثورة الإيرانية ظهرت تسمية له باسم الخليج الإسلامي.
- انظر: عبد الساتر، علي، قصة الخليج، بيروت ١٩٨٩، ص٥ وما بعدها.

وساعد على هذا الأمر أن إدارة الخليج العربي في العصور الإسلامية الأولى، أصبحت مرتبطة بمركز تجاري هام وهو البصرة، التي نزلت بها جماعات متعددة من أهل عمان منذ البداية وكان لهم شأن في إدارة أحداثها على مر العصور. وأصبحت بذلك صور على ساحل عمان تمثل همزة الوصل بين البصرة من الشمال وبين سواحل المحيط الهندي الآسيوية والافريقية من الجنوب.

وساعد على انتشار نفوذ ميناء صور وموانئ عمان في منطقة المحيط الهندي الصدى المبكر للدعوة الإسلامية في مناطق الهند وسواحلها، فيبدو من حديث المصادر الهندية أن الهند كانت على صلات وثيقة بمنطقة الحجاز زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك فيما ترويه المصادر الهندية من أن جماعة من المسلمين اتجهوا إلى ساحل مليبار في طريقهم إلى جزيرة سيلان لزيارة قدم سيدنا آدم عليه السلام. فلما وصلوا إلى بلاد المليبار وسمع بهم حاكم المليبار وهو (عبدالرحمن السامري)، فاستضافهم وسألهم عن الأخبار، فأخبروه بأمر الدعوة الإسلامية الجديدة، وظهور سيدنا محمد فأنزل الله صدق قولهم في قلب ملك المليبار، وأمرهم أن يعودوا إليه بعد عودتهم من سيلان. وعند عودتهم سافر معهم سرا، ووصل بمركبه إلى بلاد الشحر على ساحل بلاد العرب، ولكنه مرض هناك ومات بها. وكتب وصيته لمن معه في المركب بالعودة إلى المليبار ولما عادوا أخبروا الحاكم الجديد بالأمر، وصدقهم، وتحول العديد من سكان المليبار إلى الإسلام، وبنيت المساجد في بلادهم[1] ويؤكد المليباري أن هناك نقوداً إسلامية ترجع إلى ٧١هـ/٦٩٠م[2]، ومازال أهل المليبار يعتقدون أن حكام بلادهم حتى اليوم، يحكمون نيابة عن عبدالرحمن السامري[3].

ومن هذه الرواية نستمد أموراً هامة على دور أهل عمان وتجار صور على سواحل الهند من النواحي التالية:

١- أن جماعة المسلمين التي كانت متجهة إلى سيلان، لابد وأنها كانت تعتمد على خبرة العرب ببلاد الهند وسواحلها، ولا يستبعد أن تكون السفن التي حملتهم من موانئ ساحل جنوب الجزيرة العربية من صور وحتى مرباط.

٢- لا يمكن أن يكون التحول سريعا بين سكان المليبار إلا بوجود صلات قوية بين العرب وبين تلك المناطق وخاصة عرب عمان وسواحلها المطلة على المحيط الهندي خاصة منطقة صور، بحكم العلاقات القديمة بين الطرفين واستقرار جالياتها من أهل عمان وخاصة صور على تلك السواحل.

---

(١) المباركبوري، أبو المعالي أطهر، القاضي، رجال السند والهند، ص٢٢ وما بعدها، دار الانصار، القاهرة، ١٣٩٨ هـ.
- المليباري، التحفة، ص٣٢٣، ٣٣٢.
- الندوي، محمد، دكتور، تاريخ الصلات بين العرب والهند، ص٤٢.

(٢) المليباري، المصدر السابق، ص٣٣٢.

(٣) هناك وفود أخرى من أهل المليبار وصلت إلى المدينة في خلافة أبي بكر الصديق.

٣- كانت كلمة الشحر تطلق على سواحل جنوب الجزيرة العربية بداية من منطقة رأس الحد، ويحتمل أن تكون السفينة التي أقلت الجماعة الإسلامية عند عودتها ومعها حاكم مليبار قد نزلت على سواحل عمان الجنوبية في صور قبل رحلتها إلى موانئ ساحل الشحر صوب الغرب.

٤- كانت سواحل المليبار متجهة منذ العصور القديمة صوب سواحل جنوب الجزيرة العربية وعمان بسبب حالة الفوضى السياسية، والمذهبية التي شهدتها الهند، ونشوب الحرب الأهلية والطائفية، الأمر الذي أدى إلى تدهور وافلاس حضاري بالهند[١].

ومنذ خلافة أبي بكر الصديق (١١-١٣هـ) (٦٣٢-٦٣٤م) بدأت الدولة الإسلامية توجه جهودها نحو تطهير طرق الملاحة في الخليج العربي من القراصنة الذين هددوا أمن التجارة ومرور السفن بين منطقة الخليج العربي وبين سواحل الهند وجنوبي شرقي آسيا والصين. ويذكر اليعقوبي في تاريخه، أن الخليفة أبا بكر أرسل حملة حربية كبيرة بقيادة عثمان بن أبي العاصى الثقفي، وسارت تلك الحملة حتى وصلت توج[٢] على السواحل الفارسية للخليج العربي ثم سار إلى مكران[٣]. ويبدو أن الهدف من تلك الحملة كان حماية الوجود العربي في منطقة الخليج العربي وشمال المحيط الهندي.

واستفادت الملاحة العمانية وخاصة سواحل عمان المطلة على المحيط الهندي من إنجازات الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) حيث تمكن الخليفة عمر من القضاء على المقاومة الفارسية برا وبحرا في منطقة فارس واصطخر وسواحل الخليج بعد انتصاره الحاسم في معركة القادسية ١٤هـ/٦٣٥م، وكان قرار عمر بن الخطاب بتمصير البصرة ١٤هـ/٦٥٣م ينطوي على اهتمامات بالتجارة مع المحيط الهندي بجانب التركيز على الجبهة الفارسية[٤] حتى أن البصرة أصبحت طيلة عصور صدر الإسلام هي المحرك الأول والمركز الهام في إدارة أحداث الخليج العربي والمحيط الهندي[٥].

بدأ عمر بن الخطاب في الاهتمام بملاحقة القراصنة الذين يهددون الملاحة في المحيط الهندي، وكان هذا الأمر أول عمل من قبل الدولة الإسلامية في المنطقة، بعد أن تمكن قائده عثمان بن أبي العاص من تأمين السواحل الفارسية حينما فتح اصطخر ٢٣هـ/٦٤٣م وبدأت عمليات تدفق القوات العربية على السواحل الفارسية وأصبح الخليج عربيا إسلاميا ففتح المسلمون كازرون ونوبندجان، وشيراز، وسينيز وجنابة، وأرجان، وجهرم. وبقية جزر الخليج، واستكمل عثمان بن أبي العاص أعماله بقيادة حملة

---

(١) الندوي، محمد، المرجع السابق، ص٤٠.

(٢) مدينة في فارس بالقرب من كازرون، نزلت بها جموع من أزد عمان وعبدالقيس بعد فتحها.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان،جـ١، ص ٥٦.

(٣) جـ٢، ص١٣٤.

(٤) الشامي، أحمد، الخلفاء الراشدون، ص١٣٩ وما بعدها.

(٥) المباركبوري، أبو المعالي، العقد الثمين، ص١٥.

بحرية كبرى على سواحل الهند[1].

بدأت أولى الحملات الإسلامية البحرية صوب الهند ١٥هـ/٦٣٦م، في ظل ولاية عثمان ابن أبي العاص على منطقة الخليج العربي من قبل الخليفة عمر بن الخطاب، حينما أدرك خطر انتشار أعمال القرصنة في شمال المحيط الهندي والخليج العربي، وشكوى التجار وأصحاب السفن، خاصة وأن البصرة أصبحت تعرف باسم (ثغر الهند)[2]، أي أنها أصبحت منفذ التجارة القادمة من المحيط الهندي إلى العراق والهلال الخصيب عبر الخليج العربي، واتضح صلة البصرة منذ البداية بتجارة المحيط الهندي في الأمر الذي أصدره عمر بن الخطاب، لقائده عتبة بن غزوان بقوله: (ابن للمسلمين مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين)[3].

وقد لفت تجار عمان أنظار واليهم عثمان بن أبي العاص، إلى ضرورة تأمين سواحل الهند من أجل حماية تجارة المسلمين القادمة من الهند والصين. وبالفعل قسم عثمان حملته البحرية إلى ثلاث وحدات بحرية مستقلة في مهامها وقياداتها على سواحل غرب الهند فجعل شقيقه الحكم بن أبي العاص على رأس وحدة بحرية اتجهت إلى مدينة بروحي على ساحل جوجيرات بغرب الهند وأخاه المغيرة بن أبي العاص على رأس قوة ثانية توجهت إلى ميناء الديبل[4] بينما قاد عثمان الوحدة الثالثة على مدينة تانة على ساحل غرب الهند[5].

وكانت الخطة التي رسمت للقوات البحرية ترمي إلى السيطرة على مثلث القراصنة المحصور بين ساحل غرب الهند من جهة الشمال وساحل الديبل، وكانت آخر نقطة في هذا المثلث من الجنوب حتى تانة التي اتجه إليها عثمان بن أبي العاص بنفسه.

وهذا الأمر يدل على دراية تجار عمان الذين شاركوا في الحملة البحرية بمراكز انتشار القراصنة، وهي مراكز تهدد رحلتهم البحرية باستمرار ولكن تلك الحملة فشلت على جبهاتها الثلاث، ورغم ذلك فاننا نعتبرها عملية عسكرية إسلامية مبكرة ضد مراكز القرصنة في المحيط الهندي من أجل تأمين طرق التجارة البحرية بين الهند والخليج العربي وعمان، ولا نوافق حوراني فيما ذهب إليه من اعتبارها غارة بحرية تهدف إلى السلب وجمع الغنائم[6].

وقد شاركت في تلك العملية قوات من عرب عمان ولا نستبعد أن يكون بينها عرب من سكان سواحل صور، فلا يمكن أن يغامر الوالي عثمان بن أبي العاص الثقفي بقوات في نواح مجهولة لا يعلمها ولا يدري أخطارها، الأمر الذي يؤكد أن الحملة كانت بتدبير من عرب

---

(١) العلي، صالح، امتداد العرب في صدر الإسلام، ص٣٦ وما بعدها.

(٢) المباركبوري، المرجع السابق، ص٤٣.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٠٥.

(٤) بالقرب من ميناء كراتشي الباكستاني الحالي.

(٥) راجع: الطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، ص١٣٠، ١٣١.

(٦) العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٠٩.

عمان والخليج العربي، وأنهم تحملوا الكثير من إمدادها بالرجال والسفن[1].

ومنذ ذلك الوقت أصبحت المياه الشمالية للمحيط الهندي بحق تمثل بحر العرب، ذلك ان الانتشار العربي قد ازداد في مرحلة صدر الإسلام على السواحل الهندية والسواحل الإيرانية والسواحل الافريقية، وأصبحت كلمة (بحر العرب) لها مدلولها الحضاري والسياسي الواضح. بل أن الجاليات العربية في تلك المناطق أصبح لها وجودها الكبير على مستوى الحياة العامة على سواحل المحيط الهندي.

والواقع أن هناك عوامل أدت إلى هذا الانتشار لعرب عمان وخاصة عرب سواحلها ومنها صور، على سواحل المحيط الهندي منها ما يلي:

١- حاجة سكان تلك السواحل إلى وسيط تجاري لديه الخبرة والقدرة على حمل سلعهم ومنتجاتهم الزائدة عن حاجتهم، واستبدالها بسلع أخرى ضرورية لهم، وكان هذا الأمر مرتبطا بسواحل عمان وخاصة صور التي مثلت القلب من تلك السواحل والجزر[2].

٢- لم يكن لسكان سواحل الهند أو سواحل افريقية خبرة ملاحية تجارية مع مراكز الحضارة والمدنية في العالم، كما لم تكن لديهم الدراية بفنون الملاحة ونظمها، وهي أمور تفوق فيها العرب وخاصة عرب سواحل عمان وصور.

٣- الأوضاع الحضارية والسياسية على سواحل المحيط الهندي، ففي الهند ظل الصراع العقائدي مستمرا بين البراهمة والبوذية، وكان الطرفان لا يرون خطرا من العرب عليهم خاصة وأن التاجر العربي لم يتدخل في الجوانب العقائدية[3]، وبذلك كان العرب في مأمن من الضغط السياسي في الهند، فعاشوا بين الهنود في طمأنينة واستقرار[4]. أما في افريقية فقد انشغلت القبائل الافريقية في مرحلة صدر الإسلام بصراعاتها القبلية في وقت كانت فيه قبائل البانتو تتجه من وسط القارة صوب الشرق ووجدت القبائل الافريقية من التاجر العربي خيرا على أرضها فقد حمل إليها ما تحتاجه من سلع ومنتجات وحمل منها ما يزيد عن حاجاتها.

٤- كانت عملية تواجد الجاليات العربية، وخاصة من أهل الموانئ التجارية، ضرورية على سواحل الهند وافريقية وجزر المحيط الهندي من أجل ترتيب عمليات تصدير السلع من تلك المناطق وتخزينها حتى يحين وقت حملها في مواسم قدوم السفن، ولذلك فقد احتفظ أهل صور، على سبيل المثال بجاليات لهم على سواحل الهند وسواحل افريقية وجزر المحيط الهندي، وقد تفاعلت تلك الجاليات مع سكان تلك المناطق وأصبحت بمثابة سفارات لنشر ثقافتها وعاداتها. وقد زادت أعداد تلك الجاليات في عصور صدر الإسلام بسبب الزيادة

---

(١) المباركبوري، المرجع السابق، ص١١٥.

(٢) عثمان، شوقي، تجارة المحيط الهندي، ص٦٨.

(٣) حداد، جورج، تاريخ الحضارة، ص٥٨، دمشق، ١٩٥٨م.

(٤) الندوي، الهند القديمة، ص٢٦٢.

التي طرأت في عمليات التجارة عبر المحيط الهندي.

٥- ترتب على التواجد الكثيف للجاليات العربية العمانية وخاصة من أهل صور على سواحل الهند، أن أصبحت تلك السواحل الهندية نقطة جديدة لانطلاق العمانيين صوب الشرق الأقصى وجنوبي شرقي آسيا، فيذكر المؤرخ الماليزي علوي الحداد أن العرب انطلقوا من سواحل مليبار وجوجيرات وسواحل سرنديب صوب جزر اندونيسيا وسواحل الصين، وأن المصادر الصينية تردد ذكر اسماء عربية عديدة في مرحلة صدر الإسلام[١].

٦- نظرة الهنود المرتبطة بالزهد والازدراء للعالم المادي، من خلال عقائدهم الهندوسية والبوذية، بل ان تلك المعتقدات قللت من قيمة العمل اليدوي، وركزت فلسفتها على الجوانب الروحية، وأنشأ الآريون في الهند نظما ريفية، وأغلقوا جميع الأبواب التي توصلهم بالعالم الخارجي[٢]. كما أن القبائل الافريقية ظلت صورتها غير واضحة عن العالم الخارجي وعاشت وسط عقائدها البدائية، وكان التاجر العربي وخاصة العماني من أهل صور أهم العناصر الحضارية الخارجية التي تمكنت من اقتحام تلك النظم المغلقة وتعامل معها واستقر داخلها محافظا على هويته وثقافته.

٧- ظروف سواحل عمان ومنطقة صور الجغرافية، فالصحراء وسلاسل الجبال تمتد خلف الساحل، مما اضطر سكان تلك الموانئ إلى التوجه صوب البحر واستغلال إمكانياته، واكتشفوا إمكانيات هامة من عمليات الوساطة التجارية. فانتشروا على سواحله وحولوا المحيط الهندي إلى بحيرة عربية إسلامية منذ البداية.

* ويمكننا تحديد عدة مراكز على سواحل الهند وافريقية، استقر فيها عرب صور منذ بداية ظهور الإسلام بصورة ظاهرة وهي:

أولا: ميناء عربتاك (أو عربيته):

وهو ميناء يقع على ساحل نهر الهندوس (نهر السند) استقرت به جماعات من تجار الخليج وعمان وصور منذ البداية، وشكل العمانيون ومنهم أهل صور أغلبية التجار الأجانب. وقد ظهرت أدلة التأثير العربي والعماني في هذا المركز منذ العصر الهلينستي، حينما وجد نياركوس، وهو أحد قواد الاسكندر المقدوني، جاليات عربية عديدة في تلك المنطقة حينما أرسله الاسكندر إلى هذا الميناء للابحار من نهر السند والنزول إلى بحر العرب. ووجد نياركوس نفوذا لهؤلاء التجار العرب يمتد حتى ساحل مكران في إيران[٣] وكان هذا الميناء مركزا لحمل الذهب والأخشاب إلى منطقة بلاد الرافدين والخليج العربي

---

(١) المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى ص٣٥، ص٥٧.
(٢) الندوي، المرجع السابق، ص١٥١.
- عبدالقادر، حامد، بوذا الأكبر، ص٥٨ وما بعدها.
- النمر، عبدالمنعم، دكتور، تاريخ الإسلام في الهند، ص٧٧ وما بعدها.
(٣) حوراني، المرجع السابق، ص١٤٤.

عبر السفن التجارية العربية[1].

ثانيا: ميناء باريجازا (Barygaza):

ميناء يقع بالقرب من بومباي الحالية على سواحل غرب الهند، وكان يمثل همزة الوصل بين موانئ عمان وخاصة صور وبين مناطق الهند، حيث كانت تتوقف فيه السفن لتبادل السلع والاستراحة والتزود بالمياه والطعام، كما ان هذا الميناء يرتبط بسلسلة طرق برية إلى داخل الهند عبر سلاسل جبال الغات الغربية ومناطق مانجلور وبانجلور. وبالتالي كان هذا الميناء منذ عصور ما قبل الإسلام وفي عصر صدر الإسلام مركزاً لجلب سلع الهند، حيث كانت تشحن منه الصناعات الهندية الذهبية والحديدية والأحجار الكريمة وغير ذلك من سلع الهند[2].

بل إن أحد المؤرخين الصينيين يرى أن هذا الميناء كانت تصله طرق من الصين عبر ممرات جبال الهملايا وبوسط الهند، حيث كانت القوافل التجارية الصينية تقصد هذا الميناء عبر سهول الهند برا، كما كانت تصله سفن الصين بحرا[3].

ثالثا: موانئ كاليكوت وكويلون وتريفندوم:

وشكلت تلك الموانئ أهمية خاصة لتجار عمان وصور بسبب وقوعها على الخطوط البحرية للسفن المتجهة إلى سرنديب أو إلى جزر لكاديف وملديف. واستقر على تلك السواحل أعداد كبيرة من التجار العمانيين فيهم أهل صور، بحيث كانت تلك الموانئ أسبق من غيرها في التحول إلى الإسلام وظهور التأثيرات العربية فيها، حتى ظهرت كتابات برهمية في تلك المناطق بحروف عربية، وتدل عملية إرسال وفد من سكان المليبار إلى الحجاز لاعلان إسلامها، حينما علم حاكمها بنبأ ظهور الإسلام على الارتباط الوجداني بين العرب وسكان المليبار منذ عصور ما قبل الإسلام[4]، وأصبحت تلك المناطق على صلة بنبض وإحساس[5] المنطقة العربية بعد ذلك، بحيث تحول غالبية أهلها إلى الإسلام وثقافته دون أن تصل إليهم جيوش إسلامية.

وقد احتلت الجاليات العربية مكانة مرموقة على موانئ ومدن غرب الهند منذ بداية ظهور الإسلام، حيث ارتبط اقتصاد تلك النواحي بالتجار العرب خاصة من أهل عمان، ووصل بعضهم إلى مناصب هامة، فقد أصبح منهم (أمير البحر) في منطقة جوجيرات، كما استعان حكام المليبار بالعرب في أعمال دواوينهم[6]، ويذكر ابن بطولة أن العرب تركوا آثاراً هامة على ساحل المليبار وخاصة منطقة قاليقوط، خاصة المنازل العربية ذات الأبواب الحسنة

(١) حوراني، المرجع نفسه.
(٢) الندوي، الهند القديمة، ص٢٠٩. حوراني، المرجع السابق.
(٣) بدر الدين الصيني، العلاقات التجارية بين العرب والصين، ص١١٢ وما بعدها.
(٤) - المليباري، التحفة، ص٣٦، ص٣٧.
- الندوي، المرجع السابق ص٢٦٢.
(٦) المسري، حسين، دكتور، تجارة العراق في العصر العباسي، ص٣٧٩، بغداد، ١٩٨٢م.

المظهر. وكان بعضها يستخدم كمراكز لراحة التجار المسافرين[1].

كما قام بحارة عمان وصور باستغلال فترات التوقف لانتظار الرياح الموسمية على سواحل مليبار للتوجه إلى جزر لكاديف، خاصة جزيرة (دوبيي)، التي أصبح معظم سكانها من العرب والقيام بتجميع الأخشاب وصناعة سفن جديدة بخبرتهم الخاصة، وكذلك حمل كميات من الأخشاب إلى ميناء صور وغيره من الموانئ العمانية لاستخدامه في صناعة السفن[2].

رابعا: موانئ شرقي افريقية وجزرها:

ساعد موقع صور وسواحل جنوب عمان على الاتصال المبكر والمستمر مع سواحل شرقي افريقية، وأصبحت صور من أهم موانئ المحيط الهندي وشبه الجزيرة العربية نشاطا في جلب سلع افريقية ومنتجاتها، حتى أنها أصبحت مخزنا للعاج في بعض الفترات، وكذلك الأخشاب الصلبة، كما حملت سفن صور من شرقي افريقية خاصة منطقة سفالة الذهب. وقد اشتهر أهل عمان بنجاحهم في قيادة القوافل البحرية إلى شرقي افريقية، فيقول أحد النواخذة (دخلت بلاد الزنج ٣٣٢هـ فقال لي بعض أهلها كم عدد مراكبكم، قلت ستة عشر مركبا، فقال يسلم منها القليل، إلا عمان خمسة عشر مركبا وينكسر واحد)[3].

ويدعونا هذا الأمر إلى القول بأن سفن أهل صور كانت لها دورتها الهامة في المحيط الهندي من حيث حمل المواد الخام إلى موانئ الخليج العربي والعراق، أو في أغلب الأحيان حملها إلى الهند، حيث تعتمد عليها الصناعات الهندية خاصة من الذهب والحديد والنحاس[4]، وهي معادن استنزفت من الهند منذ عصور سابقة وأصبحت في حاجة إلى خاماتها. وبذلك قامت سفن أهل صور بدورها الحضاري الكبير في المحيط الهندي.

وبالتالي استقرت جاليات منها على سواحل مضيق موزمبيق منذ البداية على سواحل سفالة وفي جزر القمر وعلى سواحل جزيرة مدغشقر، وبرزت دلائل هامة تؤكد هذا التواجد لأهل صور في تلك النواحي فيما بعد. وظهرت آثار لسفن أهل صور في جزر القمر منذ بداية ظهور الإسلام، فقد استمرت رحلات أهل عمان إلى قنبلو وجزر القمر والجزيرة الخضراء، حتى سادت عناصر من تجار صور على الحياة الاقتصادية في تلك النواحي، ووصلوا إلى مراكز سياسة هامة واختلط العمانيون بما فيهم أهل صور بسكان جزر القمر واستقرت أعداد كثيرة منهم في تلك النواحي، كما انتشرت اللغة العربية في تلك النواحي منذ البداية[5].

---

(١) الرحلة، ص٥٧٠، طبعة دار صادر.

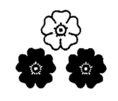
(٢) أبو سعيد، كتاب الجغرافيا، ص٧٤.

(٣) بزرك، عجائب الهند، ص ١١٤.

(٤) المسري، المرجع السابق، ص١٣٤.

(٥) المغيري، سعيد بن علي، جهنية الأخبار، ص٣٠٢ وما بعدها، تحقيق عبدالمنعم عامر، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

وكانت تلك الإنجازات التي قدمها العمانيون[1] على سواحل شرقي افريقية فاتحة هامة نحو التحول إلى الإسلام من قبل سكانها، ونحو تحول تلك المناطق إلى الثقافة العربية والإسلامية منذ البداية، وهي مناطق كانت بعيدة عن مجريات جبهات القتال والفتوحات الإسلامية. ومع تحول شرق افريقية إلى الإسلام بفضل تتابع الهجرات العربية والفارسية على سواحله وجزره فإن منطقة خليج موزمبيق وجزر القمر وجزيرة مدغشقر كان الفضل الكبير في تحول أهلها إلى الإسلام يرجع إلى تجار صور وجالياتها التي استقرت في تلك النواحي واستثمرت وتاجرت في سلعها ولذلك فقد تم الارتباط النهائي بين جزر القمر ومدغشقر مع سلطنة زنجبار مع بداية العصور الحديثة زمن سيادة اليعاربة والبوسعيد على شرقي افريقية، وأصبحت تلك المناطق من المحيط الهندي، والتي تمثل غرب المحيط الهندي وحدة حضارية واحدة.



(١) الكلام عن نشاط أهل صور «للتخصيص» عن النشاط العماني بشكل عام.

مكانة صور في العصر الأموي وبداية العصر العبّاسي

أدى الانتشار العربي الواسع على سواحل المحيط الهندي من قبل الجاليات العربية. خاصة من قبل أهل عمان منذ عصر الخلفاء الراشدين، إلى اهتمام الإدارة الأموية بأوضاع المحيط الهندي، رغم التوجه الأموي المبكر صوب البحر المتوسط والغرب، وقد تجلت الاهتمامات الأموية بمنطقة المحيط الهندي وسواحل عمان من خلال الأمور التالية:

١- اعتماد الأمويين على شخصية عمانية لضبط منطقة الهند والسند، وهو المهلب بن أبي صفرة[١]، وكان ذلك منذ البداية ٤٤هـ/٦٦٤م، وقد دل هذا الأمر على إدراك الإدارة الأموية بأهمية ودور أهل عمان في فهم ظروف وأحداث الهند وسواحلها وكان للمهلب الفضل في ضبط وتنظيم تلك المناطق[٢].

٢- اعتمد الأمويون من جديد على عبدالله بن عامر، لإدارة البصرة ومناطق الخليج العربي والمحيط الهندي، وهو صاحب الخبرة في المنطقة منذ خلافة عثمان بن عفان وتمكن الوالي الجديد من ضبط أحوال سواحل المحيط الهندي للأمويين، وأسس إدارة ثغر الهند، وهي الإدارة التي كان لها الدور الكبير في ربط ساحل مكران وسواحل السند بالدولة الإسلامية، مما كان له الدور الكبير في سيادة العنصر العربي على تلك السواحل. ويسر حركة تجار عمان وصور على تلك الخطوط الملاحية في المحيط الهندي.

وقد انعكس هذا الأمر على أهل عمان وتجار صور في المحيط الهندي بصورة يجب الا يغيب عن البال ان المقصود على العموم هو عمان على امتدادها والتركيز على مدينة (صور) باعتبارها جزءا لا يتجزأ من عمان عامة في النواحي التالية:

* أولا: هجرة أهل عمان بصورة جماعية إلى نواح مختلفة من المحيط الهندي أهمها جبهتان هما:

- الأولى: منطقة غرب الهند، حيث ظهرت على الساحة السياسية هناك جماعة من عرب عمان من بني قضاعة، اتجهت إلى الهند وأصبحت مقربة من حكامها، واحتلوا مكانة بارزة في غرب الهند[٣]، وقد عرفت تلك الجماعة باسم العلافيين، وتمكن زعيمهم معاوية بن الحارث العلافي، من السيادة على منطقة السند ومكران ٧٥هـ/٦٩٤م[٤] وكان لهؤلاء العلافيين دور في مقاومة ولاة الأمويين في منطقة مكران، واستغلوا انشغال الحجاج بثورة ابن الأشعث وأحداث العراق والخليج في فرض نفوذهم على مناطق مكران والسند.

---

(١) راجع: (المهلب بن أبي صفرة) بحث مقدم إلى ندوة عمان في التاريخ، وزارة الاعلام العمانية، مسقط ١٩٩٤م.
(٢) حتى قيل عن المهلب (لم يوجد في العراق وقبائل العرب رجل في الحزم والعزم والوفاء مثله).
- العوتبي، الانساب، جـ٢، ص١٢٠، ١٢٥.
(٣) البلاذري، فتوح البلدان، جـ٣ ص٥٣٣.
(٤) الطرازي، الموسوعة، جـ١، ص١٥٦.

وقد أدرك الحجاج منذ البداية الصلة بين عمان وبين العلافيين ولذلك فقد بدأ في الاهتمام بأمر الحملات التي كانت ترسل إلى عمان لإخضاعها، وبالتالي العمل على إضعاف شوكة العلافيين في غرب الهند(١).

- الثانية: شرق افريقية: فبعد نجاح الحجاج في القضاء على ثورة عبدالرحمن بن الاشعث في معركة دير الجماجم، وسيطرته على أوضاع العراق والمشرق الإسلامي، بدا يعد العدة لإخضاع أهل عمان للأمويين، بعد أن استقل أهل عمان بأمورهم منذ أحداث الفتنة ومقتل الخليفة عثمان بن عفان. فأرسل حملة بقيادة القاسم بن شعوة المزني، لكن أهل عمان قاوموه وهزموا الحملة وقتل القاسم، فأرسل الحجاج حملة جديدة بقيادة مجاعة بن شعوة المزني على رأس قوات برية وبحرية، كما أرسل إمدادات خلفه من قوات شامية، فلما أدرك سعيد وسليمان ابنا عباد صعوبة الأمر اتجها إلى افريقية(٢) وبدأت أول هجرة رسمية عمانية إلى شرق افريقية حيث ظهرت هناك لأول مرة امارة عمانية في منطقة ارخبيل لامو، واتسعت فيما بعد زمن حفيدهما الحاج سعيد(٣).

كانت هجرة العلافيين من أهل عمان إلى سواحل الهند الغربية، وهجرة سعيد وسليمان ابنا عباد إلى سواحل افريقية الشرقية أول الهجرات الإسلامية الكبرى في منطقة المحيط الهندي في صدر الإسلام، وقد ترتب عليها ارتباط سواحل المحيط الهندي بعمان خاصة، وبالعالم الإسلامي عامة وبدأت عمليات ارتباط وثيقة بين سواحل المحيط الهندي وارتبطت تلك السواحل وموانئها وجزرها بسواحل عمان واحتلت عمان بما فيها صور مركز القلب في تلك الفترة المبكرة من التاريخ الإسلامي(٤).

وبدأت السفن العمانية، وخاصة من أهل صور ومصيرة وغيرهما في التحرك بنشاط بين منظومة تلك السواحل بحرية تامة معتمدة على رصيدها السابق، وجالياتها الكبيرة المنتشرة على سواحل المحيط الهندي شرقه وغربه، وأصبح لهم المكانة الكبيرة في عمليات التبادل التجاري والشحن والتفريغ بين موانئ المحيط الهندي وغيرها من موانئ الخليج العربي(٥).

ورغم توالي الهجرات الإسلامية والعربية على سواحل الهند وسواحل افريقية إلا ان السيادة التجارية والخبرة الملاحية ظلت مرتبطة بأهل عمان وبحارتها في صدر الإسلام. واستمرت إمارة العمانيين في منطقة لامو تؤدي دورها الهام في شرق افريقية وتعمل على استغلال إمكانياته، حتى أصبحت المركز الحضاري الإسلامي في شرق القارة الذي انطلقت منه الاشعاعات الإسلامية إلى داخلها(٦).

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، جـ٢، ص٢٨١.
(٢) السالمي، التحفة،جـ١، ص٧٧ وما بعدها. مؤلف مجهول في تاريخ أهل عمان، ص٤٥.
(٣) محمود، حسن، دكتور، الإسلام والثقافة العربية في افريقية، ص٣٩٧.
(٤) (Ruoh, History of East Africa, P.78).
(٥) المعمري، أحمد بن حمود، عمان وشرق افريقيا، ص٤٤، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.
(٦) النقيرة، محمد، دكتور، انتشار الإسلام في شرق افريقية، ص١٢٨.

وكانت تلك الهجرات العمانية تمثل امتدادا غير مباشر لنفوذ العالم الإسلامي إلى نقاط بعيدة عن مركز الدولة الإسلامية، وهي مناطق كان من الصعب إرسال قوات إليها والسيطرة عليها وقد ظهر ذلك في صعوبة توغل المسلمين في منطقة السند والهند رغم النجاحات العسكرية التي حققها محمد بن القاسم ٩٢هـ/ ٧١٠م، حيث لاقت حملات المسلمين مقاومة عنيفة من قبل الهنود(١).

ورغم نشاط تجار عمان في شمال المحيط الهندي وسواحله إلا أن هناك خطرا ظل يتهددهم وأحس به الحجاج حينما يمم وجهة جنوب المحيط الهندي، وكان هذا الخطر هو انتشار جماعات القراصنة الذين يعرفون باسم (الميد) والتي بدأ يدعمها ملك الهند واهر، في سبيل عرقلة تجارة الدولة الإسلامية التي تمر بسواحل غرب الهند. وانتشر هذا الخطر في منطقة مثلث جوجيرات، وهو الركن الشمالي الشرقي من بحر العرب(٢).

وفي عام٩٢هـ/ ٧١٠م قام الحجاج بارسال حملة بحرية وبرية كبرى على رأسها محمد بن القاسم، ضد تلك المنطقة، وذلك بعد أن فشلت جميع المساعي الدبلوماسية لإنهاء التوتر بين الحجاج وملك الهند واهر، في أزمة السفن التي اعتدى عليها الميد، وكانت في طريقها من سرنديب إلى الحجاج، في ميناء (الديبل)(٣). وما قام به الميد من أسر التجار الذين كانوا بها وكذلك النسوة المسلمات. ولم يجد الحجاج سوى الحل العسكري، خاصة بعد أن تمكن من إخضاع سواحل عمان لسيطرته.

أنفق الحجاج مبالغ باهظة على إعداد تلك الحملة مما يدل على أهميتها، وأهمية منطقة سواحل المحيط الهندي في السياسة الأموية، حتى بلغت تلك الأموال حوالي ستين ألف درهم، وضمت أسلحة متقدمة في دفتها، بالإضافة إلى السفن للقسم البحري والدواب للقسم البري، والتقى الجميع في مكران حيث بدأ التوجه صوب ميناء الديبل ومنطقة السند.(٤) رغم أن غرفة عمليات معارك الديبل ظلت في البصرة، حيث ظل الحجاج على صلة مستمرة بمجريات الحرب. وتمكنت تلك الحملة في مراحلها الأولى من تطهير سواحل مكران والديبل من نشاط القراصنة رغم توجه القوات صوب الشمال.(٥).

وقد استفادت سفن أهل عمان (العموم) وصور (الخصوص) من نجاحات تلك الحملة، حيث بدأت السفن تتحرك بأمن وأمان في منطقة سواحل جوجيرات، بعد انتصارات محمد ابن القاسم في منطقة برهمنا باد. وأصبحت سواحل جوجيرات الشمالية لأول مرة تحت

---

(١) ابن الاثير، الكامل، جـ٤، ص١٠٣.

(٢) – البلاذري، فتوح البلدان، جـ٣، ص٥٣٥،٥٣٤.

– الماركبوري، العقد الثمين، ص١١٧.

(٣) البلاذري، المصدر السابق، ص٥٣٤.

(٤) الندوي، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، ص٣٩.

(٥) – اليعقوبي، تاريخ، جـ٢، ص٢٨٨.

– الطرازي، موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ١، ص١٦٧.

سيطرة المسلمين. وقد اتضح من اتفاقيات محمد بن القاسم مع أمراء تلك المناطق حرصه على حسن معاملة التجار العرب أو عدم التعرض لتجاراتهم بسوء [1].

وزاد من نشاط السفن العمانية في الديبل توغل المسلمين في شمال السند حتى وصلوا إلى الملتان وبذلك أصبحت تجارة السند وداخل الهند تحت سيطرة العرب المسلمين، وزادت أعداد الجاليات التجارية العربية التي استقرت في منطقة جوجيرات والديبل، وهي المناطق التي بدأت تزدهر اقتصاديا بعد عمليات التحوّل الجماعي إلى الإسلام في أعقاب انهيار نظم الهندوسية والبوذية في تلك المناطق أمام حملات المسلمين ومسارعة جماعات الفايشيا والسؤدرا إلى الدخول في الإسلام، الذي سخر طاقاتهم لصالح بلادهم.[2]

وقد أصبحت منطقة الديبل وجوجيرات وساحل مليبار، أهم المناطق التي استقر بها العرب من أهل عمان بما فيهم الصوريون واندمجوا مع سكانها ، وذلك بسبب توسطها بين منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية من جهة وبين منطقة جنوب شرقي أسيا والصين من جهة ثانية حتى اعتقد البعض أن الفضل الأول لتحول سكان جزر الهند الشرقية وسواحل الهند الصينية إلى الإسلام يرجع إلى سكان جوجيرات والمليبار[3] والواقع أن هؤلاء السكان هم أصلا من عرب عمان وصور وسواحل شبه الجزيرة العربية حيث نجح التجار العرب الذين استقروا في تلك النواحي في نشر لغتهم وعقيدتهم بصورة سليمة، حتى ظهرت لغة جديدة هي اللغة الاوردية وهي خليط من المصطلحات العربية والسندية واللغات المحلية في منطقة غرب الهند بل أن هناك من ينادى بجعل اللغة العربية اللغة الرسمية في مناطق باكستان الحالية، وذلك بسبب أهميتها في تاريخ وحضارة المنطقة.

ومنذ نهاية القرن الأول الهجري / بداية القرن الثامن الميلادي أصبح التجار المسلمون يسيطرون على تجارة سواحل المحيط الهندي الآسيوية والأفريقية، وظهرت سفن أهل عمان بنشاطها في هذا العصر تتحرك بين موانئ المحيط الهندي، خاصة وأن النفوذ العماني أصبح واضحا على سواحل شرقي أفريقية وغرب الهند. وقد وفر هذا المناخ استقرارا في حركة السفن والتجار من موانئ عمان إلى موانئ المحيط الهندي والخليج العربي. بل أن هناك جماعات من التجار العرب والعمانيين بدأوا في التوغل داخل مناطق الهند ومناطق أفريقية وتأسيس مراكز داخلية لهم لتأمين جلب السلع إلى موانئ المحيط الهندي[4]، وبالفعل فقد تمكن عرب عمان من نقل سلع الهند وأفريقية إلى الخليج العربي، حتى انهم بدأوا في نقل سلالات من المحاصيل الزراعية التي شاهدوها في الهند وأفريقية إلى عمان

(١) الطرازي، المرجع السابق جـ١، ص٢٠٨

(٢) الأعظمي، محمد، دكتور، حقائق عن باكستان، صـ٣٧

(٣) مؤنس، حسين، دكتور، الإسلام القائم، صـ٤١

– زيتون، محمد، دكتور، المسلمون في الشرق الأقصى، صـ١٢٢، المنصورة، مصر ١٩٨٥م

(٤) لمبارد، الجغرافية التاريخية، صـ٥٩

مثل قصب السكر والقطن والقمح والذرة والحمضيات[١].

بل أن تلك المحاصيل التي انتشرت في العالم الإسلامي، نقلت على سفن أهل عمان وصور وزرعت لأول مرة على سواحل عمان وفي داخلها ثم انتقلت إلى العراق ومناطق الخليج العربي ثم الشام بعد ذلك[٢] كما نقلت أشجار النارنج والليمون والبرتقال والموز إلى عمان، بفضل تجارها، وبعد ذلك عمت العالم الإسلامي[٣].

وزاد من أهمية دور سفن أهل عمان وصور في العصر الأموي اتساع نطاق العمليات الحربية التي تمت في خلافة الوليد بن عبد الملك (في ٨٦ - ٩٦هـ / ٧٠٥ - ٧١٥م)في مناطق تركستان وأواسط آسيا، بحيث أصبحت السفن التجارية هي الوسيلة الوحيدة لجلب تجارة الصين وجنوب شرق آسيا عبر المحيط الهندي، حتى أن قوافل تجارة الحرير الصينية خشيت من غارات التتار في أواسط آسيا وتدهور النواحي الأمنية هناك، فتحملوا المشاق عبر جبال الهملايا ونزلوا عن طريق نهر الجانج أو السند إلى موانئ كجرات ومليبار، حيث الاتصال المباشر بتجار عمان بما فيهم الصوريون والخليج العربي[٤].

بالتالي زاد عدد الرحلات بين موانئ الخليج العربي وعمان وبين موانئ الهند والصين وشرق أفريقية[٥] ونظرا لهذا الأمر فقد تطورت تقنية صناعة السفن لتستوعب النشاط والحركة المستمرة بين موانئ المحيط الهندي والعالم الإسلامي فتطورت السفن العربية من حيث أحجامها وشكل أشرعتها[٦]، وكان لعرب عمان وأهل صور دور واضح في هذا المضمار، وازدادت المغامرات وراء الأرباح والتجارة لدى سكان الخليج وعمان، وأصبحت مسألة الإقلاع والعودة تتم بصورة دقيقة ومنظمة[٧]. كما زاد ثراء التجار والعاملين على شبكة موانئ المحيط الهندي، لأنها أصبحت عصب تجارة العالم الإسلامي، والعالم الوسيط ويتضح ذلك من شكل بيوت سكان البصرة وسيراف وصحار وغيرها من موانئ الخليج[٨].

وبدأت سمة جديدة تسود بين المراكز التجارية على طول سواحل المحيط الهندي الآسيوية والأفريقية، وهي البعد عن القوميات والعصبيات، وبدأت جميع الأجناس التي تطل على المحيط الهندي تشارك في مسألة التجارة بغض النظر عن الانتماء السياسي أو الاعتقاد الديني.

---

(١) واطسون، اندريو، الإبداع الزراعي في بدايات العالم الإسلامي، صـ ١٤، ترجمة أحمد الأشقر، جامعة حلب، سوريا ١٩٨٥م

(٢) المشهوري، أثر العصور التاريخية على الطرق التجارية، صـ١٥٥

(٣) واطسون المرجع السابق، صـ١٢٣

(٤) بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين، صـ ١٧، ١٨

(٥) لمبارد، الجغرافية التاريخية، صـ ٦٨

(٦) خسرو، سفر نامة، صـ ١٥١، ١٥٢ ترجمة الدكتور الخشاب

(٧) السيرافي، أخبار الهند والصين، صـ ٩٧١، مجلة الموسم

(٨) انظر ابن حوقل في صورة الأرض، والمقدسي في احسن التقاسيم

وأصبحت عمان بما فيها مدينة صور بحق هي مركز تجارة المحيط الهندي في العصر الأموي وحتى العصر العباسي، فيذكر الجغرافيون أن تجارها مدوا نفوذهم على سواحل الهند، حتى أصبحت موانئ، على سواحل مكران والديبل وجوجيرات ومليبار أشبه بمراكز خاصة لتجار عمان وصور خاصة، وان حمولات السفن كانت تشحن لتفرغ من كرمان والهند في صور، ومن صور تتجه إلى مناطق الخليج العربي الأخرى[1] وخاصة وأن صور أصبحت مركزا هاما لاستخراج اللؤلؤ الذي يصدر إلى الهند والى مناطق الخليج العربي الأخرى. كما كانت كميات أخرى من منتجات عمان مثل اللبان تمر بصور في طريقها إلى الهند وأصبحت صور أنشط موانئ المنطقة في هذا العصر في عمليات التجارة واستخراج اللؤلؤ[2].

ويذكر المسعودي أنه زار مدينة صيمور بالهند، بالقرب من الديبل، ٣٠٤هـ / ٩١٦م فوجد بها اعدادا كبيرة من التجار المسلمين العرب من أهل الخليج والعراق يصل عدد المقيمين منهم بالمدينة إلى حوالي عشرة آلاف مسلم. كما أشار إلى المكانة التي احتلها هؤلاء التجار في إدارة المدينة، ووجود شخصيات لها مكانة هامة بالمدينة وبمقارنة رواية المسعودي برواية المقدسي[3] نستنتج أن أهل عمان بما فيهم أهل صور كانوا أكثرية بين المقيمين من التجار العرب المسلمين في صيمور، وذلك من أجل خدمة عمليات التجارة وحركة السفن بين الهند وبين ميناء صور.

وقد مد تجار صور وعمان نفوذهم ونشاطهم إلى جزر الهند الشرقية والى سواحل الهند الصينية وسواحل جنوب الصين، ويذكر الحداد أن هناك مستوطنات أسسها التجار المسلمون في سومطرة الغربية ترجع إلى سنة ٦٧٤م خلال العصر الأموي [4]، الأمر الذي يؤكد امتداد النشاط التجاري لأهل صور إلى تلك النواحي، ويستدل على ذلك بوجود مقابر عربية في سومطرة وجاوا وغيرها من جزر الهند الشرقية. بل أن هناك اتصالات قوية قد بدأت بين سكان تلك الجزر مع الجهة المقابلة من ساحل أفريقية الشرقية وخاصة مع جزيرة مدغشقر[5] وهي منطقة كان لأهل صورعمان نفوذهم الواضح فيها.

وظلت ملكية السفن في منطقة جنوب شرق آسيا وخاصة في منطقة جزر الهند الشرقية مرتبطة بأسر عربية من جنوب الجزيرة العربية مثل: آل الكاف وآل الستاف، وآل شهاب الدين، وآل بارقيه، وآل المساوى وآل الشيخ وغيرهم. كما أن سفن تلك المنطقة كانت تحمل أسماء عربية: النور، يسرين، نور العاشقين ، الفتح المبارك، عطية الرحماة، كسب الخير، اليسر، فتح الأرزاق، إعانة الرحمن، ميمون، عطية المولى وغير ذلك من الأسماء التي ارتبطت بسفن أهل عمان وأهل الخليج العربي، مما يدل على التواجد الواضح للتاجر العربي وخاصة من أهل صور عمان في تلك النواحي.

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، صد ٩٥، طبعة بيروت
(٢) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢١٨
(٣) المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص٤٤
(٤) أحسن التقاسيم، ص٩٥
(٥) المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، هامش ص٥٧

مجالات نشاط أهل صور

أولا المجالات التجارية:

استغل أهل صور عمان موقع بلادهم على خطوط الملاحة والاتصال عبر المحيط الهندي مع سواحله الآسيوية والأفريقية. كما وفر الأمن والاستقرار الذي تمتعت به موانئ عمان بما فيها ميناء صور وعدم مزاحمة قوى بحرية لها، حيوية في نشاط أهلها وحركتهم المستمرة بين موانئ المحيط الهندي. وهو الأمر الذي افتقدته موانئ الخليج العربي في كثير من فتراتها، فلم تتمكن موانئ البصرة وسيراف والبحرين وصحار من الاستمرار في أداء دورها التجاري أمام ثورات وغارات الزنج والقرامطة وغيرها[١].

ساعد أيضا على نشاط أهل صور التجاري موقع الميناء بين أقاليم متنوعة ومتباينة من النواحي الاقتصادية والحضارية فقد تمكن الهنود منذ العصور القديمة من تحقيق إنجازات علمية رائعة في مجالات تطوير المعادن والخامات وتشكيلها، وخاصة الحديد والذهب والنحاس، وارتبطت بهم صناعات تلك المعادن في العالم القديم والوسيط .

كما أنهم أصبحوا مع بداية العصور الوسطى في حاجة إلى خامات تلك المعادن مع عمليات الاستنزاف المستمرة لها داخل بلادهم، فأصبحت أفريقية هي منجمهم الأساسي لذلك.

من هنا لعب ميناء صور دوره الكبير في عمليات نقل المنتجات والصناعات الهندية إلى العالم، وفي نفس الوقت اعتمد الهنود على سفن أهل صور عمان بصفة خاصة في نقل خامات أفريقية إليهم بصورة منظمة. ومن مراكز التجارة التي تعامل معها الصوريون حملت تلك الصناعات والسلع والمنتجات إلى بقية مناطق الشرق الأدنى القديم، والعالم الإسلامي بعد ذلك . كما أصبح ميناء صور في حد ذاته مركزا لتوزيع تلك السلع الهامة. خاصة سلع الهند وصناعاتها[٢].

ومن السلع التجارية الهامة التي ارتبطت بتجار صور عمان اللؤلؤ الذي اشتهرت به صور وموانئ عمان الأخرى، والماس الذي شكل سلعة هامة ارتبطت بالأساطير والحكايات الخرافية في تلك الفترة وقد استخدم في ترصيع السيوف وفي الطب، وارتبطت تجارته بتجارة عمان[٣]، كما ارتبطت سفن أهل صور بتجارة الياقوت الذي يحمل غالبا من جزيرة سرنديب ولذلك فقد سميت بـ«جزيرة الياقوت»[٤] وقد استخدم في الطب وفي صناعة الحلي،

---

* لاحظ الحديث هنا يأتي عن (صور) في ضوء الحديث عن (عمان) بشكل عام

(١) انظر ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٣، ص١٣٣ - خسرو، سفر نامة، ص٩٣

(٢) حتى قيل عنها «بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عطر» - أبو حامد الأندلسي، تحفة الألباب، ص٤٨.
- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٢٨.

(٣) البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر،ص٩٣،٩٢ - شيخ الربوة، المصدر السابق، ص٦٦.

(٤) البلاذري، المصدر السابق، جـ٣، ص٥٤٣ ابن بطوطة، الرحلة، ص٣٩٦ حوراني، العرب والملاحة، ص٢١٢

الأمر الذي جعله في بعض الأحيان أغلى سلعة في حوض البحر المتوسط وأوروبا[1].

كما حملت سفن من ميناء صور العاج بكميات كبيرة من القارة الأفريقية إلى مناطق الخليج العربي والعراق حيث ظلت لأهل عمان درايتهم بتلك السلعة الأفريقية حتى العصور الحديثة[2] بجانب الجلود والحيوانات الأفريقية ومعادن أفريقية هامة مثل الذهب الخام والحديد، بالإضافة إلى التوابل التي تعتبر من أهم السلع التجارية في العصور القديمة والعصور الوسطى، وكانت منطقة مليبار من أهم المناطق التي تصدرها للعالم حتى أطلق على ساحل مليبار اسم «بلاد الفلفل»[3]، وعبر سفن أهل عمان وميناء صور وصلت التوابل إلى منطقة الخليج العربي وموانئ جنوب الجزيرة العربية.

كما حملت سفنهم سلعا هندية أخرى مثل الزنجبيل، الذي زاد الطلب عليه في العصور الوسطى، لأهميته الصحية وقيمته الغذائية، وارتبطت تلك السلعة أيضا بساحل غرب الهند. كما صدرت موانئ غرب الهند، عبر سفن عمان وميناء صور الكافور وعرق الكافور وهي نباتات طيبة.

وارتبطت الهند بسلعة هامة كذلك في العصور الإسلامية، وفي عصور صدر الإسلام، وهي العود الهندي، الذي زاد الطلب عليه من جراء الازدهار الاقتصادي الذي عم العالم الإسلامي منذ نهاية القرن الأول الهجري، حيث أصبحت البصرة والكوفة أهم مراكز استهلاكية، وكانت سفن أهل صور عمان قد تخصصت في عمليات شحنه من الهند إلى مراكز استهلاكه في العالم الإسلامي، وقد درت تجارة العود الهندي أرباحا هائلة للتجار، مما أغرى بعض الأثرياء على استثمار أموالهم في جلب تلك التجارة، خاصة في البصرة[4].

ويبدو أن صور كانت في تلك الفترة أشبه بمستودع كبير يتجه إليه التجار والتجارة من منطقة الخليج العربي لحمل سلع المحيط الهندي، والعودة بها إلى موانئهم، فمثلا كان تجار البصرة وسيراف والبحرين يتجهون مباشرة إلى ميناء صور لشراء ما يلزمهم من منتجات وسلع الهند وأفريقية، دون تكبد مشاق الرحلة البحرية الشاقة إلى تلك النواحي المجهولة في أغلب الأحيان. وقد عاد هذا الأمر بالخير على الطرفين. ولذلك اشتهرت تجارة أهل البصرة وسيراف وغيرها من موانئ الخليج دون التحقق من قبل المستهلك عن مصدر تلك السلعة. وأصبحت صور في موقع متوسط بين مناطق الانتاج ومناطق الاستهلاك.

واستمر هذا الدور الهام لأهل عمان بما فيهم الصوريون خلال العصر العباسي الأول، خاصة وأن العلاقات العباسية ظلت متوترة في البداية مع الأتراك الشرقيين، وظل اعتماد العراق ومناطق الشرق الأدنى مرتبطا بالتجارة البحرية عبر منطقة الخليج العربي. من جهة ثانية أدى

---

(١) لوفران تاريخ التجارة، ص٥

(٢) المغيري، جهينة الأخبار، ص٢١٥، ص٢١٦

(٣) المليباري، التحفة، ص٣٣

(٤) العلي، خطط البصرة، ص٨٥.

ظهور اضطرابات في منطقة الخليج العربي في العصر العباسي إلى خوف التجار على تجاراتهم في موانئ الخليج العربي وأصبحت صور، المطلة مباشرة على المحيط الهندي، هي أكثر الأماكن أمنا وأمانا على تجاراتهم، وخاصة وأنها قريبة من مدخل الخليج العربي ويمتلك أهلها علاقات واتصالات مع جزر وسواحل المحيط الهندي الأخرى.

وعلى المستوى المحلي، زادت أهمية صور بالنسبة لأهل عمان منذ بداية العصر العباسي بسبب التوتر في العلاقات بين إمامة عمان الأباضية والخلافة العباسية، وما ترتب على ذلك من إرسال حملة خازم بن خزيمة التميمي ضد عمان ١٣٤هـ/٧٥١م[1] وحملات أخرى منها حملة عيسى بن جعفر في زمن هارون الرشيد، وحملة محمد بن نور «بور» في زمن الخليفة المعتضد وقد ترتب على تلك الحملات اضطراب الأوضاع على سواحل عمان الشمالية المطلة على خليج عمان، بل اتجهت زعامات عمان منذ بداية العصر العباسي إلى اتخاذ نزوى مركزا لهم بعيدا عن صحار ومناطق الساحل الذي أصبح تحت مراقبة العباسيين، ومدى حملاتهم وقواتهم[2].

وبالتالي ارتبطت نزوى بوصفها، عاصمة عمان الجديدة، بدروب عبر الأودية إلى ساحل صور من أجل استيراد ما يلزم سكانها من المحيط الهندي وسلعه وأصبحت داخلية عمان والمنطقة الشرقية تعتمد اعتمادا تاما على ميناء صور في استيراد ما يلزمها من الخارج وأصبح تجار صور يرتبطون بالتالي بنبض عمان وأوضاعها الداخلية والطريق إلى يربطها بداخلية عمان يخترق الجبال، مارا بمرتفع يقال له الرقصة، ويتفرع هذا الطريق الذي الشرقية وبدبد من جهة الشمال الشرقي وجهة جعلان من الجهة الجنوبية.

وبذلك أدت صور دورها التجاري على المستوى العالمي وعلى المستوى الإسلامي وعلى المستوى الاقليمي والمحلي، وأصبحت همزة الوصل بين مراكز تجارات العالم في العصور الوسطى.

١- المجالات الدينية والثقافية:

ارتبطت بعمليات التجارة استقرار جماعات من تجار صور عمان وأهلها على طول سواحل المحيط الهندي الآسيوية والأفريقية، وأصبحت صور منذ البداية آخر رأس من اليابس العربي داخل المحيط الهندي، الأمر الذي جعل من أهلها سفراء للثقافة العربية، منذ البداية، وسط ثقافات المحيط الهندي.المتباينة والمتعددة، وأصبح هذا النشاط الاستيطاني

(١) ترتب على ظهور إمامة أباضية في عمان ١٣٢هـ، في زمن اعلان الخلافة العباسية توقع صدام سريع بين الطرفين وخاصة وأن امامة عمان قد أمسكت بمدخل الخليج العربي وتجارته وهو الأمر الذي خشي منه العباسيون منذ البداية ولذلك سارعوا بإرسال حملات عدة لحماية مصالحهم وتجاراتهم عبر الخليج العربي وعمان إلى المحيط الهندي.
- راجع السالمي، التحفة، جـ١، ص٨٨ وما بعدها، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة.

(٢) حرص العباسيون منذ البداية على الارتباط بتجارة الهند والصين وأفريقية، يتضح ذلك في حرص المنصور على اختيار عاصمة جديدة لهم تتناسب مع آمالهم، وكانت بغداد التي تأتيها تجارة أواسط آسيا برا، وتجارة الخليج العربي بحرا، وكان المنصور يهدف إلى جعلها مشرعة للدنيا وتجاراتها. ولذلك سارع العباسيون إلى إرسال حملات عسكرية إلى عمان لضمان السيطرة على سواحلها ومرور التجارة بها.
- انظر: اليعقوبي، البلدان، ص٢٣٧.
- مصطفى، شاكر، دولة بني العباس، ص٣٣١. الكويت سنة ١٩٨٢م.

أشبه بجزر للثقافة العربية وسط المحيط الهندي بحيث أصبحت تسمية الأجزاء الشمالية من المحيط الهندي ببحر العرب لها مدلولها الواقعي، من خلال غلبة الثقافة العربية على بقية الثقافات الأخرى بتلك السواحل.

ذلك أن تلك السواحل ارتبطت اقتصاديا ووجدانيا مع السفن العربية التي حملت لها أسباب وسبل العيش، وأدارت تلك السواحل ظهرها لثقافاتها واندمجت مع الثقافة العربية(١)، واتضح ذلك على سواحل مليبار وسواحل جوجيرات وسواحل شرق أفريقية(٢)، وامتد هذا التأثير إلى جزر الهند الشرقية(٣).

ويعتقد كثير من العلماء أن الإسلام والثقافة العربية قد وصلت إلى تلك الجزر من منطقة جوجيرات ومليبار بغرب الهند، ولكن الأمر الصحيح أن التجار العرب بدأوا في توسيع مجال تجارتهم بعد النجاحات التي حققتها الدولتان الأموية والعباسية في منطقة السند وجوجيرات، وما ترتب على ذلك من تأمين حركة السفن والتجارة بين منطقة سواحل شبه الجزيرة العربية والخليج العربي من جهة وبين منطقة جنوبي شرقي آسيا والصين من جهة ثانية عبر سواحل الهند الغربية.

وكان لتجار عمان دور بارز في هذا الأمر حيث استقرت جماعات منهم في هذا الأرخيبل منذ البداية ومن خلالهم واخوانهم من التجار العرب وصلت مصطلحات عربية إلى اللغات السائدة بين سكان، الأرخيبل من البداية(٤)، ويذكر سليمان التاجر السيرافي أنه شاهد أعدادا كثيرة من المسلمين. في القرن الثالث الهجري بين سكان تلك الجزر مما يؤكد أن النشاط الهام الذي قام به التجار العرب خاصة من ميناء صور كان له دوره البارز في الحياة الثقافية بتلك الجزر(٥).

وتؤكد الحوليات الصينية أن العرب اختلطوا بأهالي تلك الجزر منذ صدر الإسلام بصورة كبيرة، حيث وجد في حوادث سنة ٦٨٤م/٦٥هـ، أي في العصر الأموي خبرا عن زعيم عربي ظهر في مستوطنة عربية على ساحل سومطرة الغربي(٦). ويؤكد أرنولد أن شواهد القبور العربية التي عثر عليها في تلك الجزر ترجع إلى تاريخ صدر الإسلام(٧)، الأمر الذي يشير إلى نشاط كبير لأهل صور وتجارها في تلك النواحي منذ بداية العصور الإسلامية معتمدين على رصيد علاقاتهم السابقة منذ عصور ما قبل الإسلام وقد ساعد على

---

(١) حداد، تاريخ الحضارة، ص٥٨.

(٢) الندوي، محمد، الهند القديمة، ص٢٦٢.

(٣) تسمى (East Indies) أو أندونيسيا. (Indo nesia) وهي تشمل نحو ثلاثة آلاف جزيرة عائمة في مياه المحيط الهندي، وظهرت تسمية أندونيسيا لتلك الجزر التي كانت تعرف بجزر الهند الشرقية على يد أحد الألمان سنة ١٨٨٤م، ثم اختارت الحركة القومية الاندونيسية بعد الحرب العالمية الثانية (Bernand Vlekhe, A History of Indonsia, P.6)

(٤) أرنولد، انتشار الإسلام، ص٤٠٢.

(٥) أرنولد، المرجع السابق نفسه.

(٦) أرنولد، المرجع نفسه، ص٤٠٢.

(٧) فيصل السامر، الإسلام، في اندونيسيا، ص٤٨١، عالم الفكر.

انتشار الإسلام في تلك النواحي بسرعة دوافع الأمراء المحليين، حكام الجزر الذين وجدوا في التاجر العربي نافذة للانفتاح على العالم الخارجي وتحقيق أرباح اقتصادية من خلال التعاون معه، بالإضافة إلى أخلاقيات التاجر العربي المرتبطة بمبادئ الإسلام، وكانت خير إغراء للجماهير الهندوسية والبوذية التي تعاملت مع هؤلاء العرب. وبذلك وضع التجار العمانيون والعرب أرضية لنشر الإسلام في منطقة جنوبي شرقي آسيا، بحيث أن اندونيسيا وهي إحدى دول المنطقة حاليا تعد من أعلى الدول الإسلامية في عدد السكان على مستوى العالم الإسلامي.

وبنفس الدرجة استقرت جماعات التجار العرب ومنهم تجار صور عمان على سواحل شرق أفريقية والجزر المواجهة له، واختلطوا بالسكان وانصهروا فيهم، وكان ذلك عاملا من عوامل انتشار الإسلام وثقافته في تلك النواحي من المحيط الهندي.

وقد اعترف أحد علماء الهند حديثا بأثر البحر في ثقافة منطقة جوجيرات بقوله (وأما بلاد جوجيرات فعن البحر حدث ولا حرج، فقد كانت مهدا للعلماء من سالف الزمان وفد إليها أهل العلم وانتشر من كل ناحية من نواحي جوجيرات وبلاد الدكن[١] أي أن سفن التجار العرب حملت ثقافة الإسلام ومبادئه إلى تلك النواحي.

وبذلك أصبحت سواحل المحيط الهندي الآسيوية والأفريقية امتدادا طبيعيا للحضارة الإسلامية، متصلة بنبض العالم الإسلامي؛ متفاعلة مع قضاياه وأوضاعه، وصارت تلك السواحل مجالا حيويا للعرب، وتجاراتهم، حتى أصبحت اللغة العربية هي لغة التعامل التجاري[٢] والإسلام هو معتقدهم ودينهم.

ففي مجال التأثير اللغوي ظهر تأثير اللغة العربية في لغات جنوب آسيا وشرق أفريقيا في المجالات التالية:

١- دخول مصطلحات عربية داخل تلك اللغات، الأمر الذي يدل على تفوق اللغة العربية ودخولها نسيج الحياة اليومية في شعوب المحيط الهندي، حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من مجالات حياتها الدينية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية، ويكفي للتدليل على ذلك بآلاف المصطلحات المستخدمة في اللغة الملاوية التي تسود في جزر اندونيسيا بل وجدت أبيات من الشعر تحمل معاني الحكم على كثير من قبور أهل تلك الجزر حتى وقت قريب. وقد عثر على قبر أحد الأمراء المتوفي سنة ٦٩٦هـ نقش يقول.

(١) الحسني، عبدالحي، الثقافة الإسلامية في الهند، معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف، راجعه وقدم له أبو الحسن علي الندوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣، ص١٠.

(٢) حسن محمود، الإسلام والحضارة العربية في آسيا، ص٢١٩.

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبـوت
إنمـا الدنيـا كبيـت نسجتـه العنكبـوت
ولقد يكفيك منها أيها الطالب قوت
ليس إلا من قليل كل من فيها يموت[١]

٢- تحول العديد من اللغات على سواحل المحيط الهندي إلى استخدام الابجدية العربية في ظل سيادة المصطلحات العربية ومن تلك اللغات:

- اللغة الاتشهنيزية إحدى لغات سومطرة.
- اللغة الاوردية التي تسود في السند وجوجيرات وغرب الهند[٢].
- اللغة السندية التي توجد في جنوب السند.

وقد لاحظ المقدسي ذلك بقوله عن سكان الديبل (كلامهم سندي عربي)[٣].

- اللغة البلوشية: المنتشرة في اقليم مكران وبلوشستان، ومناطق أخرى من إيران والسند، وكان ذلك بفضل جماعات التجار الذين استقروا في السند وساحل مكران[٤].
- اللغة السواحلية في منطقة شرق أفريقية: وهي اللغة التي ظهرت نتيجة انصهار التجار العرب، خاصة من أهل عمان مع لغة البانتو، وأصبحت لغة التجارة والحياة اليومية في شرق ووسط أفريقية[٥].

وأصبحت تلك اللغات واللهجات هي العامل الحاسم في ربط موانئ المحيط الهندي ومناطقه مع بعضها البعض بغض النظر عن العرق والجنس والأوضاع السياسية مما أدى إلى ظهور ثقافة مشتركة على مستوى المحيط الهندي[٦]، شكلت اللغة العربية وثقافتها عمودها الفقري، وأصبحت تلك الشعوب وحدة حضارية واحدة ابتداء من مدغشقر وحتى سواحل الصين، حتى جاء الاستعمار الأوروبي وبدأت مرحلة جديدة من سياسة الاستغلال الغربية في المنطقة ارتبطت بمجالات لتغيير الهوية الحضارية والثقافة لكل منطقة من مناطق المحيط الهندي. وان كانت هناك نداءات جديدة حول ظهور تكتلات اقليمية جديدة على سواحل المحيط الهندي الآسيوية والأفريقية.

ويبدو أن سكان المحيط الهندي قد بدأت قدراتهم الثقافية تظهر قوية واضحة في مسيرة الثقافة الإسلامية والحضارة العربية منذ نهاية القرن الأول الهجري، وزادت بصورة أعمق في العصر العباسي من خلال الإنتاج المتنوع الذي قدموه للثقافة العربية ففي الوقت الذي انشغل فيه العرب في الديبل والسند بمشاكلهم السياسية، وانشغل فيه العرب عامة بأمور

(١) السامري، المرجع السابق، ص٢١١.
(٢) العربي، اسماعيل، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص٣١.
(٣) أحسن التقاسيم، ص٣٦١، طبعة بيروت.
(٤) حجازي، محمد فهمي، المدخل إلى علم اللغة، ص١٨.
(٥) حسن محمود، انتشار الإسلام في أفريقية، ص٢٣١، طبعة دار الفكر.
(٦) النقيرة، محمد، انتشار الإسلام في شرق أفريقية، ص١٧٨.

التجارة، برزت اسهامات الهنود في الثقافة العربية، حتى أنهم ساهموا في الإبداع في علوم اللغة العربية ذاتها مثل: علم النحو، حيث ألف منذ سنة ١٧٥هـ، ٧٩٠م علماء من المنطقة مثل الشيخ يوسف الملتاني في كتابه شرح لب اللباب، والقاضي شهاب الدين أحمد في كتاب الإرشاد، والشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي في حاشية شرح الكافية، والشيخ جمال الدين الكجراتي في حاشية المنهل[١].

كما ظهرت إسهامات هندية في علم الصرف مثل كتاب ميزان الصرف لوجيه الدين عثمان وأساس العلوم للشيخ عبدالوهاب الراجكيري[٢]، كما الفوا في علم الاشتقاق.

ويؤكد الهنود على أن أول من صنف عندهم بالعربية هو الشيخ رضى الدين الحسن بن محمد، من القرن الأول الهجري[٣]، كما حفلت صفحات فهرست ابن النديم، بالعديد من أسماء، علماء الهنود في مختلف المجالات الفكرية والعلمية[٤]. حتى ظهر منهم رواة للحديث الشريف مثل عبدالله بن عبدالرحمن المليباري[٥].

ومن خلال السفينة العربية، وبفضل بحارتها من العرب ومن أهل صور، استمرت عمليات الامتداد الإسلامي والثقافة العربية في مناطق المحيط الهندي وكان دورها لا يقل بأي صورة عن دور الجيوش الإسلامية، ويكفي أن ندلل على ذلك عن مراجعتنا للاحصائيات الأخيرة الصادرة عن منظمة المؤتمر الإسلامي حول توزع مسلمي العالم. حيث يتضح أن هناك نتائج هامة لدور التجار العرب وخاصة من موانئ الجزيرة العربية ومنها ميناء صور في نشر الإسلام والثقافة العربية يمكن استخدام تلك النتائج على من يربط بين نشر الإسلام وبين السيف فحسب.

الاحصائيات الأخيرة الصادرة عن منظمة المؤتمر الإسلامي فان عدد مسلمي العالم قد بلغ حوالي ١٢٢٠ مليون مسلم، بما فيهم الأقليات المسلمة التي تعيش في بلدان غير اسلامية، وتوجد نسبة كبيرة من أعداد المسلمين في الدول المطلة على سواحل المحيط الهندي، والتي وصل الإسلام وثقافته اليها عن طريق التجار المسلمين خاصة، وهذه الدول[٦].

باكستان (١١٥ مليون مسلم) – الهند (١١٩ مليون مسلم) – بنجلاديش (٩٩ مليون مسلم) – جزر ملديف (٢٠٠ الف مسلم) – اندونيسيا (١٧٥ مليون مسلم) – ماليزيا (١١ مليون مسلم) – بروني (٢١٥ الف مسلم) – سيرلانكا (٢.٥ مليون مسلم) – تايلند (٩ ملايين مسلم) – بورما (٣,٥ مليون مسلم) – الفلبين (٧ ملايين مسلم) سنغافورة (٤٥ الف مسلم) – الصين (١٠٥ ملايين مسلم). وبذلك يبلغ عددهم في آسيا حوالي ٦٥٠ مليون

(١) الحسني، عبدالحي، الثقافة الإسلامية في الهند، ص ١٧.
(٢) الحسني، المصدر نفسه، ص٢٤، ٢٧.
(٣) الحسني، المصدر السابق، ص٣١ - راجع طبعة قطر، سنة ١٩٨٥م - المباركبوري رجال السند والهند، ص ١٦٧.
- راجع:
يونس، عادل، العالم الإسلامي اليوم، ص ٤٥-٥٠

مسلم. مع وجود دور للتجار العرب على الطرق البرية في غرب الصين.

وبالنسبة للسواحل الافريقية المطلة على المحيط الهندي والتي وصل الاسلام اليها عن طريق التجارة وتوجد في شرق ووسط القاهرة فهي:

الصومال (٨,٥ مليون مسلم) - جيبوتي (٣٥ ألف مسلم) - تنزانيا (١٥ مليون مسلم) - جزر القمر (٥٠ ألف مسلم) - كينيا (٤,٥ مليون مسلم) - أوغندا (٥ ملايين مسلم) - موزمبيق (٥,٥ مليون مسلم) - مدغشقر (٣ ملايين مسلم) - ملاوي (٢ مليون مسلم) وبذلك يبلغ عددهم على الجزء الافريقي حوالي ٤٣,٥ مليون مسلم.

وبذلك تبلغ نسبة المسلمين على سواحل المحيط الهندي بالنسبة للعدد الاجمالي لمسلمي العالم حوالي ٥٦,٨٪ أي اكثر من نصف مسلمي العالم حالياً.

واستمراراً للتأثيرات الثقافية التي طغت على الحياة في مناطق الهند، فقد ظهرت أغان شعبية بين أهل المليبار في الأفراح والزواج بإيقاع عربي[1]. كما ظهرت لغة جديدة في منطقة المليبار تكتب بحروف عربية تسمى لغة «مليالم»[2]، وهي عبارة عن مفردات محلية وعربية، واصبحت اللغة الأساسية بين أهل المليبار، وكان ظهورها حرصاً من أهل تلك المنطقة على الاحتفاظ بشخصيتهم الإسلامية. كما يلاحظ المتتبع للنشاط الثقافي لولايات غرب الهند الحالية أن هناك هيئات ومنظمات تربط بينها من النواحي الثقافية والفكرية.

من جهة ثانية ترتب على النشاط الكبير لمرافئ عُمان ومنها ميناء صور على طول سواحل المحيط الهندي وجزره، هجرات كبيرة لسكان عمان وصور خاصة الى موانئ الهند وأفريقيا وجزر المحيط الهندي، مما ترتب عليه تفريغ تلك المناطق العمانية من قدراتها الابداعية، في بعض الفترات، بحيث أصبح من عادة سكان تلك الموانئ التنقل بين مراكز التجارة طيلة حياته وراء التجارة وسلعها، أو الاستقرار في ميناء البصرة الذي تنتهي عنده تجارة المحيط الهندي، مما ترتب عليه نشر ثقافة هؤلاء التجار في تلك النواحي من جهة، ومن جهة ثانية فقد شهدت سواحل عمان وصور هجرات عكسية من الهند ومكران وافريقية، سواء من طبقة الخدم أو غيرهم، وقد بدأت تظهر لهؤلاء آثار في الموانئ العمانية فظهرت مصطلحات هندية على سواحل الخليج وانتقلت الى العربية بعد ذلك مثل اسماء النباتات والمحاصيل كالصندل والفلفل والقرنفل والموز والليمون.

---

(١) من هذه الأغاني:

الله حسبي، وهو نعم الوكيل، الله.

آمنة الزهرية أم خير عروس، محمد.

وأغنية اخرى تقول:

طه طه طه رسول الله، السموات بعلاها

فاه فاه فاه بوحي الله، شافعنا محمد.

المليباري، التحفة، ص٨٥

(٢) المليباري: نفس المصدر ص٨٥، ص٨٦.

كما نقل التجار العرب انجازات الهنود في مجالات الطب والعقاقير، الأمر الذي أدى الى ارسال الخليفة العباسي المنصور لأول بعثة علمية طبية الى الهند سنة ١٥٤هـ -٧٧١م للاستفادة من تجارب الهنود وعلومهم[١] كما وفدت مع التجار العرب وعلى سفنهم اعداد من الأطباء الهنود مثل العالم الهندي الشهير «كانكا فَفَذ» وهو الذي يحمل معه من الهند رسالة الفلك الشهيرة «السوهانت» والتي سماها العرب «السند هند»[٢].

كما كان للتجار العرب الفضل الكبير في حمل انجازات الهنود في مجال الرياضيات، وهي أعظم الخدمات التي قدموها للحضارة الاسلامية والعالمية، حيث تم نقل نظم الأرقام الهندية التي استخدمت في العمليات التجارية في أول الأمر، وكان لدى الهنود نظامان للترقيم هما.

الأول: الأرقام الهندية المستعملة في غالبية الدول العربية حاليا[٣].

والثاني: نظام الأرقام الغبارية، وهو يقوم على حسابات الزوايا في الأرقام، فمثلا رقم (١) يحتوي على زاوية واحدة، رقم (٥) يحتوي على خمس زوايا وهكذا. كما نقل العرب الصفر من الهنود، وما زال يحتفظ باسم في معظم اللغات[٤].

أما في مجال الفلك فقد نقل التجار العرب انجازات هامة من ابداع الهنود في هذا العلم مثل «نظم التريج» وغير ذلك.

كما أن العرب نقلوا حكايات الهنود الخيالية في قصص ألف ليلة وليلة، وقد لاحظ تيم سيفيرين مدى الترابط بين تلك الحكايات الخيالية وبين مناطق الخليج العربي، الأمر الذي دفعه الى التفكير في مشروع السندباد[٥].

وفي المجال اللغوي أثرت الثقافة الهندية في وضع نظم جديدة لتقويم اللغة العربية، فقد ساعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ/٧٩١م) على اتقانه العلوم اللغوية اضطلاعه على علوم الهنود وفنونهم الحسابية، وهو الأمر الذي جعله يظهر القياس في الصرف والنحو في فترة مبكرة، وظهر عنده ما يعرف بالميزان الصرفي والذي أصبح اساساً لتأليف معجمه اللغوي المعروف بـ«العين»، وهو الأمر الذي يؤكد اضطلاع الخليل على الاحصاء الهندي في انجازاته اللغوية[٦] بل ان تلميذه الليث بن نصر غلّب الصيغ الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية على حروف الهجاء وبذلك حصر الكلمات التي نطقت بها العرب، ورتبها على مخارج الحروف بالضبط، كما ترتب الهنود كلماتها في اللغة السنسكريتية[٧].

وبذلك أدى تجار صور عمان مع غيرهم من تجار عمان والعرب دورهم الكبير في حمل

---

(١) ضيف، شوقي، دكتور، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص٩٢.

(٢) الحسيني، أبو النصر، مساهمة الهند في قضاء مآرب الإنسان الاقتصادية ص٣٠.

(٣) النعماني، الشبلي، فضل الاسلام على الحضارة ترجمة الدكتور عبدالعزيز عزت، ص١١٧،١١٨.

(٤) الندوي، محمد، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ص٧٤.

(٥) البكري، عادل، تطور الأرقام المشرقية والمغربية، مجلة المجمع العلمي الوافي، ص٣٥، بغداد سنة ١٩٧٦م.

(٦) طوقان وتراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ص٤٧

(٧) راجع رحلة السندباد، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة.

المؤثرات العربية والاسلامية الى سكان سواحل المحيط الهندي وجزره، كما حملوا مع سلع التجارة انجازات تلك الشعوب الى العالم العربي، وكان ذلك عاملاً هاماً في دمج حضارات تلك الشعوب مع الحضارة العربية والإسلامية ازاء تطورها وشمولها وتطورها ورقيها خاصة حينما امتزجت فيها انجازات الهنود وابداعاتهم الهامة، وأصبحت منطقة سواحل المحيط الهندي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنبض العربي الإسلامي بفضل التجار العرب، واستمر هذا الارتباط الحضاري واضحاً وبصورة قوية حتى العصور الحديثة، رغم محاولات الاستعمار في اعقاب حركة الكشوف الجغرافية.

ورغم تلك الانجازات الهائلة التي قدمها بحارة عمان وصور خاصة، ورغم الأهوال والمشاق التي كانت تعترض رحلاتهم من صعوبات طبيعية وصعوبات خاصة بصناعة السفن، فانه يلاحظ ندرة الشواهد التاريخية التي تدل على هذا الدور، وان كان هذا الأمر يرجع الى:

١- حرص أهل صور عمان وتجارها على أن يظل منبع السلع التي يتاجرون فيها والمراكز التي يرتبطون بها سرية، حتى لا يصل إليها أحد، وبالتالي تتعرض مصالحهم للخطر والمنافسة ومدينتهم للغزو وقد استمرت تلك العادة مرتبطة بالفينيقيين في البحر المتوسط فيما بعد.

٢- انصب اهتمام أهل صور عمان على التجارة وحركة التبادل ، فبرعوا في ذلك في الوقت الذي انصرفوا فيه عن الاهتمام بالمجالات الأدبية الأخرى، التي تحتاج الى نوع من الاستقرار، فنراهم ظلوا في حركة وتنقل سير بصورة مستمرة.

٣- ظلت صور بعيدة عن مجرى الأحداث السياسية في منطقة الخليج العربي منذ البداية، فلم تتأثر بأحداث التمرد والثورة في البحرين ضد الأمويين، أو احداث الزنج والقرامطة والبويهيين بعد ذلك. وهي الأحداث التي اربكت عمليات التجارة وحركة مرور السفن والبضائع في الخليج. وأصبحت صور في مأمن من تلك الأحداث.

٤- انفتاح ميناء صور مباشرة على مياه المحيط الهندي، وعدم مواجهة أية قوة اقليمية أو عالمية لها، فهي تمثل مع منطقة رأس الحد أقصى امتداد من اليابس العربي داخل مياه المحيط الهندي، وبالتالي فلم تكن مواجهة للفرس في الموقع أو لأية قوة أخرى، مما أدى الى بعد أخطار الغزو المباشر عنها من قبل تلك القوى.

٥- وإن كانت تلك العوامل التي أدت الى حمايتها من الغزو، كانت سببا في عزلتها عن مجرى الأحداث وعمليات التدوين والتأريخ. لانقطاع الصلة المباشرة بين مراكز القوى وبينها مباشرة.

٦- ظلت صور عمان تقوم بدور كبير كمستودع للبضائع الآسيوية والافريقية في منطقة المحيط الهندي واعتادت العديد من سفن أهل الخليج التوجه إلى صور وحمل بضاعتها والعودة بها الى أوطانها دون تحمل عناء الرحلة ومشاقها فاعتقد سكان تلك المناطق أن سفنهم تجلب لهم تلك السلع من أوطانها الأصلية. وتناسوا دور صور وبحارتها.

---

(١) عبدالتواب، رمضان، فصول في فقه العربية، ص٢٩٦.
(٢) ضيف، المرجع السابق، ص١٢٢،١٢٣.

قائمة
المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات:

١- الاسكندري: أبو الفتح نصر بن عبدالرحمن (ت٦١٠هـ/ ١١٦٥م).
- كتاب الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها، المذكورة في الأخبار والأشعار. مخطوط بمكتبة المتحف البريطاني رقم ٢٣٦٠٣ .زد.
٢- الانصاري: شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الدمشقي.
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر مخطوط لدى المكتبة الاسلامية، مسقط، عن نسخة ليبتزج.
٣- التميمي: عثمان بن عبدالعزيز بن منصور.
- النصف الأول من كتاب نزهة الأبصار في ذكر الأقاليم وملوك الأمصار، دار الكتب المصرية، رقم ١٥٠ب تيمور.
٤- ابن وصيف شاه: عجائب الدنيا، مخطوط بمكتبة المتحف البريطاني، رقم ١٥٢٦ .زد.
٥- مخطوطات علم البحار:
أ- مخطوط رقم ١٨٢٨عام/١١ك، بدائرة المخطوطات والوثائق؛ وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، كتبه ناصر بن علي الخضوري، وانتقل الى ملكية سالم بن مسلم بن يوسف الحتروشي.
ب- مخطوط، رقم ١٨٢٧عام/١٠ك، بدائرة المخطوطات والوثائق مجهول المؤلف والعنوان والملكية وتاريخ النسخ. وزارة التراث القومي والثقافة.
جـ - نفحة الأزهار في علم البحار، ملك محمد بن ناصر بن محمد، تاريخ النسخ ١٣٥٢هـ، رقم ١٨١٩/٢ك، دائرة المخطوطات والوثائق، بوزارة التراث القومي والثقافة.
د- معدن الاسرار في علم البحار، ٣ أجزاء، ملك الشيخ/ ناصر بن علي الخضوري، تحت رقم ١٨٤٣عام/ ٢٦ك، دائرة المخطوطات والوثائق بوزارة التراث القومي والثقافة.

ثانيا: المصادر:

١- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي المكارم محمد (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).
- الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٢- الادريسي: أبو عبدالله محمد بن محب بن عبدالله (ت٥٨٤هـ/ ١١٥٢م).
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت، بدون تاريخ.
٣- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس حمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٩٦م).
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، بدون تاريخ.
٤- بزرك بين شهريار الناخذاه الرام هرمزي، (بداية القرن الرابع هـ/ العاشر م).

- كتاب عجائب الهند، ليدن، ١٨٨٣م.
٥- ابن بطوطة: عبدالله بن ابراهيم اللواتي (ت٧٩٩هـ/ ١٣٦٩م).
- تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، تقديم وتحقيق محمد بن عبدالمنعم العريان، مراجعة مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٦- البلاذري: أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).
- فتوح البلدان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.
٧- البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م).
أ- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
ب- كتاب الجماهر في معرفة الجواهر، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٨- ابن حوقل النصيبي؛ أبو قاسم محمد (٣٨٠هـ/٩٩٢م).
- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت بدون تاريخ.
٩- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت بدون تاريخ.
١٠- ابن سعيد المغربي: أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٧٧هـ/١٢٩١م).
- كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، بيروت ١٩٧٠م.
١١- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ/٩٢٠م).
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بالقاهرة.
١٢- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م).
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، بيروت بدون تاريخ.
١٣- القنوجي: صديق بن حسن.
- الوشم المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية، دمشق، ١٩٧٨م.
١٤- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م).
أ- مروج الذهب، ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
ب- أخبار الزمان، بيروت، بدون تاريخ.
١٥- المقدسي: أبو عبدالله محمد بن أحمد (٣٩٠هـ/١٠٠٠م).
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
١٦- المليباري، الشيخ أحمد زين الدين، (ت٩٩١هـ/١٥٨٣م).
- تحفة المجاهدين، دائرة المعارف الهندية، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
١٧- اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن واضح، (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م).
أ- كتاب البلدان، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
ب- تاريخ اليعقوبي، بيروت، بدون تاريخ.

ثالثا: المراجع العربية والمترجمة:

١- ابو العلا، محمود، دكتور.

أ- جغرافية شبه جزيرة العرب، القاهرة ١٩٧٢م.

ب- جغرافية العالم الاسلامي، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨١م.

٢- أبو العينين، حسن سيد أحمد، دكتور.

أ- آسيا الموسمية وعالم المحيط الهادي، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

ب- الموارد الإقتصادية، مؤسسة مكاوي، بيروت، ١٩٧٩م.

٣- أبو الليل، محمد مرسي.

- الهند، تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، سلسلة الألف كتاب مؤسسة سجل العرب، القاهرة.

٤- الأعظمي، محمد حسن، دكتور. (جامعة كراتشي، باكستان).

- باكستان، القاهرة، بدون تاريخ.

٥- الأمين، اسماعيل.

- العمانيون رواد البحار، دار رياض الديّس، لندن، ١٩٩٠م.

٦- البدر، سليمان سعدون، دكتور.

- منطقة الخليج العربي، الكويت، ١٩٨٧م.

٧- جيان.

- وثائق تاريخية ومعلومات جغرافية وتجارية عن سواحل افريقية الشرقية، دونت سنة ١٨٥٦م، نقلها الى العربية، يوسف كمال، القاهرة (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م).

٨- حامد، عبدالقادر.

- بوذا الأكبر، حياته وفلسفته، دار نهضة مصر، الفجالة، ١٩٨٦م.

٩- حداد، جورج، دكتور.

- المدخل إلى تاريخ الحضارة، الجامعة السورية، سنة ١٩٥٨م.

١٠- الحداد، السيد علوي بن طاهر. (من ماليزيا).

- المدخل إلى تاريخ الاسلام في الشرق الأقصى، عالم المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥).

١١- الحسني، عبدالحي.

- الثقافة الإسلامية في الهند، معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف، راجعه أبو الحسن علي الحسني الندوي، دمشق، سنة ١٩٨٣م الطبعة الثانية.

١٢- حمود، كامل، دكتور.

- تاريخ العلوم عند العرب، دار الفكر اللبنانية، سنة ١٩٩١م.

١٣- حميدة، عبدالرحمن، دكتور.

- جغرافية آسيا، دار الفكر دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٤- الخليفة، عبدالله، الحمر، عبدالملك.
- البحرين عبر التاريخ، البحرين، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٢م.
١٥- زيتون، محمد، دكتور.
- المسلمون في الشرق الأقصى، المنصورة، مصر سنة ١٩٨٥م.
١٦- سليم، أحمد، دكتور.
- ايران منذ أقدم العصور حتى أواسط الألف الثالثة ق.م، بيروت سنة ١٩٨٨م.
١٧- الشامي، أحمد عبدالحميد، دكتور.
أ- من تايخ العرب والإسلام، الأنجلو، سنة ١٩٧٦م.
ب- العلاقات التجارية بين دول الخليج العربي وبلدان الشرق الأقصى وأثر ذلك في بعض الجوانب الحضارية في العصور الوسطى، النهضة العربية، القاهرة سنة ١٩٧٨م.
١٨- ضيف، شوقي، دكتور.
- العصر العباسي الأول، الطبعة الثامنة، دار المعارف، مصر.
١٩- الطرازي، عبدالله مبشر، دكتور.
- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب، تقديم أبو الحسن الحسني، عالم المعرفة، جدة، المملكة العربية السعودية، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). جزءان.
٢٠- عبدالحليم، رجب محمد، دكتور.
- العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، مكتبة،مسقط، ١٩٨٩م.
٢١- عبدالعليم، أنور، دكتور.
- الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، العدد ١٣، الكويت ١٩٧٩م.
٢٢- العاني، عبدالرحمن عبدالكريم، دكتور.
- عمان في العصور الإسلامية الأولى، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة بغداد سنة ١٩٧٧م.
٢٣- العربي، اسماعيل.
- الإسلام والتيارات الثقافية في شبه القارة الهندية، ليبيا سنة ١٩٨٥م.
٢٤- عصفور، محمد أبو المحاسن، دكتور.
- المدن الفينيقية، بيروت، سنة ١٩٨١م.
٢٥- العلي، صالح أحمد، دكتور.
أ- خطط البصرة ومنطقتها، المجمع العلمي العراقي، سنة ١٩٨٦م.
ب- امتداد العرب في صدر الإسلام، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
٢٦- علي، جواد، دكتور.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م.

٢٧- فخري، أحمد، دكتور.
- دراسات في تاريخ الشرق القديم، الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية،القاهرة.
٢٨- الفندي، محمد جمال الدين، دكتور.
- طبيعيات البحر وظواهره، النهضة المصرية سنة ١٩٦٠م.
٢٩- المباركيوري، أطهر، القاضي.
أ- العرب والهند في عهد الرسالة، القاهرة، ١٩٧٣م.
ب- رجال السند والهند الى القرن السابع الهجري، دار الانصار، القاهرة، ١٣٩٨هـ. جزءان.
جـ- العقد الثمين في فتوح الهند وما ورد فيها من الصحابة والتابعين، دار الأنصار، القاهرة، بدون تاريخ.
٣٠ متولي، محمد، دكتور - أبو العلا، محمود، دكتور.
- جغرافية الخليج العربي، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٢م.
٣١- محمد، علي رضا ميرزا.
- الخليج الفارسي عبر القرون والأعصار، طهران، منشورات مجمع الأدب والفن الإيراني، سنة ١٣٩٤هـ.
٣١- محمود، حسن أحمد، دكتور.
أ- الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
ب- انتشار الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، دار الفكر العربي.
٣٢- مؤنس، حسين، دكتور.
- الإسلام الفاتح، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.
٣٣- الندوي، محمد اسماعيل، دكتور.
أ- الهند القديمة، دار الشعب، القاهرة سنة ١٩٧٠م.
ب - تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، بيروت، بدون تاريخ.
٣٤- يونس، عادل طه، دكتور.
- العالم الإسلامي اليوم، ابن سينا، القاهرة سنة ١٩٩٠م.

مداخلة
الندوة

حول فكرة إقامة هذه الندوة وفيما إذا كانت الفكرة خروجا على خط فعاليات المنتدى أو دعما لها؟

الجواب على لسان سعادة سالم بن محمد الغيلاني رئيس المنتدى الأدبي: جاءت فكرة إقامة هذه الندوة التي تبدأ بصور يليها كوكبة من مدن وحواضر عمان العريقة بعد أن رأت وزارة التراث القومي والثقافة ممثلة في المنتدى الأدبي حاجة العلماء والباحثين في هذا المجال ماسة وملحة إلى المصادر التاريخية والمراجع العلمية لهذه المدن، كما يأتي هذا الاهتمام حرصا من الوزارة على توثيق ذلك التاريخ عبر مطبوعاتها والتي نرجوا أن تكون من المراجع التي يعني بها المؤرخون والباحثون في عمان والوطن العربي والاسلامي.

ثقـــافة المدينــة

إعداد: سعيد بن محمد الصقلاوي

١- تقديــــم:

منذ اقدم العصور شغلت المدينة حيزا هاما من الإبداع الشعري والأدبي، واحتلت موقعا متميزا في بؤرة الاهتمام العلمي، والجغرافي، والهندسي. فلقد كتب البابليون ملحمة جلجامش، والاغريق الياذة هوميروس، والفرس الشهنامة. وكانت الأحداث في هذه الأعمال الأدبية تحمل ملامح المدينة التي نشأت فيها. إضافة إلى الروايات العديدة ابتداء من ألف ليلة وليلة. ومرورا بقصة بين مدينتين لتشارلز ديكنز، فبين القصرين لنجيب محفوظ، ثم مدن الملح لعبدالرحمن منيف، وغيرها من القصص والروايات العربية والعالمية.

وإذا كان شعر الملاحم قد صور أحداث المدن فان القصائد ذات الصوت الواحد في العصور المختلفة ابتداء من الجاهلية وحتى العصر الحديث كان لها دور بارز ومميز في إبراز ملامح المدينة الحضارية والثقافية والاجتماعية.

ولقد نقلت إلينا كتب الأدب العربي وموسوعاته المختلفة صورا متعددة لمظاهر الحضارة العربية في بدوها وحضرها، في قراها ومدنها، في بلدانها وأقاليمها، في سواحلها وعمقها البري، ويكفي المرء نظرة إلى كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والامالي للقالي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والكامل في الأدب للمبرد، وغيرها من مراجع التاريخ الأدبي ليتعرف على أحوال المدينة العربية من وجهة النظر الأدبية.

فالشعراء العرب منذ امرئ القيس في الجاهلية، ومرورا بابي نواس وابن الرومي وشعراء الصوفية في العصر العباسي، وتعريجا على ابن حمديس وابن زيدون وأبي البقاء صالح الرندي في العصر الأندلسي، ووصولا إلى شعرنا المعاصر من احمد شوقي وحتى ادونيس ونزار قباني وغيرهم، لم يدخروا وسعا في رسم صورة ثقافة المدينة العربية، والتي هي في الواقع نتاج الفكر والعقل الانساني في هذا المحيط. وتعتبر الدراسة التي قام بها الدكتور مختار أبو غالي وثيقة أدبية حديثة ركزت في معطياتها وتناولها على موضوع المدينة في الشعر العربي المعاصر(١).

وإذا ما حاولنا التعرف في عجالة على اهتمام المؤرخين بالمدينة، فسنجد انهم منذ هيرودوت، ومرورا بالمؤرخين العرب كابن الأثير، والمسعودي، ووصولا إلى اشهر مؤرخي أوروبا، كأرنولد تومبي، قد تناولوا المدينة من حيث تاريخها، مبرزين فعل العقل الإنساني في مسيرة حركة تطوره السياسي والمدني.

وظلت المدينة منذ بطليموس، وبليني في العصور الغابرة، ومرورا بالجغرافيين العرب

كالاصطخري، وابن حوقل والهمذاني والادريسي وغيرهم في العصور الوسطى، ووصولا إلى العصور الحديثة مثل لويس ممفرد في كتابه تاريخ المدن، وجمال حمدان في جغرافية المدن، وغيرهم كثير ممن كان لهم دور فاعل في إثراء الإضاءات العلمية حول المدينة من الناحية الجغرافية، والمكانية، والتاريخية، وغيرها من الأمور المتعلقة بمسيرتها وتشكلها.

والفلاسفة منذ أرسطو، وأفلاطون في جمهوريته الفاضلة، ومرورا بفلاسفة المسلمين والعرب، كالفارابي في مدينته الفاضلة، وابن خلدون في فلسفته عن العمران، التي أوضحها في كتابه الشهير مقدمة ابن خلدون وديوان العبر في المبتدأ والخبر. ثم وصولا إلى فلاسفة العصر الحديث، وهم كثر من الأوروبيين والمسلمين والعرب، وغيرهم من الأقوام والأمم.

واهتم مخططو المدن، ومهندسو العمارة، بالمدينة وأنماط الحياة، وتأثيرها على هندستها المعمارية، فمنذ الفراعنة، فالعصور الوسطى، ظهرت فلسفات متعددة دارت حولها تخطيطات المدن، وحملت أبنيتها الملامح المعمارية لها. فنرى المدينة الإسلامية الأولى في بساطتها، مثل يثرب ومكة، والمدينة الإسلامية الأكثر تشابكا، كبغداد والبصرة والموصل ودمشق، ثم الطرز المعمارية التي حملت تواريخ حقب ودويلات مختلفة، كالطراز الفاطمي، والمملوكي، والأندلسي. وفي أوروبا أيضا بدأت المدينة وليدة الحضارة الإغريقية فالرومانية، فمدن العصور الوسطى التي مثلتها عمارة عصر البارود، فالمدن الصناعية الأولى في العصر الحديث، وبعدها مدن الحدائق، وغيرها من المدن التي ظهرت في القرن العشرين، وكانت نتاج ثقافات وفلسفات ونظريات عديدة.

ولم ينس علماء الاقتصاد دورهم في هذا المضمار فتعاملوا مع المدينة مرة بشكل كلي ومرة بشكل جزئي. فمن الناحية الكلية تبنوا ما عرف باقتصاديات المدينة، ومن الناحية الجزئية تبنوا ما عرف باقتصاديات القطاع، كالقطاع الإسكاني، والقطاع السياحي، والقطاع الصناعي وما شابه ذلك.

وقد شارك علماء الصحة والبيئة في موضوع المدينة، فخصصوا دراساتهم وركزوها على بيئات المدن، وصنفوا نتائجهم تبعا لما تحمله كل مدينة من مظاهر الصحة البيئية، ووضعوا الخطط التنفيذية لمعالجتها أو تنميتها.

وإذا كان للمؤرخين والجغرافيين دور بارز في موضوع المدينة، فان دور الآثاريين يزداد أهمية بالغة فيما يقدمونه من نتائج علمية، تضيء كثيرا من الجوانب التي رواها المؤرخون، وتناقش القضايا التي طرحت حول موضوع المدينة في عصورها المختلفة. وبفضل جهودهم تعرفنا على حضارات وثقافات بعض المدن العمانية القديمة، مثل أوبار وسمهرم والبليد في ظفار، وصحار في الباطنة، وبات في الظاهرة، وبعض المستوطنات السكنية في سمد ووادي نام من المنطقة الشرقية، التي يعود تاريخها إلى ٣٠٠٠ ق.م.

وحسبنا ان ننوه هنا إلى ان المشتغلين بالمدينة قد تناولوها من جوانب متعددة ومختلفة

بعضها اتخذ اتجاها عاما وبعضها ركز على الجزئيات التفصيلية. والنظر إلى المدينة من سماتها المختلفة كالسمات الثقافية والحضارية، والفنية والمعمارية، أو من موقعها الجغرافي، أو بيئتها، أو نشاطاتها السياسية والاقتصادية والتنظيمية؟ ما اظهر أنواعا من المدن تنسب إلى أوضاعها، أو سماتها، أو أنشطتها أو نظمها، فظهرت المدن الرأسمالية، والمدن الاشتراكية، والمدن الشيوعية، والمدن الصناعية، ومدن البترول، والمدن العسكرية. ووسمت بعضها بمدينة الثقافة كباريس، ومدينة السينما كهوليوود، ومدينة الفنون التشكيلية كروما، والمدن الدينية بالنسبة للمسلمين مثل مكة والمدينة المنورة والقدس، وبالنسبة للمسيحيين مثل الفاتيكان. وكذلك الحال بالنسبة لعمان، حيث عرفت نزوى بجانب دورها السياسي بمدينة العلم، وصور بمدينة الشراع، وصحار بخزانة الشرق، وظفار ببلاد اللبان.

لقد أصبحت كل مدينة من هذه المدن تعكس (علاقة الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه)[٢] والذي ينبغي ان نشير إليه هنا، هو ان المدن عاصرت كل المدنيات التي ظهرت على وجه البسيطة، وكذلك عاصرت كل الناس منذ ان عرف الإنسان الاستقرار ومعنى التوطن، ومفهوم وشكل المدينة، في بساطتها أو تشابكها. ولكن الملفت للنظر هو ان الناس قد ذهبوا وواراهم الثرى، كل حسب مقدار إنجازه، وظلت المدينة شاخصة في وجدان الإنسان، وماثلة في ضمير الأجيال تروي تاريخهم[٣].

وتهدف هذه الورقة إلى تسليط الضوء على دور التفاعل المشترك بين مدينة صور باعتبارها إطارا جغرافيا وبيئيا وموروثا ثقافيا، وبين الفعل والنشاط الإنساني الذي قام به الإنسان في صور، أخذا ومعطيا، منتجا ومصدرا لمفردات الثقافة، ومعطيات الحضارة في حدود وخارج محيطه. وفي سبيل إضاءة ذلك سعت الدراسة إلى تقسيم الأنشطة الثقافية باعتبارها فعلا اجتماعيا إلى:

١- الثقافة الأدبية والفنية والدينية.

٢- الثقافة الصناعية والزراعية.

٣- الثقافة الاجتماعية والسياسية.

٤- الثقافة العمرانية والتخطيطية.

وقسمت هذه المستويات الثقافية جغرافيا إلى:

١- ثقافة بحرية: وهي الثقافة المرتبطة بالنشاط البحري.

٢- ثقافة برية: وهي الثقافة المرتبطة بالحضر والفلاحين والبدو.

وتخلص الدراسة من هذا العرض إلى تبيان الأثر المتبادل بين البيئة والإنسان، بحيث اكسب كل منهما الآخر ملامحه وصفاته، أضاف كل منهما إلى الآخر ما مكنه من بناء شخصيته، واكتساب خصوصيته.

٢- ثنائية الثقافة والمدينة:

ثنائية الثقافة والمدينة يتجاذبها فعل ونشاط إنساني، بمعنى ان العلاقة القائمة بينهما تكون أشبه بقطبين يتجاذبان الفعل والنشاط الإنساني، أو مركزين يمد الفعل والنشاط الإنساني جسرا بينهما، تتحرك على مساره المفردات الحضارية، فأصبحت المدن معملا يقوم فيه البحث عن الحرية، ومهوى للمتطلعين للحياة الحضرية[٤].

وللتعرف على هذه الثنائية ينبغي الإجابة على الاستفسارات البسيطة في ظاهرها، والمتشابكة في مضمونها، والتي تدور حول: ما هي الثقافة؟ وما هي المدينة؟ وما هي العلاقة بينهما؟

١ ٠ ٢- الثقافة: لغة واصطلاحا:

الثقافة ذات معنيين خاص وعام: فالمعنى الخاص يتمثل في كونها (الثقافة) تنمية لبعض الملكات العقلية[٥]، بتثقيف العقل عن طريق تزويده بالمعارف العلمية والأدبية والفنية. فتتعدد مشاربه ويصبح مدركا لما يسمى بالثقافة العلمية، أو الثقافة الأدبية، أو الثقافة الفنية.

والثقافة بمعنى التهذيب: تأخذ معنى خاصا آخر، يتمثل في كونها تسوية لبعض الوظائف البدنية[٦]. فيقوى الجسم وينمو رياضيا، ويهذب بحيث يصبح قادرا على التحمل والصبر. والقول المأثور (علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل) يأتي متفقا مع هذا المفهوم، ومتسقا مع هذا المبدأ. فنجد كثيرا من المؤسسات المدنية كالهيئات الرياضية، والاتحادات والأندية، تتبنى مبدأ الثقافة الرياضية، وتهتم وسائل الأعلام، ومؤسسات التربية والتعليم بتثقيف النشء رياضيا. فضلا عن أهمية هذا الجانب في النواحي العسكرية.

أما الثقافة في معناها العام: فقد تعددت الآراء حولها وتشعبت الاطروحات بين المشتغلين بها، فمنهم من يجعلها صفات تتمثلها شخصية المثقف تتضمن العلم والحذاقة، والذوق، والحس الانتقادي، والحكم الصحيح. وبعضهم يرى انها التربية التي تؤدي إلى إكساب الإنسان مثل هذه الصفات[٧]. وقال روستان: ان العلم شرط ضروري في الثقافة[٨]. وذلك لانه يكسب لفظ الثقافة المزايا العقلية التي تجعل الحكم صادقا، والعواطف مهذبة، وتأسيسا على ذلك فان الثقافة بهذا المعنى تؤدي إلى (الملاءمة بين الإنسان والطبيعة، وبينه وبين المجتمع، وبينه وبين القيم الروحية والإنسانية)[٩].

ويرى بعضهم ان الثقافة ذات وجهين: وجه ذاتي، وآخر موضوعي. فالذاتي تمثله ثقافة العقل. والموضوعي تمثله العادات والأوضاع الاجتماعية، والآثار الفكرية، والأساليب الفنية، والطرق العملية والتقنية، وأنماط التفكير، والإحساس والقيم الذائعة[١٠].

وآخرون يذهبون بالثقافة إلى أوسع من ذلك وأبعد، رغم إيجاز عبارتهم. حيث يرون ان الثقافة هي (طريقة حياة الناس، وكل ما يملكونه، ويتداولونه، اجتماعيا)[١١].

٢ ٠ ٢- المدينة: لغة واصطلاحا:

هناك لفظان متقاربان وهما: المدينة والتي اصل فعلها مدن. وتعني المصر الجامع[١٢].

واللفظة الأخرى (المدنية) وتأخذ معناها اللغوي من الحضارة والعمران[١٣]. ومن هذا المنطلق نرى ان المدينة هي محتوى المدنية. فإذا كانت الثقافة في أحد معانيها تشير إلى الحضارة، والمدنية هي الحضارة والعمران، فان المدينة تصبح بالتالي محتوى الثقافة والعمران.

٣- أثر الموقع في ثقافة مدينة صور:

من الملاحظ جغرافيا ان موقع مدينة صور فريد بين مثيلاتها من المدن العمانية وذلك ان المدينة مفصولة عن الصحراء، بسلسلة جبال ولكنها مشرفة على البحر، فاتحة ذراعيها، حاضنة أمواجه، مستلقية على ساحله، ومستمتعة بسماع هديره، ورؤية زبده، وطيات أعماقه، وجواهر ونفائس قاعه. راسمة على صفحاته تطلعها، وإقدامها وتاريخها، فمنحها صفاته، ومكن أهلها من ارتياده وقيادته، حتى ان بعض المؤرخين قد أطلق عليهم صفة (شياطين البحر)[١٤].

هذا الموقع مما لاشك فيه، اكسب صور خصوصية أهلتها لان تلعب دورا هاما في عملية الاتصال والتوصيل. فاتصلت بمدن المنطقة (مدن الخليج والعراق وإيران). واتصلت كذلك بمدن ما وراء البحر في (الهند، وشرق آسيا وأفريقيا). وتعرفت على ثقافاتها وأنماط الحياة وطرائق المعيشة والسلوك الإنساني والحضاري. فأخذت وأعطت، وتبادلت مفردات الثقافة مع حضارات هذه الأمم، مع المحافظة على شخصيتها العربية

الإسلامية، وطابعها المكاني، مؤكدا حضورها في مسيرة التاريخ، وفعلها الحضاري الممتد في خارطة الذاكرة الحضارية عبر المكان والزمان. ولقد أيدت الكشوف الأثرية في كل من منطقة رأس الجنز، ورأس الحد[١٥] التلاقي الحضاري بين صور وقريناتها من مدن العالم منذ اقدم العصور[١٦].

وكما كانت المدن الأخرى محطات ثقافية بالنسبة لأهل صور، كانت صور أيضا محطة للاتصال الحضاري، انتقلت عبرها سفن أهل الخليج غادية آتية، حاملة لؤلؤ الخليج، وخيراته إلى البلدان الأخرى. ولقد أشار الكاتب يعقوب يوسف الحجي في كتاب رحلة الغزير إلى أهمية صور كمدينة، جغرافيا، وملاحيا، وتاريخيا[١٧]. وهذا يعكس أهمية دورها في التبادل الثقافي والحضاري. وأهمية انعكاس الثقافات الأخرى على نمط المعيشة وطرق التعامل، وكيفية التفاعل مع مجريات العصر، ومفردات التطور، فتنوعت خبرات أهلها، وتطورت قدراتهم، وتعددت طرائقهم الحياتية، وتبدلت عن النمط الذي كان سائدا في عمان. ولقد لاحظ ذلك جمهرة من المشتغلين بالتاريخ العماني ومن بينهم المؤرخ الشيخ سالم بن حمود السيابي حيث أشار إلى هذا التبدل والتطور والتغير[١٨].

موقع صور على البحر، والتصاقها الوثيق بثقافته من جهة، وصعوبة السلاسل الجبلية الفاصلة من جهة أخرى. لم يمنعا صور من ان تمد وشائج الصلة والارتباط إلى الصحراء باعتبارها الموطن الأول للثقافة الأولى.

فلقد ظلت الوفود الصحراوية تتدفق على مدينة صور على امتداد قرون وعقود من الزمن، تؤكد صلة الرحم، وتثري منابع الثقافة الأولى خوفا عليها من النضوب. ولقد دبج الشعراء في قصائد مختلفة، ومراحل زمنية متعاقبة كثيرا من الملامح المشتركة بين أهل صور وأهل الصحراء من حيث أصالة النبع واتحاد المصدر وارتباط المنبت، والتفرع عن الجذر الأول. ومن هؤلاء الشعراء على سبيل المثال. ناصر بن سالم عديم في نونيته الشهيرة، والشيخ عبدالله الخليلي[١٩] في ميميته الأخيرة، التي تناول فيها القبائل العمانية. ولم تغفل هذا الجانب كتب الأنساب العمانية ومؤلفات المؤرخين كابن حزم في كتابه جمهرة الأنساب، وكارتر في كتابه قبائل عمان.

ان تجاوب أصداء الثقافة الصحراوية مع الثقافة البحرية كان وما زال واضحا في كثير من معطيات الثقافة في مدينة صور، سواء على صعيد الفن الفلكلورى من غناء ورقص وكلمات وقصائد، أو على صعيد الثقافة التاريخية التي تستوطن ذاكرة ووجدان المواطن.

لقد ظلت المنطقة المحصورة بين البحر وسلسلة الجبال في صور تحمل خصائص لا تنتمي إلى الصحراء كلية، ولا تندمج جملتها في البحر. وانما كانت وسطا حضريا وزراعيا تسكنه ثقافته، ولكنه متصل بالثقافة الصحراوية من جهة ومتعلق بالثقافة البحرية من جهة أخرى. ونرى ان الثقافة في مدينة صور يمكن ان تقسم من حيث الموقع وتأثيره الجغرافي إلى:

١ ٠ ٣ - ثقافة البحر:

وهي تلك المفردات الثقافية المرتبطة بالبحر من حيث النشاط والفعل والفكر والفن الإنساني في صوره المختلفة. ومساحة هذه الثقافة تمتد على سواحل صور ونياباتها. تأخذ من البحر صفاته، ومن الشراع انطلاقه ومن الغنجة انسيابها، ومن الانجر ثباتها، ومن الإنسان تواصله ومثابرته. فحبرت الكتب في العلوم البحرية ومن بينها كتاب معدن الأسرار للخضوري[٢٠]، وسجلت في دفتر النوخذا الملاحظات البحرية والجغرافية عن كل موضع وموقع، وساحل ومدينة، وبر وبحر، منذ بداية الرحلة وحتى العودة إلى مدينة صور على نغمات الشوباني/ وترانيم الهولو.

وبرزت الخبرات التطبيقية المستنيرة في علوم البحر والملاحة، مثل قياسات أشرعة السفن واعدادها حسب أحجام السفن، والتعامل مع العواصف البحرية، ويعتبر علي بن مبارك بن حمد البلال المخيني (١٨٨٤-١٩٦٣م) واحدا من رموز تلك الخبرات البحرية.

واظهر أهل صور دراية واسعة بعلوم الجغرافيا البحرية الملاحية، وخاصة تلك المتعلقة بأحوال المناخ، كالرياح، ومواسم الأمطار، فضلا عن الخبرات المتعمقة باستخدام أدوات الملاحة البحرية من خارطات، وقياسات، وقواعد، ولقد كان علي بن خميس الغيلاني (١٨٨٢-١٩٦١م) واحدا من زمرة أولئك المشتهرين بهذه الخبرات.

هذه الخبرة البحرية الطويلة التي اكتسبها أهل صور على مر الزمن، بجلد وممارسة وجد

ونشاط، قد أهلتهم لجوب أعالي البحار الممتدة من الصين في آسيا وحتى موزمبيق في أفريقيا، ويعد خميس بن سعيد بن ناصر العريمي (١٨٩٨-١٩٦٩م) واحدا من أبناء صور الذين وصلوا بسفنهم الشراعية إلى موزمبيق في أفريقيا في القرن العشرين.

وفي محاولة استذكار الماضي، أشار يعقوب بن يوسف الحجي إلى هذا التراث البحري العظيم بقوله: 'أين المجد وأين التراث البحري العظيم الذي طالما تمتعت به صور، وأين أبناؤها البحارة الذين تركوا آثارا لهم حتى شرق أفريقيا؟ لا أرى شراعا واحدا يخرج من بين هذه الصخور إلى هذا البحر الواسع[٢١].

هذه التساؤلات والاستفسارات هي نتاج التفاعل الحقيقي مع معطيات الزمان والمكان، عندما كانت صور منشغلة بهما، كما كانا منشغلين بها. ان تلك الصورة الناضجة بإشراقة الحمد والثناء، والسؤدد والرخاء، تفصح ببلاغة عن مكانة صور وكيف كانت عليه هذه القرية الصغيرة والمليئة بالتاريخ[٢٢] وكيف كانت تلك السفن العظيمة، من بغال * جميلة وسنابيك * سريعة وبدانة * كبيرة شقت عباب المحيطات، حاملة راية عمان، رسول محبة وسلام وإسلام إلى شعوب العالم في آسيا وأفريقيا. فهل ترفع صواريها (دقالتها) * ثانية، وهل تطلق أشرعتها للريح من جديد؟ وهل تعود تلك الصورة المبهجة صورة المجد المضمخ بعبير انتصار الإنسان على المستحيل؟.

٢ .٣- ثقافة البر:

وهذه تشتمل الثقافة التي تتفاعل مفرداتها في المحيطات الحضرية والزراعية والصحراوية. تحتضن أبهى صور التلاقي الثقافي بين مدينة صور، ومدن ما وراء البحار، يشي بذلك الأزياء، وطرق الحياة، ونمط العمران والبناء، وأساليب الأداء الفني الراقية. فكل من مر بصور من الرحالة العرب والأجانب قد أكدوا هذا التميز الحضاري بالنسبة لمثيلاتها من المدن العمانية. وقد كتب عنها محمد بن عبدالله السالمي وصفا مركزا، يعكس صورا من مظاهر مدينة صور. هذه الصور تأخذ من الذريرة* طيبها، ومن الأزياء فرحها، ومن المصوغات ذوقها الرفيع، ومن الخنجر الصوري* إباءها، ومن الحصون والبروج تاريخها وكفاحها.

ونرى جانبا من الثقافة تتفتق في المحيط الزراعي، في البساتين، وبين الحقول. تأخذ من الخضرة ألقها، ومن النخيل سموقها، ومن الكيذاء * عبقه ومن الياسمين رائحته.

بينما تنبت الباقات الثقافية الأخرى في الواحات والمستوطنات الصحراوية التي ترتبط في جذورها بمدينة صور. تأخذ من الصحراء نقاءها، ومن السماء بريقها، ومن الجمال صدقها، ومن الكثبان قدرتها على التفاعل مع البيئة والتلاقح مع ثقافتها.

٤- الثقافة الأدبية والدينية والفنية:

لا تنبت الثقافة ما لم يتوافر لها النبع الدافق. وكانت منابع الثقافة في صور تتمثل في

مدارس تعليم القرآن الكريم والكتابة، وتسمى مثل هذه المدارس في بعض الدول العربية بالكتاتيب. وكانت هذه المدارس تتخذ من بيوت المعلمين أو المساجد مقرا لها وكانت أعداد المدارس في صور (لتعليم البنات والصبيان)، قد بلغت ما يزيد عن ١٢ مدرسة للبنات و١٥ مدرسة للصبيان ومدرسة نظامية واحدة (انظر الملحق١)[٢٣]. كما كان التعليم في كثير من المدارس مختلطا أيضا في مراحله الأولى.

لقد مارست المرأة في صور دورها الثقافي باقتدار حيث تم نشر التعليم من خلال تدريب البنات والصبيان على حد سواء. فكانت المساحة التعليمية التي نشطت فيها المرأة ممتدة بين مدرسة فاطمة بنت سعيد القحام، ومدرسة ثنية بنت عبيد (مدرسة بنت الزغام) وبين هاتين المدرستين انتشرت مدارس تعليمية عديدة في محيط صور، أثرت كل منها فيض النهر الثقافي الذي كان يصب في فكر ووجدان الإنسان في صور[٢٤].

وقد ساعد نشاط الرجل في صور ودوره في نشر التعليم على تمدد المساحة الثقافية فكانت المساحة ممتدة بين مدرسة سعيد بن سالم من بيت القحام، الى مدرسة عبدالله (الملقب ببيزات) وكانت تنتشر في حارات صور وأحيائها مدارس عديدة، مارس المخلصون للعلم فيها دورا رياديا في محاولة غرس بذور الثقافة. (ولا نزعم هنا أننا حصرنا المدارس، أو المعلمين والمعلمات في كافة أرجاء صور. ولكن ما أوضحناه هو للتمثيل والاستشهاد بغرض التدليل والتعريف. كما لا تمثل هذه المدارس بداية التعليم في صور وإنما تشير إلى تواتر وتعاقب العملية التعليمية والتثقيفية).

وبطلب من المشايخ وبموافقة السلطان سعيد بن تيمور (١٩٣٢-١٩٧٠م) تم إنشاء أول مدرسة نظامية تزامنت مع المدرسة السعيدية في مسقط. وقد اختير لهذه المدرسة بيت مبارك بن محمد العلوي (الملقب بملابج). ليكون مقرا لها. وكان إنشاء المدرسة يمثل مرحلة من التعاون بين الحكومة والمواطنين. حيث وفر المواطنون المقر وجهزت الحكومة المدرسة بالسبورة والدفاتر والكتب والأقلام والأجور. ولقد درس فيها كل من الأخوين عبدالله وعلوي الغزالي، ومعهم سعيد بن مبارك بن جويد الغيلاني وغيرهم. وعرفت المدرسة باسم مدرسة الغزالي[٢٥].

وبجانب المدارس لعبت السبلة أو البرزة دورا تثقيفيا هاما. فقد كانت المجالس أو البرزات في البيوت أو في الخلاء أو على ساحل البحر أو تحت الشجرة منتدى ثقافيا يداوم على حضوره عشاق الثقافة والأدب والفكر. وكانت السبلة أو البرزة بمثابة الصالون الأدبي والثقافي الذي عرفته مجتمعات عديدة[٢٦] وكانت هذه الصالونات ملتقى للأدباء والمفكرين يناقشون فيها قضايا الفكر والأدب والسياسة والمجتمع وكذلك كانت السبلة أو البرزة في صور، فقد كانت وما زالت ملتقى تناقش فيه القضايا التي تهم المجتمع وتحل فيه المشاكل المتعلقة به، كما كانت منتدى لتداول الأخبار، والأشعار، والقصص التراثية، والأمثال والحكم وغيرها.

وكانت الفنون تشارك بفعالية في النشاط الثقافي، وفي حفز الهمم، وشحذ القرائح، فظهر شعراء فن الميدان المختلفون، وشعراء فن الرزحة وشعراء فن العازي (أو العزوة)، وغيرها من الفنون الشعبية. ونذكر على سبيل المثال، راشد بن حمد الدهمشي العريمي، ومحمد بن جمعة الغيلاني، وسعيد بن عبدالله الفارسي الملقب بولد وزير (١٩٠٥-١٩٩٠م) وعبدالله بن راشد بن سعيد المهنا السناني (١٨٩٦-١٩٦٨م) وقد تشرب حب الشعر عن والده الذي كان شاعرا أيضا. وكذلك سالم بن محمد المخيني (الملقب بسالم فون). وبجانب هذه الكوكبة من شعراء الفنون الشعبية وشعراء العامية، كان يشارك في ازدهار الشعر كل من - الشعراء النجوم - حافظ المسكري، ومطوع، ومصلح وغيرهم كثيرون. وكان هؤلاء جميعا ركائز لنهضة الشعر الشعبي (العامي) في صور. ولابد أن نشير هنا إلى الطائفة من الشعراء والأدباء الذين كان لهم دور تاريخي ليس في صور فحسب بل على امتداد الوطن العماني، ومن بين هؤلاء نذكر أبا عبدالله محمد بن سعيد القلهاتي. وهو من أدباء القرن السادس الهجري، ومن كتبه الشهيرة، كتاب الكشف والبيان والكلوية. ومن شعره، منظومة الحلوانية (القحطانية)* التى ناقضها ابن رزيق بمنظومة أخرى تدعى (العدنانية)*. كما ننوه بالشاعر راشد بن مبارك الرزيقي (١٨٩٤ - ١٩٦٣م) الذي طبع ديوانه في الهند، وكانت له مراسلات ومساجلات شعرية مع عدد من الشعراء من بينهم الشاعر اليمني احمد الشبيلي.

وإذا نظرنا إلى الموسيقى، أو الأغنية فسنجد ان مدينة صور كانت من أوائل المدن العمانية التى التفتت إلى فن الأغنية، وذلك نتيجة التبادل الثقافي بين صور ومدن الخليج وحضرموت واليمن. ومن الأغانى الفلكلورية التي تنسب لأهل صور على سبيل المثال، أغنية (يا بنات المكلا) التى غناها من الشام المطرب (فهد بلان).

وقد أحيا فنانو صور التراث الشعبي المتوراث فقدم سالم بن راشد الصوري في النصف الأول من هذا القرن أغنية (يا مركب الهند يا بو دقلين) التي انتشرت في الخليج العربي على وجه الخصوص وانتقل جزء منها إلى مصر عن طريق المطرب السعودي/ محمد عبده. وقدم كل من الفنان حمد حليس، والفنان حمد بن راشد القعودي (الملقب بولد قاش) عددا من الأغنيات التي كان لها صداها في عمان، ومنطقة الخليج. ولقد وجدت المطربة العمانية/ موزة خميس القادمة من الباطنة، متسعا فنيا في مدينة صور فسافرت منها بعد ذلك إلى البحرين.

وبجانب النشاط الفني في مجال الغناء، كان هناك نشاط آخر، وهو إنتاج الأغنية في اسطوانات. ويعد ابن مدينة صور سالم بن راشد الهاشمي الصوري (الملقب بسالم الصوري) من أوائل الذين أسسوا شركات للإنتاج الفني في الخليج في النصف الأول من القرن العشرين، فكانت شركة (سالم فون) أو (صوت سالم فون).

أما عبدالله الصفراوي – ابن صور المهاجر إلى ضفاف سهل الباطنة من ارض الوطن (عمان) – انطلق صوته جهوريا، صافيا، مع فجر النهضة العمانية، يغني أفراحها، وينشد لمجدها، ويعظم وثبتها، ويحث على مزيد من البذل، والعطاء، ومزيد من التلاحم، والتكاتف، والجد، والاجتهاد، من اجل عزة الوطن، ونمائه، ورخائه. وكانت أناشيده ترسخ الشعور بالحب لجلالة القائد المفدى، وللوطن، معمقة الولاء، ومؤكدة الوفاء، وراسمة ازهى صور الانتماء.

ولم يقتصر دور المسجد على أداء الصلاة فقط، بل اتخذ مدرسة تلقن الأطفال علوم القران الكريم، والسنة المطهرة. وعقدت فيه حلقات الذكر، واجتمع فيه المواطنون على مائدة الإفطار في رمضان، وتحلق حوله الأطفال ينقلون بشائر الأذان المبارك.

وكانت المرأة تتفاعل مع الثقافة من خلال مجالس النساء التى كانت تعقد في البيوت، يتداولن الأشعار، والأمثال، والأخبار، والأحاديث الدينية فضلا عن جلسات الفن الشعبي الذي كن يمارسنه في بيوتهن مساء، أو في وضح النهار بين الحارات أو في الميدان.

فازدهر الشعر بينهن، وكان من أشهرهن سليمة بنت سعيد مكشن المخينية وفاطمة بنت مسلم بن محمد المخينية (الملقبة ببنت مكردم)، وسالمة بنت سالم أبو ناشب الفارسية، وغيرهن من ربات القصيد، وصانعات الكلام في صور.

٥- الثقافة الاجتماعية والسياسية:

يقصد بهذا المدخل ثقافة العادات والتقاليد الاجتماعية، وثقافة النظام السياسي المتبع في المدينة، فمن المعروف ان مدينة صور تتقاسم كثيرا من العادات المشتركة مع المدن العمانية المختلفة، ولكنها تختلف عنها في خصوصيات عادات الزواج، والأعياد، والعزاء وغيرها. فعلى سبيل المثال. تقام الافراح ومراسم الزواج في صور من عقد قران، وزفاف، وغيرها في بيت العروس، ويستضيف أهل العروس الابن الجديد (الزوج) لمدة معينة. ثم تحول بعد ذلك العروس إلى بيت أهل زوجها. بينما لا نرى مثل هذه العادة ماثلة في مدن الداخلية، أو مسقط، أو حتى الباطنة.

كذلك نرى عادة السلام في الأعياد. ففي صور ينطلق المواطنون في صبيحة يوم العيد للسلام ويدخلون معظم البيوت بينما نرى ان عادة التسليم في العيد في المدن الأخرى يقتصر على الأرحام والأهل وبعض المعارف.

هذه العادات المتوارثة يرفدها مد ثقافي توارثته الأجيال. وخضع في جزئياته إلى تغيرات وتبدلات، تبعا للتلاقح الثقافي، والتطور الحضاري.

وإذا نظرنا إلى ثقافة المدينة من الناحية السياسية، فإننا سنرى أن المدينة سابقا كانت تدار من قبل المشايخ والرشداء في مختلف مناحي النشاط الإداري والاجتماعي والاقتصادي. وظلت سلطة الوالي مقتصرة على الأمور الكبيرة، والصعبة. كما كانت علاقة الحاكم بالمحكوم مباشرة، وواضحة.

وفي ظل هذا الإطار، يذكر ان العمانيين من أهل صور لعبوا دورا سياسيا هاما في دعم وتأييد نظام السلطنة خاصة في الأحداث التي دارت في مسقط، في عهد السلطان فيصل بن تركي (١٩٨٨ - ١٩١٣).

وعلى الصعيد الدولي. فقد استطاع العمانيون من أهل صور التغلب على الصعوبات السياسية التى كانت تواجههم في البحر قبل الحرب العالمية الأولى. وذلك بعقد اتفاقية مع الحكومة الفرنسية تمكن سفن أهل صور من رفع العلم الفرنسي أثناء عبورها أعالي البحار، وسفرها بين افريقيا وآسيا[٢٧]. وذلك بغرض الحماية من هجمات سفن الدول الكبرى التي كانت تجوب المحيطات، وسلبية هذا الاتفاق أو ايجابيته، ليس مجال نقاشنا في هذه الدراسة. ولكن من المفيد التنويه إلى ان صوريين قد استفادوا منه كثيرا لمدة طويلة من الزمن، انعكس ذلك على ازدهار المدينة.

ولو لم تتوافر مرتكزات ثقافية سياسية مرفودة بتراث عميق لما تمكن العمانيون من أهل صور من التفاعل سياسيا مع مثل هذه الأحداث.

لقد كانت المؤسسات الإدارية الحكومية محدودة في مدينة صور. وكان مكتب الوالي هو المؤسسة الحكومية الأولى والرئيسة في المدينة، ثم اعقبتها الفرضة، وكان ابن صور، ابو ماهر سالم بن راشد العلوي من أوائل الذين تولوا مسؤوليتها، وإدارة شؤونها. وفتحت العيادة الطبية أبوابها خدمة للمواطنين لتكون ثالث مؤسسة حكومية. تلتها بعد ذلك إدارة المياه، والتى كانت ثمرة تعاون خير بين الحكومة والمواطنين.

وفي الدول المتحضرة تلقى ظاهرة التعاون بين الحكومة والمواطن احتفاء متزايدا، باعتبارها سمة حضارية راقية، للفعل، والجهد، والرأي، والمسؤولية المشتركة. وكان هذا التعاون في حينه مدعوما برأي مخلص، ودعوة صادقة من أبناء صور، كان من بينهم راشد بن محمد بن سالم المخيني والجنيبي (الملقب بالصقلاوي) الذى أشار إلى ذلك صراحة في قوله: '... فهذا النداء موجه إلى اخواننا ابناء صور المحروسة: ... و القصد من هذا النداء تذكيركم يا أبناء الوطن الأمجاد... ان الوقت قد آن للنهوض واليقظة والتقدم إلى الأمام وغيرنا يتسابقون في ميادين الرقي والحضارة ... وإنما أقول انكم والله قوم ذو مجد وتاريخ عظيم، فالواجب علينا جميعا - الاتحاد والتعاون ... ونحن اليوم في ظل مليكنا المفدى نرجو له ولولي عهده الباسل طول العمر والنصر المبين. هو مولانا ... السلطان سعيد بن تيمور آل سعيد أيده الله، وأملنا فيه كبير. ان يشجع المشاريع الخيرية و ان يساعدنا على ما فيه خير امتنا وبلادنا ... وأول ما نريده إيصال الماء إلى مدينتنا هذه بإيجاد المكائن التي ترفع الماء وترسله في الأنابيب إلى خزان وسط البلاد ... وثانيا مدرسة تتسع لتعليم أولادنا وان يحضر إليها المعلمون الصالحون ...[٢٨]. (انظر الملحق ب).

٦- الثقافة الصناعية والزراعية:

من المعروف ان الثقافة الصناعية والزراعية في أي مجتمع تعتمد على اتقان أدواتها، وهذا الإتقان يبدأ بالتلقين فالتدريب فالممارسة. فاتخذت فكرة أو فلسفة (الوليد) أو صبي (الأستاذ) مبدأ للتلقين والتدريب. فكانت المراحل التعليمية الأولى للصناعة أو الزراعة تبدأ بتبني أستاذ أو معلم في حرفة ما مجموعة من الصبية (صبيان وبنات) يلقنهم مبادئ الحرفة، ثم يدربهم عليها. وبعد ان تكتمل لدى المتدرب الأدوات التعليمية التى تؤهله لمارسة الحرفة، يسمح له بذلك. هذا النوع من التثقيف والتعليم ما زال يمارس حتى يومنا هذا في الدول الصناعية. ويمارس في الجامعات باعتبار التلميذ واستاذه، مع اختلاف في تطور الأدوات المستخدمة في التعليم والتثقيف والتدريب. وقد أظهرت هذه الطريقة عددا من الاساتذة في الصناعات المختلفة، وانتشرت صناعة السفن، وصناعة الحدادة (ورشة بالمفهوم المعاصر) وكاريات* النسيج، وصناعة الفضيات وصياغة الذهب وغيرها.

فاشتهرت من السفن الغنجة* الصورية، ومن الفضيات الخنجر الصورية بالنسبة للرجال، والحجول والاساور (البناجري)* بالنسبة للنساء، ومن المصوغات الذهبية المراري* والغلاميات* وغيرها. ومن النسيج، أقمشة الحرير كشادر الطرح*. ونسبت كل حرفة منها إلى اشهر صناعها.

ويذكر دونالد هولي ان مقدمات السفن ومؤخراتها 'كانت تحفر حفرا جميلا دقيقا، ماهراً[٢٩] وان الصناع المهرة ما زالوا حتى اليوم يزينون بالحفر أبواب المنازل كما يزينون المراكب والسفن[٣٠]. ويضيف ان ' في مدينة صور حتى الان، تقليدا قديما في النقش خاصا بالمدينة، يتميز بالتصاميم والأشكال الخاصة[٣١].

٧- الثقافة العمرانية التخطيطية:

ان المتجول في شوارع مدينة صور وحاراتها، والقادم إليها من البحر يلاحظ اختلاف هذه المدينة عن مدن داخلية عمان. فطرازها المعماري له خصائصه المتميزة التى هي نتاج عوامل حضارية قبل أي شيء[٣٢]. اذ ان العمارة وعناصرها تمثل 'صورة من ثقافة الأمة وتجسيدا لها[٣٣]. ويرى دونالد هولي ان لمدينة صور تميزا معماريا انتج أشكالا 'في الهندسة المعمارية والزخرفة الخارجية. وان هذه الأشكال 'تعكس سهولة الحياة وهدوءها في المدينة[٣٤].

فالعمارة هنا قائمة على مبدأ احترام حقوق الجار، الذي اقره الإسلام. إذ لا ينبغي ان تجرح حرمة الجار. فصممت الشبابيك والأبواب على أن لا تكون متقابلة وان لا ترتفع الأبنية بما يخدش هذه الحرمة. كما لا يسمح باختراقها. وذلك بعدم توجيه الشبابيك والفتحات نحوها مباشرة.

وإذا نظرنا إلى تخطيط السوق القديم، فإننا نرى انه لا يختلف عن تخطيط الأسواق

العربية الإسلامية القديمة الذي اعتمد على مبدأ «الرزق عند مواطن الأقدام». فكانت الطريق الضيقة، والمحلات المتقابلة ومساحة التجمع الكبيرة كي تسهل حركة التبادل التجاري. وصممت الشبابيك المنتشرة في الدكاكين والمحلات، بغرض تسهيل البيع والشراء للنساء دون الحاجة إلى دخولهن. ونلاحظ ان المدينة اعتمدت على مبدأ (النظافة من الإيمان) في الحرص على نظافة البيئة، وكانت تتجلى أبهى هذه المظاهر عند حلول الأعياد. حيث تتعاون نساء المدينة في تنظيف طرقها، وساحاتها ابتهاجا بمناسبة الأعياد، واجلالا لها.

ونظرا لموقع المدينة على البحر، فكان لابد من الاستفادة من التهوية الطبيعية التى توفرها نسائمه. فصممت الشبابيك لتستقبل مصاريعها الخشبية هذه النسائم في فصل الصيف، وعلى مستوى أرضية الغرف، بينما صممت الأخرى لتستقبل دفء الشمس في فصل الشتاء، و أوضح الدكتور هلال الهنائي هذا التمايز في توجيه المسكن، وفتحات الشبابيك للاستفادة من التهوية، والإضاءة، والتدفئة الطبيعية. وأضاف ان هذا التصميم قد أعطى مساكن صور ميزة التحكم «الدقيق في سريان تيار الهواء للغرف المختلفة في المسكن»[٣٥]. وقد وصف تيم سفرن مساكن مدينة صور بالفخامة[٣٦]. ويلاحظ أنها المساكن الوحيدة في المدن العمانية التى تفرش بالحصحيص* وهو عبارة عن احجار المرجان المجروشة. والذي أشاد به تيم سفرن وقال عنه: «انه يصدر صوتا مفرحا عندما تطأه أقدام أي شخص»[٣٦]. ويؤيد هذه النظرة دونالد هولي، عند إشارته إلى بيوت الساحل العماني ولا سيما صور فيقول: ان «أرضيتها تكون مغطاة بطبقة من الحجارة الصغيرة النظيفة»[٣٦].

ولقد ظهرت مظاهر الفخامة هذه في مواد البناء المستخدمة، والتى كانت متوفرة محليا في صور. وكان من بينها الحجر الجيري بلونه البهيج، الذى بنيت به حوائط المساكن. وقد كسيت مساكن المدينة بالنورة* التى تضيف بياضا إلى الحجرات، و تضفي راحة نفسية على سكان المنزل، فضلا عن الرونق الجميل الذي تزين به المساكن. وكذلك الأسقف التي استخدم فيها حطب الجندل* المجلوب من افريقيا، والسميم* العمانية المنقوشة والمزخرفة، والمدعمة بقصائب المنجور* في أشكال هندسية متماثلة، بغرض توفير الإحساس بالجمال والتآلف معه.

لقد تعاونت مبادئ الثقافة العربية الإسلامية، ومبادئ الثقافة البيئية التى وفرها موقع المدينة على تحديد الملامح العمرانية والتخطيطية لمدينة صور، حتى أصبحت صورة المدينة جزءاً من شخصية أهلها[٣٩]. وأصبحت ملامح تلك الصورة تتميز جلية من خلال مظاهر ثقافتها وملامح أصالتها. وقد ساعدت أيضا مجموعة من المعطيات الثقافية المتصلة بحرفة صناعة الحديد والأخشاب وصناعة البناء على تحقيق الهوية المحلية لمدينة صور وتأكيد أصالتها العربية الإسلامية.

٨- الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة ان تضيء ملامح من ثقافة مدينة صور. وفي سبيل تحقيق ذلك سعت إلى مناقشة الجوانب الثقافية من الناحية الجغرافية. فقسمتها إلى ثقافة البحر، وثقافة البر، وقسمت ثقافة البر إلى ثقافات حضرية، وزراعية وصحراوية. ثم عرضت بعضا من محاور الثقافة في مدينة صور منها: الثقافة الأدبية والفنية والدينية، والثقافة الصناعية والزراعية، فالثقافة الاجتماعية والسياسية، ثم الثقافة العمرانية والتخطيطية.

وتخلص الدراسة إلى ان حداثة ثقافة المدينة، لا ينبغي ان تتناقض مع أصالتها أو تتنكر لها. فالحداثة ينبغي ان تستمد ملامحها من الاصالة، وترتكز في انطلاقتها من معطيات موروثاتها الثقافية.

والأسئلة التي تطرح نفسها علينا بإلحاح هي: هل ثقافة مدينة صور الحديثة، مستمدة من ثقافتها العربية الإسلامية الأصلية؟ وهل الثقافة العمرانية والتخطيطية وأنماطها المعاصرة، تستمد أصالتها من الثقافة الإسلامية والبيئية، والموروث العربي، في مراعاة حرمة الجار، والتهوية الصحية، وقواعد السلوك، والعادات والتقاليد الاجتماعية؟

إننا نرى انه من المهم جدا، ان تكون ملامح ثقافة مدننا المعاصرة فيضا من نبع تراثنا الصافي الأصيل، وان تكون في ذات الوقت «مواكبة روح العصر». وان تنفرد بخصوصيتها الثقافية والحضارية. ومن المهم جدا ان تمتاز بشخصيتها وطابعها المحلي.



هوامش الموضوع

(١) دكتور مختار علي أبو غالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩٦. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت (١٩٩٥م).

(٢) دكتور محمد حماد: تخطيط المدن وتاريخه، دار المعرفة، (القاهرة، ١٩٩٥م) ص٨.

(٣) نفس المرجع السابق، ص٨.

(٤) مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية والإسلامية. وزارة الاعلام والثقافة بالجمهورية العراقية، (بغداد، ١٩٨٢م)، ص١٦.

(٥) د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي. دار الكتاب اللبناني (بيروت، ١٩٨٣)، ج ص. ٣٧٨-٣٧٩.

(٦) نفس المرجع السابق ج١ ص. ٣٧٨-٣٧٩.

(٧) نفس المرجع السابق ج١ ص. ٣٧٨-٣٧٩.

(٨) نفس المرجع السابق ج١ ص. ٣٧٨-٣٧٩.

(٩) نفس المرجع ص. ٣٧٨-٣٧٩.

(١٠) نفس المرجع السابق ص. ٣٧٨-٣٧٩.

(١١) نفس المرجع، ص. ٣٧٨-٣٧٩.

(١٢) د. إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، (بيروت)، ج٢ ص.

(١٣) نفس المرجع السابق، ج٢ ص.

(١٤) لوريمر: تاريخ الخليج، القسم التاريخي، قطر.

(١٥) مجلة الدراسات العمانية، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان.

(١٦) نفس المرجع.

(١٧) يعقوب بن يوسف الحجي: رحلة الغزير، (مدريد، ١٩٨٤)، ص٥٣-٥٤.

(١٨) سالم بن حمود السيابي: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان، قطر.

(١٩) عبدالله بن علي الخليلي: قصيدة مخطوطة عن القبائل العمانية.

(٢٠) ناصر بن علي بن ناصر الخضوري الفارسي: معدن الاسرار في علم البحار، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، وانظر اعلام عمان، مكتبة لبنان (مسقط، ١٩٩١)، ص١٦٠.

(٢١) يعقوب يوسف الحجي: رحلة الغزير، (مدريد، ١٩٨٤)، ص٥٣.

(٢٢) نفس المرجع، ص٥٣.

* بغال: مفردها بغلة وهي نوع من السفن العمانية.
* سنابيك: مفردها سنبوك وهي نوع من السفن العمانية.
* بدانة: مفردها بدن وهي نوع من السفن العمانية.
* دقالتها: مفردها دقل وهي الصارية.
* الذريرة: نوع من الطيب العماني يصنع في صور.
* الخنجر الصورية شهيرة بين مثيلاتها من الخناجر العمانية.
* الكيذاء: نوع من الزهور العطرية في عمان.

(٢٣) ثنية بنت عبيد (الملقبة ببنت الزغام) وثيقة مخطوطة.

(٢٤) نفس المصدر السابق.

(٢٥) نفس المرجع.

(٢٦) يوسف الشاروني: ملامح عمانية، رياض الريس للكتب والنشر (لندن، ١٩٩٠)، ص ١٥٥.

انظر محمد بن راشد الخصيبي: شقائق النعمان، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة، بسلطنة عمان.

* القحطانية: مطولة شعرية تناول فيها الشاعر ما يتعلق بالقبائل القحطانية من فضائل، ومفاخر وامجاد.
* العدنانية: مطولة شعرية تناول فيها الشاعر ما يتعلق بالقبائل العدنانية، من فضائل.

(٢٧) د. سلطان القاسمي: الوثائق العربية العمانية في مراكز الارشيف الفرنسي (١٩٩٣). وانظر. د. ناصر خالد الوسمي: عُمان بين الاستقلال والاحتلال، دراسة في التاريخ العماني الحديث وعلاقاته الاقليمية والدولية، مؤسسة الشراع العربي (١٩٩٣) ص ٢٥٢-٢٦٨.

(٢٨) راشد بن محمد المخيني: بيان مطبوع، مطبعة، الحظ.
* كاريات: تعني النول الذي ينسج عليه.
* الغنجة: نوع من السفن تشتهر به مدينة صور.
* البناجري: مفردها بنجري وتعني اساور اليد.
* المراري: مفردها مرية وتعني العقد.
* الغلاميات: مفردها غلامية وتعني قرط الأذن.
* شادر الطرح: قطعة قماش تنسج من الحرير.
(٢٩) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة، مؤسسة استايسي، (لندن، ١٩٧٧)، ص١٥٩.
(٣٠) نفس المرجع السابق، ص١٥٠.
(٣١) نفس المرجع السابق، ص١٥٤.
(٣٢) يوسف الشاروني: ملامح عمانية، رياض الريس للكتب والنشر، (لندن، ١٩٩٠)، ص١٥٥.
(٣٣) د. يوسف محمد عبدالله: صنعاء القديمة ولماذا الحفاظ والاحياء في مجلة المنهل، العدد (٥١٩)، (اكتوبر- نوفمبر، ١٩٩٤م). ص٢٥٣.
(٣٤) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة، مؤسسة استايسي، (لندن ١٩٧٧)، ص١٢٣.
(٣٥) د. هلال بن علي الهنائي: الأنماط المعمارية في عمان: عبقرية المكان وكفاءة الأداء، في مجلة نزوى، العدد الأول، نوفمبر، ١٩٩٣، مسقط، ص١٧.
(٣٦) تيم سيفرن: رحلة السندباد، ترجمة د. سامي عزيز، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، (مسقط، ١٩٨٥)، ص٥٣-٥٤.
* حصحيص: تعني احجار المرجان المجروشة.
(٣٧) نفس المرجع، ص٥٣-٥٤.
(٣٨) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة، مؤسسة استايسي، (لندن، ١٩٨٤)، ص١٤٥.
* النورة: مادة بيضاء تستخدم في طلاء وتكسية الجدران.
* الجندل: نوع من الأخشاب تستورد من افريقيا.
* السميم: مفردها سمة وهي نوع من المنتوجات السعفية.
* المنجور: نوع من السعفيات المجلوب من الهند وشرق آسيا.
(٣٩) د. يوسف محمد عبدالله: صنعاء القديمة ولماذا الاحياء؟ في مجلة المنهل، العدد (٥١٩)، (اكتوبر-نوفمبر (١٩٩٤)، ص ٢٤٨.
(٤٠) نفس المرجع السابق، ص٢٤٨.

المراجع والمصادر

* دكتور مختار علي أبو غالي: المدينة في الشعر العربي المعاصر،سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩٦. المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب بالكويت (١٩٩٥م)
* دكتور محمد حماد: تخطيط المدن وتاريخه، دار المعرفة (القاهرة، ١٩٩٥م)
* مصطفى عباس الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطوير المدن العربية والإسلامية، وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العراقية (بغداد، ١٩٨٢)
* د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني (بيروت، ١٩٨٣).
* د. إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، (بيروت).
* لوريمر: تاريخ الخليج، القسم التاريخي، قطر.
* مجلة الدراسات العمانية، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان.
* يعقوب يوسف الحجي: رحلة الغزير، (مدريد، ١٩٨٤)
* سالم بن حمود السيابي: إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، قطر.
* عبد الله بن علي الخليلي: قصيدة مخطوطة عن القبائل العمانية.
* ناصر بن علي بن ناصر الخضوري الفارسي: معدن الأسرار في علم البحار، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان.
* ثنية بنت عبيد (الملقبة ببنت الزغام): وثيقة مخطوطة
* يوسف الشاروني: ملامح عمانية، رياض الريس للكتب والنشر (لندن، ١٩٩٠)
* محمد بن راشد الخصيبي: شقائق النعمان، إصدار، وزارة التراث القومي والثقافة،بسلطنة عمان
* د. سلطان القاسمي: الوثائق العربية في مراكز الأرشيف الفرنسي (١٩٩٣).
* د. ناصر خالد الوسمي: عمان بين الاستقلال والاحتلال، دراسة في التاريخ العماني الحديث وعلاقاته الإقليمية والدولية ، مؤسسة الشراع العربي (١٩٩٣).
* راشد بن محمد المخيني: بيان مطبوع، مطبعة، الحظ.
* دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة، مؤسسة استايسي، (لندن، ١٩٧٧).
* د. يوسف محمد عبد الله: صنعاء القديمة ولماذا الحفاظ والأحياء، في مجلة المنهل، العدد (٥١٩)، (أكتوبر - نوفمبر، ١٩٩٤م)
* د. هلال بن علي الهنائي: الأنماط المعمارية في عمان: عبقرية المكان وكفاءة الاداء، في مجلة نزوى، العدد الاول، (نوفمبر، ١٩٩٣).
* تيم سيفرن: رحلة السندباد، ترجمة د. سامي عزيز، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، (مسقط، ١٩٨٥).

مداخلة

تضمنت المداخلة اضاءتين وسؤالا.

الاضاءة الأولى: حول معنى اللغة الاردية

حيث ذهب المداخل الى القول بأن أصلها يرجع الى اللغة الفارسية وأن معنى الأورد بالفارسية (المعسكر) حيث كانت معسكرات المسلمين في باكستان تجمع الكثير من العرب وغيرهم مما شكل خليطا من اللغات.

أما الثانية فقد دارت حول مفهوم كلمتي المحيط والبحر، حيث يرجع المداخل اصول هاتين الكلمتين إلى اللاتينية موضحا أن كلمة طلاسا معناها البحر وأنه لم يسمٍّ البحارة أي بحر بهذا الأسم سوى البحر الأبيض المتوسط. متابعا في مداخلته انه يوجد في الطب مرض اسمه طلاسيميا.

ودار السؤال حول خلو بحث الصقلاوي من بعض أسماء الأدباء والشعراء الذين وفدوا الى صور من مناطق أخرى من السلطنة وعاشوا فيها وتفاعلوا مع احداثها بل إرتبط إسمهم بتاريخ المدينة.

وكانت إجابة الباحث على المداخل بأن السؤال جيد وأن شعراء من أمثال حافظ المسكري والمطوع وحتى سليمي او المصلحي كان لهم ميدان في صور ودور بارز للعيان وحضور متميز بين أدباء وشعراء صور وتفاعل مع أهلها على كافة المستويات، موضحا في اجابته ان الاسماء التي وردت في بحثه إنما جاءت على سبيل الاستشهاد والتمثيل لا الحصر وان هناك اسماء كثيرة في صور نفسها لم نتحدث عنها في البحث.

علماء وأدباء صور

بقلم/ أ.د. أحمد درويش

يشكل العلماء والأدباء في كل الحضارات الراقية الدعائم الأساسية التي تنتقل من خلالها خلاصة تجارب الأجيال، وترتقي من خلالها البشرية سلم الرقي درجة بعد درجة، واذا كانت الحضارة الانسانية متنوعة المذاقات ما بين شرقية وغربية، قديمة ووسيطة وحديثة، واذا كان لكل ركن من أركان الدنيا طابع حضاري يميزه ولكل عصر من عصورها طابع يختلف به عما عداه، فإن تنوعات التغير الحضاري لا تكاد تقف عند حد، فتتكامل داخل الأمة الواحدة، انواع شتى من الحضارات. بل ويكاد لكل مدينة في الأمم الراقية أن يكون لها طابعها الذي تتميز به وتسهم من خلاله في مجمل النتاج الحضاري للأمة.

وفي هذا الإطار جرى الاهتمام في تاريخ الحضارة العربية، بحضارات المدن، واسهاماتها المتعددة، فوقف المؤرخون أمام أم القرى ويثرب وبغداد ودار السلام ودمشق والفيحاء والقاهرة والزهراء والقيروان وقرطبة ونزوى وغيرها من المدن الحضارية باحثين عن الاسهامات المتميزة لعلمائها وأدبائها، ومسجلين لمآثرهم ومؤلفاتهم.

والذي يتأمل ما كتب عن العلماء والأدباء في المدن العربية المختلفة، يرى ان بعض هذه المدن حظي بنصيب الأسد، بينما بقيت مدن أخرى أقل حظا في المعالجة والاهتمام، وربما كان يرجع ذلك في بعض الأحايين إلى تضييق دائرة مفهوم العلم والأدب، ومن ثم مفهوم العلماء والأدباء.

ولا شك ان بعض المدن مالت إلى الإهتمام بالعلوم النظرية على حين اهتمت مدن أخرى بالجانب التطبيقي والعملي، ولا شك ايضا ان الجانب النظري وجانب فنون القول حظي باهتمام أكبر وتسجيل أدق، على حين أهمل الجانب العملي حتى نسيت أسماء كثيرة من كبار الصناع المهرة والمخترعين المثابرين على حين بقيت أسماء كثيرة ممن كتبوا الشعر أو خطوا الرسائل أو الفوا الكتب الصغيرة أو الكبيرة في علوم التاريخ أو شروح الفقه والنحو أو فنون اللغة والبيان، واذا استعرضنا الآن ما حفظته ذاكرة التاريخ من تفاصيل موقعة حربية فاصلة مثل موقعة عمورية فسوف نجد اسم الخليفة المعتصم والشاعر أبي تمام دون أن نجد اشارة الى خبير الأسلحة الذي طورها، أو مهندس الحصون الذي شادها، أو طبيب الجيوش الذي رافقها، وبالمثل فلن نعرف واحدا من صناع السفن في موقعة ذات الصواري بالقدر الذي نعرف به الشعراء

الذين وصفوها.

واذا كان هذا هو حظ العلماء والصناع المهرة من أصحاب الميول العملية في تاريخ الحضارة العربية، فإننا نستطيع ان نتبنى حظ المدن التي اتجه نشاطها الحضاري إلى الناحية العملية، فقلت الكتابة عن علمائها وصناعها المهرة كما هو الشأن في مدينة «صور» العمانية وأخواتها من المدن العربية التي شغلت بالنشاط العملي.

لقد كانت صور على مدى تاريخها الموغل في القدم، مدينة بحرية تجارية نشطة، تصوب انظارها نحو البحر، ويسيطر النابهون من ابنائها على اسراره ويعرفون كيف يكبحون جماحه ويركبون لجته ويتجاوزون مخاطره ويحصلون على خيراته، ولقد استغلوا هذه الخبرات الطيبة كأحسن ما تستغل به في كل العصور فكانت مهارتهم جسرا عبرت عليه خيرات الشعوب وحضاراتها الى بعضها البعض، ويكفي في هذا المقام أن نتذكر الدور الحيوي الذي قاموا به في نشر الاسلام والعربية في أرجاء العالم مع اخوانهم من أبناء المدن الساحلية العربية الأخرى.

إن مفهوم الثقافة والعلم الذي تحدده الحاجة العملية قد اتجه في مدينة مثل صور الى الحد الضروري من الثقافة البحرية، والحد الضروري من الثقافة الدينية واللغوية وفي مجال الثقافة البحرية النظرية، شاعت مجموعة من المؤلفات كانت تسمى «الرحمانيات» وهي كتب تحمل المعلومات الأساسية التي يحتاج اليها ربان السفن كأسماء المناطق، والمسافة من منطقة الى منطقة والموقع على الخريطة والبوصلة، وغير ذلك من المعلومات الأساسية التي يحتاج اليها قائد المركب.

وقد شاعت بعض مخطوطات من هذه الرحمانيات أو الرحمانجات من أمثال رحماني الربان منصور الخارجي، ودليل المحتار في علم البحار للبحار عيسى بن عبدالوهاب القطامي، والنيل البحري لكل ربان بحري. والبداية والنهاية في العلوم البحرية لجمعة بن مسلم بن جمعة العدوي، ومعدن الأسرار في عالم البحار لناصر بن علي بن ناصر الخضوري، ونفحة الأزهار في علوم البحار لمحمد بن ناصر، كما وجدت رحمانيات أخرى لا تحمل عنوانا محددا لبعض أبناء صور مثل سعيد بن عمر المرزوقي وموسى بن سلطان الجامعي وعلي بن محمد بن خميس، ومحمد بن ماجد بن سالم المرزوقي وصالح بن علي بن خميس الغيلاني ومحمد بن علي بن خميس الغيلاني وعبدالله بن احمد بن سعيد التمامي وهي كلها أسماء يختلط فيها مفهوم مالك المخطوطة وناسخها ومؤلفها، لكنها تدل على شيوع هذا النوع من العلم النظري البحري الذي بلغ قمته على يد احمد بن ماجد. على أن هذه المخطوطات وغيرها لم تكن تمثل الا القدر الضروري من المعرفة النظرية البحرية المكتوبة، والتي كانت توجد الى جانبها التجارب والمعارف العملية البحرية التي تفوقها عشرات المرات والتي لم تحظ بالتدوين ولم تُعَدّ من ثم في التراث العلمي الذي كان من حق

المدينة أن يسند اليها.

أما القدر الضروري من المعرفة الدينية واللغوية، فقد تمثل في مكاتب تعليم مبادئ اللغة وقراءة القرآن التي انتشرت في المدينة عبر العصور الاسلامية، ولا بد هنا من الاشارة الى ظاهرة لافتة للنظر في هذا الصدد، في مدينة صور، وربما في بعض المدن البحرية الاسلامية الأخرى، وتتصل هذه الظاهرة بالدور النشط الذي تقوم به المرأة في مجال التعليم (تعليم الأطفال) وتعود تلك الظاهرة دون شك إلى انشغال الرجال في المدن الساحلية في رحلات البحر فترات طويلة متصلة على امتداد العام، وقيام النساء بعبء إدارة الحياة بفروعها المختلفة ومن بينها التعليم، وتذكر الأجيال جيلا بعد جيل أسماء المعلمات النابهات اللاتي قمن بهذا الدور الحضاري وساهمن في حفظ الوجه العربي والإسلامي للاجيال التي تخرجت على ايديهن، وما زالت أسماء بعض فضليات النساء من بنات الجيل الماضي في صور تتردد على الألسنة من أمثال سنية بنت عبيد وآمنة وبشارة ورويبعة وغيرهن.

وكانت الطريقة المتبعة عند هؤلاء المعلمات، البدء بتعليم حروف الهجاء والتمييز بين المعجم المنقوط والمهمل غير المنقوط منها، من خلال صياغة القواعد في كلمات منغمة يترنم بها الصغار حتى تستقر القواعد في أذهانهم، وهي طريقة تتبع في كثير من مكاتب تحفيظ القرآن في العالم الإسلامي، كما يحدث في مصر عندما يترنم صغار التلاميذ وراء شيخ الكتاب قائلين: «الألف لا شيء عليها، الباء نقطة من تحتيها، والتاء اتنين من فوقيها.. الخ».

وتعقب هذه المرحلة التعرف على قواعد التشكيل ودراسة ما يسمى «دفتر القاعدة البغدادية» وهو يلم بقواعد اللغة الأساسية ثم البدء بقراءة المصحف الشريف بدءاً من سورة البقرة فإذا ما ختم الفتى القرآن أقيمت له حفلة «التيمينة» فيطاف به في أرجاء الحي، ويترنم رفاقه بأهازيج الفرح سرورا بختمه القرآن.

من مثل قولهم:

هذا أخوكم قد قرا وقد كتب
وحقنا نحن عليه قد وجب
تعلم الألفاظ والكتابه
والهجو والاعراب قد أصابه

وتعد الولائم وتقدم الهدايا للمعلمة ويحتفل الحي بدخول واحد من أبنائه الى ميدان العلم.

ويكتمل الاعداد الضروري بعد ذلك باحكام تعلم القراءة والكتابة والمراسلة، ثم التدرب على الملاحة في معظم الأحايين من خلال الدروس العملية والنظرية.

أما التفقه في أمور الدين، فقد كان يكتفي غالبا باستقبال العلماء القادمين من اليمن أو

حضرموت، وكانوا يسمون بالسادة أو الأشراف يحلون في المدينة على الرحب والسعة ويحملون في رؤوسهم وقلوبهم وكتبهم ما يكفي للاجابة على تساؤلات الناس ويشبع ظمأهم.

ولم يكن هذان الفرعان الضروريان من فروع المعرفة، «فرع علوم البحار وفرع علوم الدين واللغة» منفصلين بل كانا يلتقيان في كثير من الأحايين فقد يكون الفقيه بحاراً، وقد ينبغ البحّار في الشعر فتشتهر عنه القصائد ويطبع له الديوان اوالدواوين، كما حدث مع راشد بن مبارك الرزيقي (١٨٩٤ -١٩٦٣) من أبناء صور الذي كان ربانا بحريا وله علاقة قوية بالشعر والثقافة، وله مساجلات مشهورة مع عدد من شعراء عصره، وله ديوان شعر طبع في الهند.

****

واذا كان حظ صور من العلم والعلماء قد وقع معظمه في دائرة «العلم غير المدون» والذي تتنفس به الحياة، وإن لم يستقر كثير منه بين دفتي كتاب، فإن حظها من الأدب والأدباء كان شبيهاً بذلك، إذ وقع معظم نتاج ابنائها من الشعراء في دائرة الأدب الشعبي، يتغنون بقصائدهم الجميلة يستنهضون بها العزم على مواجهة العمل الذي لا يقبل الغفوة في بحر لا ينام ويهدأون بها من نار الشوق والحنين في غربة لا تكاد تنتهي حتى تبدأ من جديد، ويستعيدون بها الذكريات الجميلة ويحيون بها جلسات السمر عندما يستقرون على الأرض قليلا أو كثيرا.

ولقد ظلم هذا الإنتاج الأدبي مرتين.

مرة عندما نظر البعض اليه فخلطوا في تقييمه بين صفة «الأدب العام» وصفة «أدب العوام»، فجعلوه اقرب الى الثانية من الأولى، مع أن هذا الأدب الشعبي في كل آداب الدنيا وفي الأدب العربي كذلك يحمل سمة القرب من منابع التجربة والحكمة، وسمة البعد عن التكلف والتصنع، وسمة الإلتزام بالقوانين الأدبية، ونحن نرى عند التعرض له أنه يقل التزاما في مجمله بهذه القوانين من نظيره المكتوب بالفصحى.

ولقد ظلم هذا الأدب مرة ثانية عندما حرم من التدوين الكتابي فضاعت الكثرة الغالبة من آثاره في القرون الماضية، ولم تستطع الذاكرة الجماعية الشفهية أن تمسك إلا ببعض آثار الزمن القريب ولعل أقدم ما تمسك به ذاكرة حفاظ الشعر الشعبي في عمان أبيات للشاعر ابن ظاهر الذي عاصر الامام سيف بن سلطان اليعربي الملقب بقيد الأرض والذي عاش في القرن السابع عشر وتوفي في أوائل القرن الثامن عشر ١٧١١م وكان ابن ظاهر يؤرخ لغزواته في الهند وافريقية، ويختتم قصائده بمثل هذا الدعاء:

بسـيـف بـن سـلـطـان يـهـنـي الـعـدا

الـلـه يــهـنـيـهـا بـطـيـب إمـامـهـا

وكذلك الشاعر علي بن عمران الذي شهد عصر الإمام بلعرب بن حمير (ت١٧٥٤) وسجل وقائع حروبه مع الفرس، ولعل قلة تدوين هذا الشعر يرجع الى أن طبيعته الشفوية تجعله أقرب الى طبيعة التسجيل الصوتي الذي لم تكن العصور الماضية قد عرفته منه الى التسجيل الكتابي الذي قد لا يستجيب نظام تدوين الحروف والحركات فيه لكل الفروق الدقيقة التي يبرزها الشاعر الشعبي خلال الأداء.

وعلى أية حال، فإن العصر الحديث شهد خطوات أكثر نشاطا في تدوين هذا الأدب الشعبي، سواء من خلال جمع القصائد المتناثرة وطبعها في دواوين، أو اللجوء الى تسجيل هذا الأدب وفنونه على شرائط سمعية وبصرية، ولا شك ان مدينة صور بخاصة والمنطقة الشرقية بعامة في عمان كان لها نصيب السبق في هذا الميدان، ولا بد ان يستدعي نظر الباحثين في هذا المجال الجهد المتميز الذي قام به الاستاذ سالم الغيلاني من خلال جمعه لنصوص هذا الأدب الشعبي سواء من خلال ديوان من أغاريد البحر والبادية لوالده الشاعر محمد بن جمعة الغيلاني، أو من خلال كتاب الأدب الشعبي في بلد الشراع، الذي جمع فيه ديوان الشاعر سعيد عبدالله ولد وزير معاصر والده وصديقه أو من خلال كتاب «على هامش الشعر الشعبي في عمان» الذي قدم فيه بعض التأملات حول هذا الشعر، وقد امتدت هذه المجهودات فيما بعد من خلال نشاط «المنتدى الأدبي» الذي قام من خلال رحلات بحث ميدانية بتسجيل كثير من نصوص الأدب الشعبي والفصيح أيضا في أرجاء عمان.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، يتعلق بمدى العلاقة الفنية بين نصوص هذا الأدب الشعبي وتقاليد نصوص الشعر في الفصحى، وإلى أي حد يمكن اعتبار نصوص الأدب الشعبي، امتدادا وتطورا للتقاليد الفنية التي عرفها الشعر العربي منذ أقدم العصور. ونستطيع هنا أن نقرر مطمئنين، أن هذه النصوص الشعبية هي امتداد حي وثري للأعراف الفنية الشعرية، وسوف نكتفي هنا بالقاء الضوء السريع على بعض مداخل التشابه الرئيسية التي تقرب بين الشعر الشعبي في صور وشعر الفصحى.

ففن مثل فن «التغرودة» ليس إلا امتداداً لفن الأرجوزة العربية من حيث بناؤه على وزن «مستفعلن» سواء في صورته التامة مثل قول الغيلاني:

يـوم الخصـم غيّـر وخـان عـهوده ... مـا خـاف من سيف رهـاف حـدوده

يـوم طـغـى وشـافـه تـعدى حـدوده ... سـهّـر عـلـيـهـم عسكره وحشـوده

أو في صورته المجزوءة المذيلة مثل قوله:

شيخ على العالم حجاب

بالخيل ورؤوس الحراب

ويلجأ فن التغرودة الى نظم القافية التي تتبعها الأرجوزة العربية في صورها المختلفة سواء تلك التي تعتمد على القافية الموحدة للقصيدة أو على تقفية كل شطر أو على القافية المتعانقة.

أما فن المبارزة الذي يعتمد على تفعيلة بحر الرجز أيضا، فانه يضيف اليها فن «اللغز» القائم على التحدي وسرعة البديهة وقوة الشاعرية، وهو يذكر بشعر «التحدي» المرتجل في اللقاءات العربية القديمة.

وتظهر موسيقى بحر البسيط في عروض الشعر العربي في فن «الرمسة» في الشعر الشعبي في عمان في المنطقة الشرقية والذي يسمى احيانا «الدان دان» في المنطقة الداخلية، ومن نماذجه قول ولد وزير:

البيـض سكنتهن في وسـط عين اليمين
والسمر ببْني لهن في القلب قصرٍ مكين
سلم على السيدات بيض وسمر أجمعين
واشفـع لنـا يا محمـد سيـد المرسلـين

وقد يلاحظ هنا أن الشعر الشعبي تطور بالظاهرة التي كانت تسمى علل الزيادة عند العروضين، فلم يجعلها مقتصرة على الأوزان المجزوءة، وإنما الحقها أيضا بالأوزان التامة.

ويتضح أمام الباحث في بعض الأحيان ان الشاعر الشعبي قد يتطور بموسيقى الشعر الشعبي لدرجة يكاد ينكر معها بحرا جديدا، وقد رأيت خلال دراستي للشعر الشعبي في عمان إطرادا وشيوعا لإيقاع يكاد أن يجسده وزن: مستفعلن فاعلن فاعلاتن من مثل قول محمد بن جمعة الغيلاني:

يا للـه يـا عالم سـر الأسـرار
يا مظهر غامض الغيب خافيه
سبحان ربي على الخلق ستار
عالم بطاعات عبده ومعاصيه
يا ربي جزني بعفوك من النار
من حَرها وزمهرير تسويه

وهو وزن يتكرر كثيرا عند الشاعر وفي دواوين رفاقه من أمثال «ولد وزير» ويشكل إطراده ظاهرة عروضية مقبولة ربما لم يعرفها شعر الفصحى، وقد حاولت اثناء كتابتي لهذا البحث أن أصنع بعض أبيات من الفصحى على هذا الايقاع الجديد لادراك وقعها على الأذن، ورأيت أنه يمكن أن يقال مثلا:

يـا صـاحـبـي إنـنـا لا نـبـالي
فـاسـتـحضـر الـعـزم في كـل حـال
ولا تـقـل دائـمـا إن جـهـدي
هش، وعـمـر الـفـتـى لـلـزوال
فـالمجد لا غير، يـدنـو ويـدني
وإن بـدا غير سـهـل المنـال

وأظن أن النغم مقبول في شعر الفصحى.

وهذا البحر المكتشف، له درجات من التنوع في الشعر الشعبي فمن درجات تنوعه الأخرى، وزن مستفعلن فاعلن فاعل. وهو وزن يشيع في فن «الميدان» الذي يقوم على تزاوج «المغنى» و«المعنى» في مثل قول الشاعر:

أوزن سمن مَنّ، وسَمَك مَنّ
سيفي صقيل وأنا سنه
أنت وَلَد مَنْ، وسْمَك مَنْ
أنا اسمك اعرفه وناسنه

وقد ظن بعض الشعراء والباحثين العرب في العصر الحديث أنهم اخترعوا هذا الوزن أو اهتدوا اليه غير مسبوقين عندما كتبت الأستاذة نازك الملائكة في طفلة صغيرة:

خضراء براقة مغدقة — كأنها فلقة الفستقه
شفاهها شفق أحمر — كم حاول الورد أن يسرقه
الشَّعر سبحان من له — والصوت سبحان من رققه

ودارت مناقشات كثير من الباحثين حول احتمال وجود بعض أبيات من هذا الوزن في الشعر القديم، وقدموا نماذج من كتاب «الذخيرة لابن بسام» والواقع شائع ومطرد ومستمر في الشعر الشعبي، وهو يشكل وزنا يحمل ملامح من بحر البسيط وأخرى من بحر الرمل، ولهذا أقترح أن يضاف الى البحور المعروفة وأن يسمى «مُرَمَّل البسيط».

إن الشعر الشعبي لا يكتفي فقط بمجرد المحافظة على قوانين موسيقى الشعر العربي القديم، ولكنه يحفظ ألوانا منها تكاد تندثر في شعر الفصحى المعاصر بل ويصحح ملاحظات بعض العروضيين الذين اكتفوا في رصد قواعدهم بملاحظة موسيقى شعر الفصحى وحده، ونضرب لذلك مثالا من موسيقى بحر المديد:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن — فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

وهو البحر الذي اختفى تقريبا من الشعر العربي المعاصر أو كاد، وقال عنه باحث مشهور هو الدكتور ابراهيم انيس «إن المديد وزن قديم جدا هجره الشعراء وأهملوا النظم منه». هذا الوزن ما زال موجودا وشائعا في الشعر الشعبي في صور، يقول الشاعر محمد بن جمعة الغيلاني:

ما سكناها بصداقة وجيرة
سورها البندق وحد السلاح
بابها دون المغالق عسيرة
بالغلى وقفت ونزع الرواح

وهي أبيات تسير تماما على بحر الرمل العصي الذي يُظَن أنه مهجور ومنقرض.

أما بحر المجتث الذي هو قليل الشيوع ايضا، ووزنه.

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

فإننا نجده يشيع لدى الشاعر الشعبي العماني في منطقة صور يقول الشاعر ولد وزير:

يـــا نـــاس قــلـــبـــي جـــريـــح مـــن الـــود وأســـبـــابـــه
أبـــكـــي فـــراق المـلـيـــح لمفـــارق أصـــحـــابـــه

ويقول الشاعر الغيلاني:

يـــا طير بـــلـــغ ســـلام ســـلـــم عـــلـــى الأســـمـــر
قـــولـــه ذبـــحـــنـــي الـــغـــرام والمبـــتـــلـــى يصبر
الـــنـــاس بـــاتـــوا نـــيـــام قـــلـــب المحب يســـهـــر
في الـــقـــلـب ضـــربـــة ســـهـــام عســـى ربـــنـــا يستر

ويشيع كذلك بحر الرمل: (فاعلاتن فاعلاتن فاعلن)

في مثل قول الغيلاني:

يا عليـم الغيب يا محصي الأيام
يا رفيع العرش يا منشي الرعود
جّمـل المبـدا وحسّن في الختـام
نحمـدك يـومٍ طلـع نجـم السعود

ويتم كذلك اللجوء الى موسيقى بحر الهزج الراقصة.

(مفاعلين، مفاعلين).

في مثل قول ولد وزير:

نـــهـــار الـــعـــيـــد عـــيّـــدنـــا خـــرجـــنـــا بـــيـــوم عـــيـــدالـــلـــه
وســـلـــمـــنـــا عـــلـــى الأحـــبـــاب ســـلام الخلّ مـــع خـــلـــه
حـــبـــيـــب الـــروح ســـامحـنـــاه ولـــو فـــاعـــل أِلـــف زلـــه

ان هذه الملاحظات المبدئية تظهر مدى الغنى الموسيقي الذي تتمتع به قصيدة الشعر الشعبي في منطقة صور، وتساندها ملاحظات أخرى تتصل بالفن البلاغي لهذه القصيدة، واعتمادها على فنون بلاغية عريقة مثل فن التجنيس خاصة في فن مثل «الميدان» الذي يعتمد كذلك على المطابقة «الألغاز» و«التحدي» التي تبتدئ في كثير من ألوان هذه القصيدة، والتي تشهد كلها بأننا في الواقع أمام أدب حقيقي، وأمام «أدباء» اجلاء، ينبغي ان يفسح لهم مكان بارز في صفحات تدوين الأدب العربي، وأن يضافوا إلى اخوانهم «العلماء» في مجالات العلم التطبيقي النافع للناس والناشر للحضارة، وخاصة في مجال البحر وعلومه لكي تأخذ مدينة صور من خلال هؤلاء وأولئك مكانها البارز في كتاب العلم والأدب، ويأخذ أبناؤها التائهون مكانتهم الطبيعية بين العلماء والأدباء، ويجوز لنا من خلالهم أن نتحدث عن «علماء وأدباء صور».

صور وعلاقتها بالبحر

إعداد: سعيدة بنت خاطر الفارسي

تمهيد:

يرتبط الانسان بمعطيات البيئة التي نشأ عليها ارتباطاً وثيقاً ومن ثم يسعى إلى ايجاد تواصل وعلاقات مبنية على المنفعة والألفة القائمة فيما بينه وبينها بغرض تسخير امكانيات ذلك العنصر لخدمة الإنسان ومنفعته.

والبحر هو مكان اللهو والمتعة للصغار والكبار ومكان السمر مساءً على نسمات هوائه الرطبة وفي ضوء القمر المنعكسة اشعته على صفحة المياه اللامعة الهادئة، وهو مصدر الرزق والخير العميم للإنسان، وكان البحر في عصور مضت، وسيلة الانتقال الأسهل والأسرع من وسائل الانتقال البرية، ولا تقتصر علاقة الانسان بالبحر في مدينة بحرية عريقة كصور على ذلك، بل تجاوز الأمر الى إرساء قواعد متوارثة لفنون الملاحة وعبور البحار، وإرساء الأسس التجارية بينها وبين البلدان ذات العلاقة.

فصور مدينة تاريخية عريقة ومرفأ تاريخي هام، يوفر ساحلها للسفن الحماية من الرياح والأمواج، ويعتبر خورها الطويل الهادىء ملاذا آمنا للبحارة من أمواج المحيط العاتية، ونظراً لتمتع صور بهذا الموقع الممتاز، وقدرة صناع السفن فيها على بناء سفن شحن تجارية كبيرة، كان ارتباط سكانها بالبحر أزلياً منذ القدم، فأتقنوا فنون الملاحة، وعبور البحار والمحيطات الكبيرة، وقام ملاحوها برحلات بحرية طويلة، مستخدمين مهاراتهم الملاحية المتوارثة في الابحار عبر المسالك المائية التجارية، ومستفيدين من الرياح المواتية التي استطاعوا بفضل خبرة وتجارب مئات السنين تكوين معرفة ودراية ملاحية واسعة عن مواسمها وقوتها واتجاهاتها ومناطق تأثيرها واتصلوا خلال هذه الأسفار بشعوب كثيرة أثروا فيها وتأثروا بها فانعكس ذلك على جوانب عديدة من مظاهر حياتهم وخصائص مجتمعهم.

وقد استطاع «ربابنة» صور بواسطة هذه الوسائل والموروثات الملاحية الأخرى ايجاد نظام دقيق لمواسم اسفارهم ووجهاتها تبعاً لمواسم الرياح المنتظمة، ارتبط هذا النظام الى حد ما بوفرة العرض والطلب على المنتجات التي يتاجرون بها في موانئ الجزيرة العربية والهند وشرق أفريقيا ومدنها الساحلية ولقد ساهم تجار صور مساهمة فعالة في نشر الثقافة العربية والدين الاسلامي في أفريقيا والهند.

ولقد اكتسب مجتمع صور بفضل الاتصال بتلك الشعوب معارف وثقافات وعادات وفنونا جديدة انعكست على حياتهم الاقتصادية والاجتماعية.

الشلات البحرية:

مصطلح الشلات يعني الأغاني ومفردها (شَلَّة) بفتح الشين وتضعيف اللام.

والشل: هو رفع العقيرة بالغناء، ومنه سميت (الشلة) أي الانشاد بشعر منغم وبصوت جميل، وفي اللهجة الدارجة يقال للشخص «شِلْ» أي غن.

وهذا الغناء يؤديه فرد أو مجموعة، وللشلة مرادفات أكثرها استخداماً «الصوت» ولكل مناسبة من المناسبات «شلة» كما أن لكل عمل يؤدى بمصاحبة الغناء «شلة» والشلات البحرية هي ما يسمى بغناء البحر، وهي مجموعة من أشكال غناء البحارة، يختص كل منها بواحد من الأعمال التي يمارسونها عند اعداد السفينة للإبحار، وأثناء رحلتها في البحر وعند عودتها من السفر، ولكل شكل من اشكال غناء البحر شعر يختص به ويتلاءم في معناه، وفي ايقاعه مع الغرض منه والعمل الذي يواكبه مما يقوم به البحارة ولهذا الغناء ايقاع يضبط به البحارة ايقاع مايقومون به من عمل جماعي ويستمد هذا الإيقاع من ثلاثة مصادر رئيسية:

١- مجموعة الطبل التي لم تخل منها سفينة تجارية عُمانية، وكان البحارة، يتبادلون ضرب الطبل فيما بينهم وهم جميعاً يعملون، ومجموعة طبل السفينة كانت تتكون من الطبول التالية:

مسندو، رحماني، كاسر، وتنك، وكان على كل سفينة زمر يصاحب بعض أنماط الغناء ويسمى اليم أو البرقوم، + طويات.

٢- التصفيق: وكان البحارة يؤدونه أثناء قيامهم بالعمل اليومي وكان بعضهم يختص به لتحميس زملائهم في لحظات الشدة والحرج، وكان ذلك يجري بالتبادل.

٣- حركة المجاديف وصوت ارتطامها في الماء والبحارة ينتقلون في القوارب الصغيرة مثل الهوري والسنبوك[1].

ونستطيع أن نقسم شلات البحر الى ثلاث مراحل رئيسية.

المرحلة الأولى: شلات صنع السفينة وتجهيزها للبحر، وشلات هذه المرحلة تتعدد بتعدد مراحل صنع السفينة، ويقوم بها مجموعة من النجارين الذين اشتهروا بالمهارة والخبرة في صناعة السفن ومن ينبغ منهم يطلق عليه لقب «الاستاد» أو «الوستاد» لهجة ويسمى أيضا «القلاف» ومن نماذج أشعار هذا النوع:

١- **شلة دهان الشحم:** وهي غناء يردد البحارة نصه ولحنه البسيط وهم يدهنون الجزء الذي ينغمر في الماء من جسم السفينة بالشحم الأبيض، والسفينة مرفوعة فوق الأرض اليابسة.

البحارة: على الرجم والخد/ على الرجم والخد.

١- الهوري والسنبوك: قوارب صغيرة لنقل البحارة أو الحمولة، والسنبوك أكبر حجما وسعة من الهوري.

على الرجم[1] والخد/ على الرجم

الصوت: على الرجم والخد/ يا الرجم هيلي[2].

١- عملية القلفاط: وهي عملية سد ثقوب جسم السفينة بالقطن والشحم والنورة[3] ممتزجة، ويقوم بها مجموعة كبيرة من الرجال يعملون وهم ينشدون، فيطلون النصف الأسفل من جسم السفينة بهذا المزيج، ويطلون به الفواصل بين ألواح الخشب، القلفاط يسمى أيضاً الملاحمة يضبط ايقاع غناء القلفاط دقات المطارق المعدنية الصغيرة وتتخلله صرخات حادة طويلة نافذة.

وتنقسم المجموعة إلى فريقين تتكون كل مجموعة مثلاً من عشرة أشخاص، مجموعة تغني شطرا، ومجموعة ترد عليه وتعد عملية القلفاط هي المرحلة النهائية لصنع السفينة، وهي عملية تستغرق وقتاً طويلاً، ولذا يشترك في انجازها عدد كبير ومن شلاتها المشهورة:

بـــوســـــلامـــــه تمدن يشـــرب شـــاهـــي مـــلبن

إن بـــغـــيـــتـــه في الأكـــواب وإلا داخـــل فـــنـــايين[4]

حـــالي يـــا مـــوز حـــالي يـــا صـــبـــاح الســـلاطين

ويتم غناء (القلفاط) عادة على ايقاع الشوباني.

شلة عرامة: العرامة هي عملية تنظيف السفينة من الخارج في الحوض الجاف على الساحل خارج الماء مما يكون قد علق بخشبها من كائنات بحرية وغيرها، وتجري العرامة على ايقاع لفظي سريع نشيط:

هو بيلا يا سايب/ يا السوبلانيه

هو بيلا يا سايب سيب/ يا السوبلانيه

هو بيل يا مسبله/ يا السوبلانيه

غناء العرامة المسوبل وأغلب غناء المسوبل يستعار من غناء فنون أخرى رائجة مثل «امبوم والميدان وتشح شح».

شلة طيحة البحر: أي نزول البحر أو دقة البحر، وهي نفسها تسمى جرة الماشوة أو جرة السمبوك، والماشوة او السمبوك هو قارب يستقله البحارة من السفينة الراسية في الميناء إلى الشاطئ وبالعكس وكان السمبوك يتسع لعدد يتراوح ما بين ١٠ و٢٤ بحاراً يجرون المجاديف وهم يغنون شلة السمبوك.

وتؤدي جرة الماشوة أو السمبوك على ايقاع مجاديف قارب الماشوة وهم ينقلون البضائع، وإذا كان هذا النقل صباحاً فإن البحارة يتغنون بشلة خاصة بالصباح ويكون الغناء من مصوت يرد عليه البحارة «الردادة».

١- الرجم: مكان في مؤخرة السفينة يسمى الرقم ويكتب فيه اسم السفينة في الخلف. يراعى المكان المناسب والرقم المناسب.

٢- النورة: مادة بيضاء ناعمة كالبودرة.

٣- فنايين: فناجين.

الردادة: يا صباح

المصوت: يا بويا يا صباح المابيما (١)

الردادة: يا صباح

المصوت: يا سيدي يا صباح المابيما

الردادة: يا صباح

المصوت: يوما ما يا صباح المابيما

الردادة: يا صباح

المصوت: ما بيما يا صباح المابيما

وهناك شلة اخرى للسمبوك إذا كان البحارة يستقلون السمبوك من الشاطئ إلى السفينة في المساء، ويأتي الغناء من مصوت يرد عليه البحارة.

الردادة: توبه توبه

المصوت: توبه توبه يا ربي

الردادة: توبه توبه

المصوت: يا بويه توبه توبه يا ربي

الردادة: توبه توبه

المصوت: هو يا ربي

الردادة: توبه توبه

المصوت: يا سيدي توبه توبه يا ربي.

شلات الحمول: هي غناء البحارة أثناء تحميل السفينة بالبضائع، ويصاحبه تصفيق من البحارة ويختلف الغناء نصاً وايقاعاً في بداية العمل عندما يكون الإيقاع بطيئا نسبياً، عنه عندما يسخن البحارة من شلات الحمول في أوله:

شلة رقم (١) البحارة: هي يا ملي، هي يا ملي

المصوت: يا ملِيْ باقول يا الله

باقول يا الله يا ملي باقول يا الله.

شلة رقم (٢) البحارة: هي سير دامن

يا بويه سير دامن/ سير دامن

المصوت: يا نوخذه الغنية

البحارة: هي سير دامن.. هيما له

هي سير دامن

المصوت: يا بوي يا نوخذه الغنية/ يا نوخذه

البحارة: هي سير دامن.. / يا بوي

هي سير دامن.

أكثر شعر شلات الحمول يدور حول اشتياق البحارة الى سفر البحر، والدعاء الى الله سبحانه وتعالى أن يكتب لهم السلامة في سفرتهم المقبلة، والتشوق الى أصدقائهم وأحبابهم في الموانئ التي يزمعون السفر إليها، تختلط ألفاظ من اللغةالسواحلية باللغة العربية في شلات الحمول.

شلة نسع الدقل من البحر للسفينة: وهو صاري السفينة الذي يحمل الشراع العود (العود أي الكبير) وينطق «الدِّجل» لهجة. ويتم هذا العمل عادة على ايقاع الشوباني البحري، وهو ايقاع نشط سريع.. يغني البحارة وقد انقسموا الى قسمين: مجموعة (١) دعوانا مكيده/ يا ابن العم

مجموعة (٢) يا بن العم .. يا بن العم

مجموعة (١) اللي كيدك كيده.

مجموعة (٢) يا ابن العم.

وبعد نسع الدقل من البحر الى السفينة يرفع الدقل على السفينة وهنا تغني شلة «صقبة» الدقل أي تثبيت الدقل في موضعه من السفينة ولعلها سميت بالصقبة لأن البحارة يصقبون الدقل أي يميلونه حتى يثبتوا فيه أنواع الحبال المختلفة قبل رفعه ونصبه في السفينة.

شلة رفع الماشوة: عندما يصل البحارة إلى السفينة قادمين من الشاطئ في سمبوك يأمرهم النوخذة «القبطان» برفع القارب الى ظهر الخشب «السفن» بقوله: «فوق ماشوة» أي ارفعوا الماشوة، وينفذ البحارة هذا الأمر وهم يغنون شلة رفع الماشوة:

الردادة: هو يا فاطمة بنت النبي.

عكر بنا السمبوك

المصوت: يا جومبيه يا جومبيه[1].

لقد استوى جميع البحارة على سطح السفينة، وهنا تكثر الشلات البحرية المصاحبة للعمل ابتداءً من شلات الحمول ورفع الماشوة الى نهاية الرحلة والعودة.

شلات الباورة: هي غناء يؤدية البحارة وهم يرفعون الباورة «الهلب أو المرساة» فبعدما يستقر البحارة فوق ظهر السفينة يعطي النوخذة «القبطان» الأمر برفع المرساة «جدام فوج باورة» ولماكانت المرساة ثقيلة الوزن ويحتاج رفعها الى عدة شدَّات قوية فإن ايقاع غناء شلة الباورة يكون بالضرورة متزامنا مع كل شدة على السلسلة التي تربط في طرفها المرساة، يغني البحارة شلة غناء خاصة وهم يخلصون المرساة من طين قاع البحر، بعدة شدَّات قوية:

البحارة: يا سيملي

المصوت: ياملي

(١) جومبية: لفظة سواحيلة «افريقية»

الردادة:ياملي

النهام: يا سيميلي

البحارة: هيليه

النهام: يا سيميلي.

يصاحب غناء شلة الباورة تصفيق من البحارة الذين لا يشاركون في رفعها، بينما النهام «المصوت، أي المغني المنفرد» والبحارة الذين يخلصونها من الطين لرفعها يقومون بالرد عليه، وبعد ما تخلص المرساة من الطين يتابع البحارة رفعها من الماء وهم يغنون جميعاً في صوت واحد «كبسه» غناء البحارة في هذه المرحلة أسرع أيقاع وذلك لعدم الحاجة الى قدر كبير من القوة في شد سلسلة الباورة بعد خلاصها من طين قاع البحر.

ولرفع الباورة عدة أغاني منها:

المصوت: يا مليه بقول يا الله.

الردادة: هيه يا مليه

المصوت: يا مليه بقول يا الله

الردادة: هيه يا مليه

المصوت: باسير معكم يوش[1]

الردادة: هي يا مليه

المصوت: هذي والسنه اليايه

الردادة: هي يا مليه

المصوت: وإن ما تعذبنا

الردادة: هي يا مليه

المصوت: عز الله وكفايه

الردادة: هي يا مليه

المصوت: وايد من الغشمان[2]

الردادة: هي يا مليه

المصوت: مثلي وشروايه

الردادة: هي يا مليه.

وبرفع الباورة انقطعت صلة السفينة بالبر واستوت على البحر ببحارتها وبضائعها ومعداتها المختلفة، ونستطيع أن نقول هنا تبدأ مرحلة ثانية من الصراع والعمل لتصبح السفينة في هيئتها التامة، وتبدأ هذه المرحلة بشلات نزغ الشرع.

---

(١) يوش: درب أو سفرة

(٢) غشمان: الغشيم الذي يجهل الشيء.

شلات نزغ الشرع: وهي غناء يصاحب رفع أنواع الأشرعة المختلفة على السفينة ولكل شراع غناؤه الذي يختلف في سرعته وفي نصه باختلاف الشراع.

١- شلة شراع العود:

وهي غناء البحارة وهم يرفعون الشراع الكبير «العود» والهواء هادئ وقد انقسموا إلى مجموعتين من ستة بحارة، كل منها على ناصية من الشراع.

مجموعة (١): يا ما شي ممبي[١] هات لي طية[٢] زري[٣]

مجموعة (٢): حِسْنه ويماله يا وزار السمايلي[٤]

٢-شلة الوسطي: يرفع هذا الشراع عندما يكون الهواء طيبا وينقسم البحارة أيضاً إلى قسمين، كل مجموعة على جانب من جانبي الشراع.

مجموعة (١): هوه

تبشرتي يا نخلتي

تبشرتي.

مجموعة (٢): أوه

عساكي تثمري وتحتي

عساك تثمري

ومن شلات الوسطي أيضا تغنيها المجموعة في صوت واحد كبسه يا طيرة طيري للحد.. هاتيلي من الكرب ليف.

صخي[٥] لا يسمعك حد.. عز الله طبعك اضعيف.

سواحلي[٦] يا مرباك.. اسمعك تشاكي الطير

هيش عدلته من مشكاك[٧].. عساك موافق الخير.

٣- شلة شراع القلمي: وهي غناء البحارة جميعاً في صوت واحد وهم يرفعون شراع القلمي في مؤخرة السفينة وهم «ينزغون» الحبل الجراري المتصل بهذا الشراع وكأنهم رجل واحد صوتاً وحركة، عندما تكون الريح معتدلة.

المجموعة: يا حي ويا قيوم... يا مفرج الهموم

فرج علينا ساعه

ونتبع ثواري القوم... يوم النسور تحوم

---

(١) ممبي: بومبي

(٢) طية: لفة

(٣) زري: خيوط ذهبية وفضية اللون تطرز بها الملابس العُمانية

(٤) السمايلي: نسبة الى ولاية سمائل

(٥) صخي: استمعي

(٦) سواحلي: رجل من أهل السواحل الافريقية.

(٧) مشكاك: شكواك.

بسيوفنا اللامعة

وهذا هو الشراع الوحيد الذي ينزغ برزحة، وربما يكون المبرر لهذا الأمر وجود هذا الشراع فوق الشتري. والشتري هو مكان جلوس النواخذة وكأن هذا الشراع شراع يكرم نظراً لموقعه من صاحب السفينة وربانها.. ولذا لا يغنى له إلا رزحة، والرزحة في البر هي رقصة علية القوم.

٤- شلة شراع فيتني:

وهي غناء البحارة وهم يرفعون شراع الفيتني عندما يكون الهواء متوسط القوة، وقد انقسموا الى فريقين كل فريق من ستة بحارة ويقف على جانب من جانبي الشراع.

ومنها الشلة التي تقال عند اصلاح الديمان وهو اسم لأحد الحبال حيث يرفع المصوت صوته إلى أقصى حد.. قولوا يا ديمان.

البحارة: دامن سيه

المصوت: هلية يا ديمان

البحارة: ديمان سيه.

وتقال هذه الشلة ايضا عند نزغ الشراع.

شلة عمار الباورة: وهي غناء البحارة أثناء لف حبال الباورة على بعضها البعض في دائرة حلزونية والسفينة في عرض البحر.

البحارة: هي يا ملي.. هيلي ياملي

هيلي يا ملي.. هيلي يا ملي

المصوت: يا ملي بقول يا لله

باقول يا الله يا ملي باقول يا لله.

بعد هذا الابحار الطويل في عرض البحار وطولها يصل البحارة الى احد سواحل البلدان وهنا يغنون شلة النازل.

شلة النازل:

وهو غناء يؤدى أثناء انزال البضائع من على ظهر السفينة وأغلبه يدور حول شكر الله (سبحانه وتعالى) على سلامة الوصول إلى الميناء، وما مر بالسفينة وبحارتها.

مجموعة (١): الهودي(١) يا بني الهودي

مجموعة (٢): مرحبا حي

وعندما يشتد الهواء، يغني البحارة عند رفع فيتني:

مجموعة(١): دح(٢) الموي يا فيتني اسمع

(١) الهودي: هود كلمة تقال للإستئذان

(٢) دح الموي: ؟؟؟؟؟؟؟

دح الموي يا فيتني اسمع.

شلة شراع اليب:

يغني البحارة مجتمعين في مجموعة واحدة وبلسان واحد «كبسة» وهم يرفعون ذلك الشراع الصغير في مقدمة السفينة حيث ينزغون الحبل الصباحي المتصل بهذا الشراع:

المجموعة: هو يبيبكم(١) يا عوادي(٢)/ يبيبكم يا عوادي.

شلة العمار: هي غناء البحارة وهم يصلحون الحبال على ظهر السفينة، وتختلف شلة الغناء باختلاف الحبل الذي يجري عماره «إصلاحه» والغناء للتسلية وقطع الوقت ليلاً ومن شلات العمل هذه الشلة:

علامك[٣] يا مسكد[٤] ما تقربي شويه

لا إله إلا الله

يوم رأيت الغواني في صور العفية

لا إله إلا الله

من مخاطر وأحداث وما يتوقعون أن يلاقوه من ترحيب من أهل البلاد والتي وصلوا إليها، ومن نماذج الشلات.

اسمع حنين ورنه فوق الغرفة

بدويه عشقت مولد وشقت ثوبه

لا إله إلا الله يا ممبسه

عطوني بسرة خنيزي ما با زنجبار

ولد البحر بحراني لا تمشي وياه

لا إله إلا الله يا ممبسه

وإن كان وصول البحارة إلى أرض الوطن عُمان، أو في الساحل الشرقي الأفريقي العُماني آنذاك يكون شعر الغناء في الفرحة بلقاء الأهل والأبناء والأقارب والأصدقاء، ويغنون في هذه الأثناء فن الشوباني وهو من الفنون الأفريقية الأصل جاءت مع البحارة من ممباسا ودار السلام وزنجبار والجزيرة الخضراء ولامو... الخ من الموانئ الأفريقية. وهو فن يجمع ما بين العمل والتسلية ويمارسه البحارة حيثما حلوا في ميناء وحينما يحملون البضائع وحينما يفرغونها.

شلة التهليبة:

تهليب الشراع هو انزال الشراع من على الصواري، (الفرماك) باللهجة المحلية الدارجة،

---

(١) يبيكم: تحمل معنيين: اليب الشراع ويبيبكم أي يعودكم بالسلامة

(٢) العوادي: الرجال والأولاد من نتمنى لهم العودة

(٣) علامك وعلامه: أي ما الذي جرى لك

(٤) مسكد: مسقط وهي لهجة دارجة

ويغني البحارة اثناء التهليبة في أداء جماعي:

طلبنا جودك يا رسول الله

عليك يا الهادي طالبين الله.

وبعد ما ينزل الشراع يهتف البحارة: الحمد لله، ثم بعد ذلك يستعد كل من في السفينة للنزول، وعندما تعود السفينة إلى البر يكون النوخذة أول من يتركها في السمبوك متجها الى الشاطئ، وهنا يغني البحارة شلات مختلفة واذا كانت العودة الى أرض الوطن يغني البحارة في هذه المناسبة شلة خاصة مثل:

الردادة: يا حبة الهيلي... سلي على بالي

المصوت: يا ليله دان اللي دان... ويا ليله يا دانا

الردادة: سمعوا الدريول يقول:

يا لابسات الثوب

في امانة الله ظفار

ومسافر العالي

المصوت: يا ليله دانا اللي دان ويا ليله دانا.

تبقى لنا في الختام أن نذكر الخصائص الفنية البارزة في هذا الفن والسمات التي تميزه:

١- وضوح المفردات وسهولة تلقيها وترديدها مثل: يا منصور[١] الله واكبر... يا منصور الله وأكبر

منصور اجفا خلا الداو[٢].

ومثل قول البحارة حينما يصقبون الدقل لربط الحبال المختلفة فيه:

اسكن دار العز... لو مديون

اسكن دار العز... لو مديون.

٢- بروز معاني التشوق والحنين للوطن والمعاناة من الغربة ووضوح نبرة الحزن:

يا الود غربتنا... ويا رب تودينا

واحنا صغيرين... نشتاق أهالينا

والمشتكي لله... ما سوى الزمن فينا

ومن الشلات المشهورة في هذا المجال غناء البحارة:

عطوني بسرة خنيزي... ما بي زنجبار

ولد البحر... بحراني

(٢،١) منصور والداو: أسماء سفن عُمانية

لا تمشي وياه... لا إله إلا الله يا ممباسا.

٣- استلهام الشلات من الحدث الواقع:

تصادف البحارة كثير من الحوادث الطريفة التي يصوغها نتيجة لفطرته.

وسليقته الشعرية البسيطة ولذكائه الفطري على شكل شلات غنائية ومن هذه الشلات، غناء البحارة:

صدر الماشوة دام[1]... صدر الماشوة دام

دوبيه[2] وبنت الروبيه... طاحوك ناسٍ اغشام

ويقال إن مناسبة هذه الشلة هو أن أحد البحارة الكبار أحب أن يدرب أحد الشباب عنده على العمل فائمتنه على صندوق به نقود وحثه على المحافظة عليه، وعندما أسترجعها وجدها ناقصة روبيه كاملة. فقال الولد إنه صرفها... وكانت الروبية آنذاك مبلغاً كبيراً يصرف على منزل.. فألف البحار هذه الشلة.

٤- ومن نماذج هذا النوع شلة أخرى مشهورة:

أوه: من قتل بو زرامبو... سالمين ود هابو

ما تخاف من عيونه... قتلناه سلم الله

قتلناه سلم الله

ويذكر في مناسبة هذه القصيدة أن البحارة عندما نزلوا على الساحل رأوا حيواناً بحرياً اسمه أبو زرامبو له عينان كبيرتان خلف رأسه مقتولاً على الشاطئ فاستغربوا وتساءل أحدهم:

من قتل بوزرامبو.. الرد الثاني: سالمين ولد هابو

قالوا ما تخاف من عيونه... قال قتلناه ويسلم الله الأن. فتغنوا بتلك المعاني على صورة شلة.

٤- مناسبة القصائد للعمل المؤدى معنى وإيقاعاً:

ففي الأعمال التي تتطلب السرعة بأن يكون الايقاع سريعاً متلاحقا. مثل غناء البحارة عند تكوير السفينة:

دعوانا مكيده/ يا بن العم

اللي يكيدك كيده/ يا بن العم.

وعندما يتطلب العمل وقتاً أطول نجد أن الايقاع يبطؤ ليتناسب وقعه مع وقع ذلك العمل، فمثلا عند القيام باصلاح خلل ما في السفينة فإن عملية العمار هذه تحتاج لوقت، ولنستمع لبطء الإيقاع هنا:

المصوت: هو يو راقد الليل كله... هيلا بسك من النوم خله

---

(١) دام: دار

(٢) روبية: عملة هندية كانت سائدة في الخليج العربي

يا الله على بابك/ هوه مولاي/ ماخاب طلابك

هو يا الله

ولما تشدّ الباورة تحتاج لقوة لتخليصها من الطين وهنا يبطؤ الايقاع، ويقوى التشجيع والتصفيق، ولما يرفع شراع الفيتني والهواء طيب أو متوسط السرعة لاحظنا ان الايقاع كان بطيئا، لكن هذا الإيقاع يشتد ويسرع حينما تزداد سرعة الهواء ولهذا جاء هذا الإيقاع السريع:

دح الموي يا فيتني - اسمع

دح الموي يا فيتني - اسمع

٥- التأثيرات الأفريقية:

نظراً للعلاقات الوطيدة بين عُمان والساحل الافريقي ونتيجة للامتداد التاريخي للدولة العمانية هناك فإن التأثيرات المتبادلة بين الطرفين تأثيرات واضحة، وفي هذا الفن بالذات يبرز ويتضح إذ تتعدد التأثيرات وتتنوع - الفن البحري - فهناك تأثيرات واضحة في اللغة والايقاع والحركات.. الخ ومن نماذج الشلات المتأثرة باللغة والايقاع الافريقي هذه الشلات:

بنيني ما جي مناوي مكونوا - شيكا شيكا.

ويتلخص المعنى فيما يلي: أعطيني ماء لأغسل يدي، أمسيك.

ويتضح تأثير الايقاع الافريقي في فن المديما والشوباني المستخدم بكثرة في فنون البحر. ومن الشلات المشهورة في هذا الجانب:

وامسـيـلا مسـيـلا سـمـاجـي تـيـلا مـتـوني

مـانـجو انجوجـا سـمـاجـي تـيـلا مـتـوني

ومنها قولهم حلوى مسكتي - كما تيندي[1]

٦- استخدام الرمز والكناية أحياناً بدلاً من التعبير المباشر:

ولا شك بأنه يوجد من بين النواخذة والبحارة من قد صقلته خبرة الأيام والثقافات المتعددة التي يمر على سواحلها ويختلط بأهلها ومن هنا فقد ارتفعت بعض الشلات من التعبيرات المباشرة إلى الإيحاء والكناية عن المعنى من جانب خفي، ونماذج هذا النوع كثيرة نأخذ منها غناء البحارة أثناء الحمول: (إنزال البضائع من السفينة أو تحميلها على ظهر السفينة.

يقول البحارة: مجموعة (١): طير بلا دنقوم[2]

مجموعة (٢): كيف تنقب

مجموعة (١): طير بلا دنقوم

---

(١) التيندي: التمر فالسواحليون يشبهون الحلوى المسقطية بالتمر لحلاوتها ولذتها.

(٢) دنقوم: منقار

مجموعة (٢): كيف تنقب - كيف تنقب.

ومن الواضح أن المغني هنا قصد بطير بلا دنقوم؛ الشخص الذي لا وساطة له أي من لا سند ولا ظهر له، ولا حول له ولا قوة، بدليل قول كيف تنقب.

بعد ذلك.. تخطب بنات الناس/ كيف تنقب

وفلوس ما عندك/ كيف تنقب

وهو بهذا يتساءل كيف تصارع الآخرين وأنت بدون سند ومثال هذا أيضاً قول البحارة:

فنيان الشاهي ترش/ وبايت وسط الغنم ذيب

وما حصَّلْ من الغنم شيء.

ومن الواضح أنه لا يقصد الغنم بالمفهوم العادي ولا يقصد الذيب المعروف.

هذه أهم سمات الشلات البحرية، ونستطيع أن ننهي هذا الموضوع ونسجل بعض الملاحظات التي خرجنا بها من هذا البحث:

١- إن هذا التراث «التراث البحري» متنوع وكثير، كثرة لافتة للنظر ويحتاج جمعه إلى تكثيف الجهد والعمل من المختصين.

٢- إن المجهود الكبير الذي قام به د. يوسف شوقي مجهود واضح. يسهل الدرب على الكثير من الباحثين في هذا المجال، لكنه يحتاج الى مزيدٍ من التنقيح، وإلى أخذ آراء أخرى متنوعة لأنه وعلى ما يبدو قد اعتمد في مصادره على شخصيات معينة ومحدودة، ولأن ما خلفه د. يوسف شوقي هو معجم للفنون العُمانية فإن شتات هذه المادة جاءت متفرقة عبر صفحات المعجم الكثيرة ومن هنا فإن المادة البحرية تحتاج الى لم الشتات في فصل واحد.

٣- إن المراجع الحقيقية موجودة الآن بين أيدينا متمثلة في آبائنا الكبار (أطال الله في أعمارهم).. ولما كان الفناء سبيل كل حي، فإن هذه الثروة معرضة للانقراض إذا لم نسارع إلى جمعها وتدوينها عن طريق الزيارات الميدانية والجمع الاحصائي لهذا التراث.

٤- إن ذاكرة الآباء بدأت تضمر وبالتالي فإنه من المألوف أن تجد المعلومة الواحدة متناقضة مع الشخص الواحد، ومن شخص الى آخر. وقد اختلط الأمر على اكثرهم فأصبح يحفظ شطراً وينسى آخر، كما تتداخل الأمور والأحداث في الذاكرة فتتضارب نسبة بعض الشلات إلى الاعمال المخصصة لها.

٥- غني هذا التراث بايقاعاته الموسيقية ودلالاته المعنوية الثرية والتي لم يستفد منها الأبناء ولم يستثمروها الاستثمار الجيد والمطلوب بعد.

وأخيراً وليس آخراً.. أشكر الأخوة الذين ساهموا في اثراء هذا البحث القصير.. وعلى

رأسهم الأخ صالح بن حديد الملبق، والأخ عبدالرحمن بن ربيع المخيني، الذي ساعد في جمع المادة عن طريق المقابلات الميدانية التي أجراها مع كبار البحارة، ونترحم على روح الآباء والأجداد الذين أثروا هذا الفن بمهاراتهم وصبرهم وشجاعتهم في مصارعة أعباء السفر ومتاعبه والبحر وتحمل أهواله.

كما نترحم على روح الدكتور يوسف شوقي الذي كان له شرف السبق في جمع مادة هذا التراث العريق.

وفقنا الله وإياكم للصواب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



مداخلة

دارت المداخلة حول محورين.

الأول: كان تعقيبا على ما ورد في بحث سعيدة بنت خاطر الفارسي حول مسمى (الشراع الرومي) حيث أفاد المداخل باهتمامه وبحثه في هذا المجال وانه توصل الى أن مسمى الشراع يأتي في إطار اللهجة العامية لأهالي منطقة صور ويعني (قبلي أو جبلي) مشيراً إلى ان الرزحة جبلية أو قبلية تعني رسمية والشراع الرومي كان رسميا على السفن الصورية.



الفهـــرس

رقم الايداع: ٣٤٢/٢٠٠٠م



طبع بمطابع مؤسسة عُمان
للصحافة والأنباء والنشر والإعلان
ص.ب: ٩٧٤ الرمز البريدي ١١٣ - مسقط
سلطنة عُمان
هاتف:٦٩٤٦٢١/٦٩٩٧٨٣/٦٩٩١٧٠